وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ميسان/ كلية التربية

قسم اللغة العربية/ الدراسات العليا

معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

((دراسة تداوليّة))

رسالة قدَّمتها الطالبة

بلقيس عباس فاضل

إلى

مجلس كلية التربية في جامعة ميسان وهي جزء من متطلبات

نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ اللغة

بإشراف

أ.م. د صباح عيدان حمود العبادي

1442هـ 2021م

﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾

صدق الله العلي العظيم

{ سورة المجادلة: الآية: ١١}

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الدراسة الموسومة بـ "معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني دراسة تداولية" قد جرى تحت إشرافي في كلية التربية/ جامعة ميسان، كجزءٍ من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ اللغة

التوقيع

المشرف: أ.م. د صباح عيدان حمود

التاريخ:

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الدراسة للمناقشة

التوقيع:

رئيس قسم اللغة العربية: أ. .م. د. علي عبد الرحيم

التاريخ:

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن لجنة المناقشة أنَّنا قد أطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني دراسة تداولية) للطالبة(بلقيس عباس فاضل) وناقشناه في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ونراها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية بتقدير( ).

التوقيع	التوقيع
أ.م. د محمد عامر محمد	أ.م. د حيدر عودة كاطع
رئيسا	عضوا

التوقيع	التوقيع
أ.م. د علي موسى عكَله	أ.م. د صباح عيدان حمود
عضوا	عضوا ومشرفا

صدقت من قبل مجلس كلية التربية/ جامعة ميسان

التوقيع

أ. د هاشم داخل حسين

عميد كلية التربية

/ / / ٢٠٢١

الإهداء

إلى صفوة الخلق مُحمّد "صلى الله عليه وآله" وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

إلى سيدة الرحمة

الأمّ الرؤوف

سيدة نساء العالمين

بنت خاتم الأنبياء والمرسلين

إلى من قال عنها رسول الله محمد "صلى الله عليه وآله"

« فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله».

{بحار الأنوار، ٤٣/٢٠٣}

إلى سيدتي ومولاتي

فاطمة الزهراء "عليها السلام"

شكر وتقدير

الحمَّدُ للهِ حمدًا كثيرًا دائمًا متواصلًا على جميلِ فضلهِ، وحسنِ نعمَّهِ بما من بهِ عليَّ من جزيلِ إكرامهِ وفيضِ إحسانهِ، فكلّ ما أنا فيه من فضله تعالى.

واتقدَّمَ بالشكرِ لأصحابِ الفضلِ في اتمامِ ما انجزت وأتوجّه إليهم بجزيلِ الشكرِ والامتنانِ لذلك اقدَّم...

شكرًا روحيًّا خالصًا إلى أستاذيّ ومشرفيّ الدكتور صباح عيدان العبادي جزاءً لما بذلهُ من جهدٍ معي؛ ولما قدَّم لي من ملاحظات اسهمت بشكل كبير في تقويم البحث، فقد كانَ أبًا وصديقًا ومرشدًا، وكلّ ما أقولهُ قليلٌ بحقهِ، فأدامهُ اللهُ فخرًا لنا ننهل من عظيم علمه، وجزاه الله عني أفضل الجزاء.

وكذلك اقدَّم خالص شكري وامتناني لرئيس قسم اللغة العربية وأساتذة القسم الأفاضل وأخصّ منهم الدكتور عبد الزهرة، والدكتور محمَّد مهدي حسين الساعدي، والدكتور علي موسى الكعبي، الذين لم يبخلوا علي من فيض علمهم، والإجابة على أسئلتي وتوجيهي نحو الأفضل. كما اتقدّم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل بالشكر الجزيل لقراءة هذا العمل المتواضع، وتقييمه، وتثبيت الملاحظات عليه؛ ليكون على أتم وجه فلهم جزيل الشكر.

وأخيرا اتقدم بالشكر إلى أهل الروح .....

إلى العيون التي ترقب من بعيد، إلى الساكنين بعيدا عن ديارهم، إلى من كان الحاضر الأول والآخر في حياتي، بحرقة المشتاق بلوعة الفقد والدي العزيز. وإلى أمِّي رفيقة دربي وحبيبتي .... وأخوتي وأصدقائي.

الفهرس

المقدمة	أ- ج
التمهيد: المعجزة والتداولية مقاربات في المفهوم	١- ١٤
أولا: معاني المعجزة	٢
أهمية المعجزة	٣
شروط المعجزة	٤
أنواع المعجزة	٤
الفرق بين المعجزة والكرامة	٥
مصطلح المعجزة في النص القرآني	٦
المواضع التي ذكر فيها القرآن لفظ الآية بمعنى المعجزة	٨
ثانيًا: مفهوم التداولية	٩
مفهوم التداولية في الدراسات الغربية	١٠
مفهوم التداولية في الدراسات العربية	١١
مفاهيم التداولية	١٣
مهام التداولية	١٣
الفصل الأول: أفعال الكلام في معجزات الأنبياء والأولياء	١٥-٧٦
توطئة	١٦
أولا: أفعال الكلام الطلبية	٢٠
أ- أسلوب الاستفهام	٢١
ب- أسلوب الأمر	٢٩
ج- أسلوب النهي	٣٥
د- أسلوب النداء	٤٢
ثانيا: أفعال الكلام الإخبارية	٥٠

ثالثا: أفعال الكلام الوعدية	٥٩
رابعا: أفعال الكلام الإعلانية	٦٥
خامسا: أفعال الكلام التعبيرية	٦٩
الفصل الثاني: الاستلزام الحواري في معجزات الأنبياء والأولياء.	٧٧-١١٣
توطئة:	٧٨
أولًا: خرق مبدأ الكم	٨٢
أ- خرق قاعدة النقصان	٨٣
ب- خرق قاعدة الزيادة	٨٨
ثانيا: خرق مبدأ الكيف	٩٣
ثالثا: خرق مبدأ المناسبة	١٠١
رابعا: خرق مبدأ الطريقة	١٠٩
الفصل الثالث: الحجاج في معجزات الأنبياء والأولياء	١١٤- ١٦٥
توطئة	١١٥
أولا: دلالة الروابط الحجاجية في معجزات الأنبياء والأولياء	١١٧
مفهوم الروابط الحجاجية	١١٧
١- روابط العطف الحجاجي	١٢٠
أ- دلالة الواو	١٢٠
ب- دلالة الفاء	١٢٤
ج- دلالة ثم	١٢٧
٢- روابط التعارض الحجاجي	١٣٠
دلالة بل	١٣٠
٣- روابط الشرط الحجاجي	١٣٤
٧- دلالة لو	١٣٤
٨- دلالة لولا	١٣٧

ثانيا: دلالة العوامل الحجاجية في معجزات الأنبياء والأولياء	١٤١
مفهوم العوامل الحجاجية	١٤١
١- القصر الحجاجي	١٤٢
أ- القصر بـ (لا.....إلا)	١٤٣
ب- القصر بـ (ما.....إلا)	١٤٥
٢- القصر بـ (إنّما)	١٤٨
ثالثا: السلّم الحجاجي في معجزات الأنبياء والأولياء	١٥٢
مفهوم السلّم	١٥٢
قوانين السلّم	١٥٣
سمات السلّم	١٥٣
مثيلات على السلّم الحجاجي في معجزات الأنبياء والأولياء	١٥٤
الخاتمة والنتائج	١٦٦-١٦٩
مصادر البحث ومراجعه	١٧٠-١٨٨
الملحق	١٨٩-٢١٢
ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية	A-C

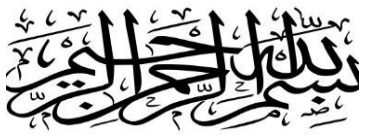

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الحمدُ للهِ الذي إليهِ مصائرُ الخلقِ أجمعين، نحمدهُ على عظيم إحسانهِ، وجزيل إكرامهِ، وامتنانهِ، حَمداً كما يستحقُ أن يُحمدَ بهِ، وشكرًا دائمًا متواصلًا، ونستعين به استعانةَ راجٍ لفضلهِ واثقٍ بعطائهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولهِ مُحمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين، وعلى آلِ بيتهِ الطيبين الطاهرين، وأصحابهِ المنتجين.

أمَّا بعد....

تمثّلُ التداوليَّةُ أحدى التطوراتِ الأخيرةِ للسانياتِ البنيويِّةِ، فالتداوليَّةُ علمٌ لسانيٌّ حديثٌ، يهتمُّ بعمليةِ التواصلِ، وأطرافِها المتعدِّدةِ، فهو يُعنى بدراسةِ العلاقةِ بين المتكلِّمِ والمتلقي، ويهتم بالسِّياق الذي يدورُ فيه الكلام، فمحورُ التداوليَّةِ هي العمليةُ الخطابيّةُ بشكلٍّ عامٍ، فهي تتناول الخطابِ خاصَّةً وما يتضمّنهُ من معنى، مما ينتجُ عنه الفعلُ الكلاميّ، والاستلزامُ الحواريّ، والاقتضاء، فلكلِّ مقامٍ مقالٌ خاصٌ بهِ، و تضمّنت كذلك القوّةِ الحجاجيّةِ للكلامِ؛ لأنَّهُ تداولٌ بين شخصين أو أكثر، وهنا تأتي أهميّةُ البحثِ في انعكاسِ هذا التداولِ وتأثيرهِ، وكيفيةِ توظيفهِ، وتحليلهِ، ومن هذا المنطلقِ لمفهومِ التداوليّةِ جاءَ البحثُ بعنوانِ:

معجزاتُ الأنبياءِ والأولياءِ في التعبيرِ القرآني

(دراسةٌ تداوليّةٌ)

وقد وقعَ الاختيارُ على معجزاتِ الأنبياءِ والأولياءِ في التعبيرِ القرآني؛ كونَ القرآنِ الكريمِ يُعدُّ نصًّا خطابيًا، فضلًا عن كونهِ من أهمِ النصوصِ التي يجبُ الإلمامُ بها، واختارَ البحثُ تحديدًا الآياتِ التي تضمّنتْ معجزاتِ الأنبياءِ والأولياءِ لما لها من أثرٍ عظيمٍ على النفسِ البشريةِ، ولأهميتِها في بيانِ قدرةِ اللهِ تعالى ومعجزاتهِ.

وتهدفُ هذهِ الدراسةُ إلى تسليطِ الضوءِ على معجزاتِ الأنبياءِ والأولياءِ في التعبيرِ القرآني من الناحيةِ التداوليّةِ، المتمثّلةِ في: أفعالِ الكلام، والاستلزامِ الحواريّ، والحِجاجِ، وأثرها في فهمِ النصِّ القرآنيّ، والكشفِ عن المعنى الكامنِ في آياتِ القرآنِ الكريمِ.

وقد جاءَ البحثُ بمقدّمةٍ تعريفيةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ فصولٍ، وملحقٍ، وقائمةٍ بمصادرِ البحثِ ومراجعهِ، وقد تكفّلَ التمهيدُ ببيانِ المفاهيمِ التي تبنتها الرسالةُ، كالمعجزةِ والتداوليّةِ في كتبِ التراثِ ابتداءً من المعنى اللغويّ وصولًا إلى دلالتِهما الاصطلاحيةِ، وكانَ ذلكَ تحتَ عنوانِ: (المعجزةُ والتداوليّةُ مقارباتٌ في المفهوم).

أمَّا فصولُ الرسالةِ فقد تناولتُ في الفصلِ الأوّلِ أفعال الكلام في معجزاتِ الأولياءِ والأنبياءِ في التعبيرِ القرآنيّ دراسةً تداوليّةً بحسبِ تقسيمِ (سيرل) لأفعالِ الكلامِ الخمسةِ وهي: (الطلبياتُ، الإخباريات، الإلزاميات، الإعلانيات، التعبيريات)؛ لما لها من أهميّةٍ في بيانِ فائدة المعجزة، وكيف يلقيها الله تعالى إلى المتلقي، وبأيّ أسلوبٍ يناسبُ في إذعانِ القلوبِ لها بتصديقِها، والامتثالِ لأمرِ اللهِ "عزَّ وجلّ".

وبما أنَّ الخطابَ القرآني يشتملُ في خطابهِ على الباطنِ والظاهرِ، وهو في كثيرٍ من الأحيانِ يستلزمُ معنى آخرَ غيرَ المعنى الواضحِ الصريحِ، فقد خُصّص الفصلَ الثاني لدراسةِ الاستلزامِ الحواريّ تحتَ عنوان: (الإستلزامِ الحواريّ في معجزات الأنبياء والأولياء)، وتبنى هذا الفصلُ تطبيقَ مبادئ غرايس الأربعةِ على النصِّ القرآني وهي:

مبدأُ الكمِ، مبدأُ الكيف، مبدأُ المناسبةِ، مبدأُ الطريقةِ في ضوءِ الإستلزامِ الحواريّ المخصّصِ.

ولكون النصِّ القرآني خطابًا حجاجيًّا بشكل عام، فهو في كثير من آياته يُقدّمُ للمتلقي مجموعةً من الحجج التي تترتبُ عليها نتيجةٌ معينة، لاسيّما في حجاج الأنبياء مع أقوامهم، وكذلك الأولياء، فالمعجزةُ في أكثر الأحيان تظهر لتأكيد موقف معينٍ، اقتضى ذلك أن يكون الفصلُ الثالثُ بعنوانِ: (الحِجاجِ في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآنيّ).

وانتهى البحثُ بخاتمةٍ تضمّنتْ أهمَّ النتائجِ ، وملحقًا تفصيليًّا اشتملَ على ذكرِ المعجزاتِ التي تخصُّ الأولياءَ والأنبياءَ في التعبيرِ القرآنيّ، والتيُ ذكرتْ في الدراسةِ، وقد رتبتُ معجزاتَ كلَّ نبيّ بحسبِ ترتيبِ سورِ القرآنِ الكريمِ.

ومما لاشكّ فيهِ أنَّ البحثَ في النصِّ القرآنيّ يعتمدُ كثيرًا على أمَّهاتِ الكتبِ من التفاسيرِ، والدراساتِ التي خُصّصتْ لدراسةِ آياتِ القرآنِ الكريمِ، وكذلك ما تهتم به الدراسات التداولية من كتب اللسانيات فشكّلتْ مراجعَ قيّمةً اعتمدَ عليها البحثُ في مسيرهِ.

ولم يخلُ سيرُ البحثِ من صعوباتٍ واجهتهُ كانَ أشدُّها على الباحثةِ أنَّ النصَّ القرآني نصٌّ مقدّسٌ لا يُفهمُ معناهُ من دونِ العودةِ إلى السياقِ والتمعّنِ فيهِ؛ لفهمِ القصدِ من الآية فهمًا واضحًا دقيقًا؛ خَشيةَ الافتراءِ على كتابِ اللهِ تعالى، فضلاً عن كون النصِّ القرآنيّ ينقل عن لسانِ الأنبياءِ بتعبيرِ اللهِ سبحانهُ وتعالى، فكلُّ هذا يشكّلُ صعوبةً في تناولِ النصِّ القرآنيّ من الناحيةِ التداوليِّةِ.

بالإضافةِ إلى كونِ التداوليِّةِ من الدراساتِ الغربيةِ الحديثةِ، فكانَ من الصعبِ على الباحثةِ الحصولُ على المصادرِ الرئيسةِ لتلكَ النظريةِ.

وقد اعتمدتْ الدراسةُ على المنهجِ الوصفيّ الذي يهتمُّ بوصفِ الظاهرةِ، وبيانِ خصائصِها، وأسبابِها، والمنهجِ التحليليّ الذي يهتمُّ بتحليلِ النصوصِ ونقدها ومن ثُمَّ استنباطِ الأحكامِ والنتائجِ المتعلقةِ بِها.

قد يلاحظُ القارئُ تكرارَ الآياتِ في أكثرِ من موضعٍ؛ لذلك اقتضى التنويهُ أنَّ السبب في ذلكَ يتمثّلُ في وجودِ جوانبَ تداوليّةٍ مختلفةٍ في الآيةِ الواحدةِ، ومرجع ذلك إلى بلاغةِ النصِّ القرآني فهو يستعملُ جوانبَ عدَّةً من قضايا التداوليِّةِ في الآيةِ الواحدةِ، ولبيانِ جماليةِ هذه الآياتِ كونِها تصلحُ لتطبيقِ أكثرَ من موضوعٍ تداوليٍّ جعلَ البحثَ يهتمُ في تناولِها من وجوهٍ عدةٍ.

ولا شكّ أنَّ الناظر في فصول الدراسة يلاحظ خلُّوَها من محاورَ رئيسةٍ في الدراسات التداوليَّة، إذ لم يتطرّق البحث إلى قضيّة الإشارياتِ، والافتراضِ المسبّق، وإنّما خلت الرسالةُ من هذه الجوانبِ لأسبابٍ مختلفةٍ منها: قلةُ النماذجِ التطبيقيّةِ، وعلى هذا فإنَّها إن اختصّتْ بالدراسةِ لا يمكن أن تنهضَ كفصلٍ مستقلٍ بذاتهِ، فضلاً عن الترابطِ الوثيقِ بين جوانبِ التداوليّةِ، فإنَّ اعتمدَها البحثُ على اقتضاءِ تكررِ الآياتِ لم يأتِ بجديدٍ يذكرُ، وسيكون عملنا مجانبًا للصوابِ حينِها.

ولا يسعني هنا إلا أن اتقدمَ بالشكرِ والامتنانِ إلى أستاذي الفاضلِ الأستاذ الدكتور صباح عيدان حمود؛ لما بذلهُ من جهدٍ في تقويمِ الرسالةِ وتصحيحِ مسارِها بما قدّمهُ من ملاحظاتٍ قيّمةٍ، وما أهداني من نصائحَ سديدةٍ كانَ لها الأثرُ البالغِ في بسطِ أمْتِها وتقويمِ عوجِها، والشكرِ موصولٍ إلى قسمِ اللغةِ العربيّة في جامعةِ ميسان بأساتذتِها الذينَ يعجزُ اللسانِ عن شكرهِم، ووصفِ طيبِ أخلاقِهم وكرمِهم ، فضلاً عن إدراكِ واسعِ علمِهم.

وفي الختامِ أقولُ الحمد لله حمدًا كثيرًا دائمًا متواصلًا؛ أن وِفقنا في دراسةِ كتابهِ العظيمِ دراسةً تداوليِّةً، وجلَّ ما أرجوهُ أن أكونَ قد وُفقتُ في ذلك، وآخر دعوانا الحمَّدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أفضلِ الأنبياءِ والمرسلين محمدٍ وآله أجمعين.

الباحثة

التمهيد

المعجزة والتداولية

مقاربات في المفهوم

التمهيد: المعجزة والتداوليّة مقاربات في المفهوم

لابد من الوقوف ولو بإيجاز معرفين بعض مفردات عنوان البحث، لإيضاح حقيقة المعجزة، وشروطها، والفرق بين المعجزة والكرامة؛ لكون هذين المصطلحين متشابهين ومتداخلين فيما بينهما نوعًا ما، والبحث يَعُدّهما من صنف واحد، والتعرف على مصطلح التداوليِّة؛ لبيان معنى التداوليِّة، ومفاهيمها، ومهامها التي تقوم بها.

أولًا: معاني المعجزة

ذكر بعض أصحاب المعاجم للمعجزة معاني كثيرة منها: «عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجزُ نقيض الحزم. وعَجَزَ يَعجِزُ عَجزا فهو عاجزٌ ضعيفٌ».[١] ويَعرِفها ابن منظور بأنَّها العجز، وعدم القدرة على الإتيان بشيءٍ ما، وذلك بقوله: « والمَعجَزَةُ بفتح الجيم وكسرها، مفعلة من العَجز: عدم القدرة».[٢] ويلحظ من ذلك أنَّ هذه الدلالة اللغوية ترتبط مع الدلالة الاصطلاحية لمفهوم المعجزة، فيعرفها العلامة الطوسي بقوله: « ثبوت ما ليس بمعتادٍ مع خرق العادة ومطابقة الدَّعوى».[٣] ويَعرِفها الجرجاني بأنَّها «أمرٌ خَارقٌ للعادة داعية إلى الخَير والسّعادة مقرونة بدعوى النُّبوُة، قصد به إظهار صدق من أدَّعى أنَّه رسول من

---

[١] كتاب العين، أبو عبد الله الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت، ١/ ٢١٥، مادة (عجز). وينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، (د. ط): ٢٣٢/٤، مادة (عجز).

[٢] لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ٣٦٩/٥، مادة (عجز).

[٣] تجريد الِاعتقاد، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٠٧هـ: ٢١٤.

الله».[١] في حين يذهب الزرقاني إلى أنَّها « أمرٌ يعجز البشر متفرِّقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أوهي أمرٌ خارقٌ للعادة، خارجٌ عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه اللهُ تعالى على يد مدَّعي النُّبوُة عند دعواه إياها شاهدًا على صدقه».[٢] وفي ضوء ذلك يتبيّن لنا تقارب مفهوم المعجزة في اللغة، والاِصطلاح، بوصفها أمرًا خارجًا عن إرادة البشر وقدرتهم.

أهمية المعجزة:

المعجزة تدخل إلهي، يجريه الله على أحد الأنبياء والأولياء؛ للفت اِنتباه المخاطَب؛ لفهم القضيَّة المتعلقة بالدعوة إلى الإلهية المطلقة، فما المعجزة إلا خرقٌ للعادة، يفترض أن يوقظ النفس البشريَّة، فيجعلها تسمع، وتخضع لأمر الله تعالى «عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علة أعطى الله "عز وجل" أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة؟ فقال: ليكون دليلًا على صدق من أتى به، والمعجزة علامة الله لا يعطيها إلَا أنبياءه ورسله وحججه؛ ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب». [٣]

---

[١] كتاب التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، د. ت: ١٨٤.

[٢] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ١/ ٦٣.

[٣] علل الشرائع سلو أهل البيت عليهم السلام، الشيخ الصدوق، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ١/ ١٢٣.

والمعجزة ضرورية للنَّبيِّ لكي لا يكون للناس على الله حجَّة بعد الرسل، فيمنح الله " عز وجل" أنبياءه المعجزات؛ ليقيم الحجَّة على عباده، فالإقناع يكون أمَّا بالعقل والبرهان، وأمَّا بالأمر الخارق للعادة، وهو ما يسمى بالمعجزة.[١]

شروط المعجزة:

ذكر أهل العلم مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوافر في قضيَّة ما حتى تسمى معجزة نذكر منها: [٢]

١. أن تكون خارجة عن المألوف.
٢. أن تكون بأمر الله تعالى.
٣. أن تكون على يّد مدّعي النُّبوُة.
٤. أن تكون مما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

أنواع المعجزة:

تكون المعجزة على ضربين:

---

[١] ينظر: الوحي القرآني في المنظور الاستشرافي ونقده، محمود ماضي، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ٦٠.

[٢] ينظر: الاقتصاد، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مطبعة الخيام، قم، منشورات مكتبة جامع جهلستون، طهران، (د. ط)،١٤٠٠: ١٥٥. وينظر: كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، الحلي ، تحقيق: حسن زاده الآملي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدّرسين بقم، د. ط، ١٤٠٧هـ: ٣٥٠. وينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنه من السُّنَّة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن المحسن الزكي، ومحمد رضوان عرقسوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦، ١/ ١١٢-١١٤. وينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١٤، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م: ٣٠١.

١- المعجزة الحسية: وهي المعجزة التي تدرك بالحواس، وتكون مرتبطة بوقت محدد، فهي تزول بزوال صاحبها، كناقة صالح، وطوفان نوح، وعصا موسى، ويشترك في إدراكها عامَّة الناس وخاصَّتهم، وتكون أوقع في قلوب الطبقات العامَّة، وأسرع لإدراكهم.

٢- المعجزة العقلية: وهي معجزة يدركها المخاطَب ببصيرته، كالإخبار عن الأمور الغيبية، والإتيان بحقائق العلوم والأشياء التي حصلت من غير تعلم، ويختصّ بإدراكها الخواص من الناس ممن يمتلكون العقول الراجحة، والأفهام الثاقبة، والرؤية المتناهية للأمور، فلا يمكن فهم معانيها إلا بالتدبر وإعمال العقل، وهي معجزة باقية دائمة ليس لها وقت محدد تزول فيه كالقرآن الكريم.[١]

الفرق بين المعجزة والكرامة:

تتفق الكرامة مع المعجزة في كونها أمرًا خارقًا للعادة، وتفترق عنها في كونها خاصةً بأولياء الله وأحبائه، وغير مقرونة بدعوة النُّبوُة. وهناك مجموعة من الفروق ذكرها الفيروزآبادي نذكر منها الآتي:

١. المعجزة تكون مختصة بمدّعي النبوَّة يؤتيها الله لأنبيائه دلالة على صدقهم. أمَّا الكرامة فإنَّها مختصة بالوليّ* يؤتيها الله لأحد أوليائه.

[١] ينظر: مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م:١٠٢. وينظر: المعجزة القرآنية دلائل علمية قاطعة، أحمد عمر أبو شوفة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، د. ط، ٢٠٠٣: ٢٢.

*الوليّ: الوليّ في اللغة: وليَّ النعم (كتاب العين، ٣٦٥/٨، مادة ولي).أمَّا في الاِصطلاح: هو العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات المتجنب عن المعاصي.(لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، د ط، د ت، ٢: ٣٩٢).

٢. إنَّ إظهار المعجزة مقرون بين الوجوب والجواز، إمَّا الكرامة فإنَّ صاحبها يكون مأمورًا بكتمانها؛ حيث إنَّه إذا قام بإشهارها وإظهارها بطلت وزالت.

٣. إنَّ المعجزة مقرونة بالتحدِّي، يتحدَّى بها صاحبها قومه والمعارضين له، أمَّا الكرامة فلا تقترن بذلك.

٤. إنَّ المعجزة قد تحصل بالدعاء، ولا تكون ثمرة المعاملات المرضية، ولا يمكن الحصول عليها بالجهد والكسب، أمَّا الكرامة فهي على الأغلب تكون موقوفة على قيام صاحبها بالدعاء والتضرع. [١]

ولابد من الإشارة إلى أنَّ البحث يستعمل لفظة (المعجزة) بمعنى الكرامة والمعجزة في آن واحد، وذلك كما هو وارد في عنوان الرسالة (معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني دراسة تداولية)؛ لاتفاق المعجزة والكرامة في كونهما أمرًا خارقًا للعادة، فاختيار البحث للنصوص القرآنية كان مشتملًا على ذكر الآيات التي تعرض الأمور الخارقة للعادة التي حصلت للأنبياء والأولياء.

مصطلح المعجزة في النص القرآني:

لم يرد ذكر لمفهوم المعجزة في التعبير القرآني بلفظه المتعارف عليه، وإنَّما ورد لفظ (الآية) بدلًا من ذلك، و على هذا فالمعجزة تقع ضمن مفهوم الآية والسياق هو اذي يحدد المراد، فالآية في المعاجم العربية: تعني المعجزة، والعلامة، والعبرة،

[١] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، وعبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، ط٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م: ١/ ٦٦.

والأمر العجيب ...وغيرها من المعاني المتعلقة بهذا المفهوم.[١] وكذلك الحال بالنسبة لمصطلح الآية، فهي « في لغة العرب العلامة الدالة على الشيء؛ والمراد بها هنا: ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من أمور خارقة للسنن الكونية المعتادة، التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها، كتحويل العصى إلى أفعى تتحرك وتسعى، فتكون هذه الآية الخارقة للسنة الكونية المعتادة دليلًا غير قابل للنقض والإبطال، يدلُّ على صدقهم فيما جاءوا به».[٢]

وفي ضوء ما سبق عرضه من بيان لمفهوم الآية في اللغة والاِصطلاح يتبيَّن التقارب بين مفهومي: المعجزة، والآية، واطلاق هذا اللفظ على المعجزة يُعدّ من جماليات مبدع النصّ القرآني، وفي ذلك يقول الدكتور حسن ضياء الدّين: « وإذا تتبعتَ آيات القرآن المجيد تجد أن المولى تبارك وتعالى قد سمى المعجزات: آيات، وبينات، وبراهين... وعبر عنها أيضًا بأنَّها: آيات وبيّنات. ولما أطلق القرآن كلًّا من هذه الألفاظ على المعجزة أفادنا أن المعجزة تقطع دابر الظن وتمنح العقلاء علما وثيقا بصدق المرسلين وإلهية رسالاتهم».[٣]

---

[١] ينظر: القاموس المحيط، مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: أنس محمد الشاميّ، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ٨٧ مادة(أيي). وينظر: معجم لسان العرب، ٦٢/١٤ مادة (أيا).

[٢] الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤٠٣-١٩٨٣، ط٣، ١٤٠٥-١٩٨٥، ط٤، ١٤١٠- ١٩٨٩: ١٢١.

[٣] المعجزة الخالدة، عظمة معجزات القرآن- شهادة العالم بإعجاز القرآن_ دراسة أسلوبه البياني إعجازه العلمي والتشريعي والخلقي، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م: ٧٤.

المواضع التي ذكر فيها القرآن الكريم لفظ آية بمعنى معجزة

ورد لفظ الآية بدلًا عن المعجزة والكرامة في كثير من آيات النصّ القرآني نذكر منها مواضع عدة تنبه إليها البحث إثناء استقصاء الآيات المتضمنة لمعجزات الأنبياء والأولياء منها:

١. قوله تعالى: «وَاضمُم يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخرُج بَيضاءَ مِن غَيرِ سوءٍ آيَةً أُخرى».[١]
٢. قوله تعالى: «وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ».[٢]
٣. قوله تعالى: « لِنُرِيَكَ مِن آياتِنَا الكُبرَى ».[٣]
٤. قال تعالى: « وَيا قَومِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُم آيَةً».[٤]
٥. «قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ وَرَحمَةً مِنّا وَكانَ أَمرًا مَقضِيًّا».[٥]

ومن الجدير بالذّكر أن الدكتور ضياء الدَّين بن الأثير قد ذكر بعض من هذه الآيات في كتابة. [٦]

---

[١] سورة طه، الآية: ٢٢.

[٢] سورة النمل، الآية: ١٢.

[٣] سورة طه، الآية: ٢٣.

[٤] سورة هود، الآية: ٦٤.

[٥] سورة مريم، الآية: ٢١

[٦] المعجزة الخالدة: ٧٥.

ثانيا: مفهوم التداوليّة:

الجذر دول في اللُّغة: له معان كثيرة نأخذ أقربها معنى للمصطلح التداوليّ، فهو عند الخليل بن أحمد الفراهيدي بمعنى التَّحوُّل من حالة إلى أخرى أو الإنتقال من مكان إلى آخر فيقول: « دول: الدُّولةُ والدَّولةُ لغتان، ومنه الإدالة؛ قال الحَجّاج: إنَّ الأرضَ ستُدالُ مِنّا كما أدَلنا منها، أي نكون في بَطنها كما كُنَّا على ظَهرها».[١]

وهو يحمل المعنى ذاته عند ابن فارس ويتمثل ذلك بقوله: « دول: الدال والواو واللام أصلان: أحدُهما يدلُّ على تحوُّل شيء من مكان إلى مكان، ولآخَر يدلُّ على ضَعفٍ واسترخاء. فأمَّا الأوَّل: فقال أهل اللغة: اندَالَ القومُ، تحولوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب تداوَلَ القومُ الشَّيءَ بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض».[٢]

ولا يبتعد ابن منظور عن هذا المفهوم؛ إذ نجده يستعمل المفهوم ذاته حين يقول: « وتَداوَلنا الأمرَ: أخذناه بالدُّوَل. وقالوا: دَوالَيكَ أَي مُداوَلةً على الأَمر؛ قال سيبويه: وإن شئت حملته على أَنه وقع في هذه الحال. ودالَت الأَيام أي دارت، والله يُداوِلها بين الناس. وتَداولته الأَيدي أَخذته هذه مرَّة وهذه مرَّة».[٣]

وفي ضوء ذلك يتبيّن لنا أنَّ المعنى اللغوي للتداوليّة لا يخرج عن الإنتقال والتحول والتغير، وهذا ما ذكره باديس لهومل بقوله: « فالملاحظ على المعاجم العربية أنَّها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر (دول) على معاني: التحوّل والتّبدل

---

[١] كتاب العين: ٨/ ٧٠، مادة (دول).

[٢] معجم مقاييس اللغة، مادة (دول): ٣١٤/٢.

[٣] لسان العرب، مادة (دول): ٢٥٢/١١.

والانتقال، سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى ممّا يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحوّل والتّغير والتّبدل والتّناقل».[١] وهذا المفهوم يقترب من المفهوم الإِصطلاحي للتداوليّة فهي تنتقل من المعنى الظاهر إلى المعنى الضمني للكلام. فجلَّ ما ذكره العلماء العرب والغرب من تعريفات لمصطلح التداوليّة لا يخرج عن بيان اهتمامها بالمعنى الضمني للكلام والقصد منه.

وسيذكر البحث جانبًا معينًا من تعريفات العلماء العرب والغرب لها في الإِصطلاح،؛ لبيان الترابط بين معناها اللغوي والإِصطلاحي.

مفهوم التداولية في الدراسات الغربية:

عرفت التداوليَّة في الدراسات الغربية بتعريفات مختلفة، فيعرفها كلٌّ منهم بحسب وجهة نظره، فهي عند هيلّل تهتم بدراسة الارتباط بين عناصر اللغة (المتكلِّم، والمتلقي، والسياق) في العملية التواصلية.[٢] ولا يبتعد تعريف آن ماري دبير وفرانسوا وريكاناتي عن هذا المفهوم فالتداولية عندهم هي: « دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية».[٣]

أمَّا فيليب بلانشيه فإنَّه يربط التداوليِّة بالسياق فيعرفها بأنَّها:« الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضيَّة التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية،

---

[١] التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، العدد السابع ٢٠١١م: ١٥٦

[٢] ينظر: السيميائيّة وفلسفة اللغة، أمبرتو إيكو، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م: ٤٥٥.

[٣] المقاربة التداولية، فرانسوا أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الأنماء القومي، (د. ط)، (د. ت): ٢.

والمقامية والحديثة، والبشرية»[١]، ويختصر يول التداوليِّة بتعريف موجز لها فيعرفها بأنَّها « دراسة المعنى الذي يقصده المتكلِّم».[٢]، فالتداوليِّة عنده تهتم ببيان المعنى الضمني الذي يقصده المتكلمون من خطاباتهم.

وفي ضوء ذلك نستنتج أنَّ التعريفات التي وضعتها الدراسات العربية والغربية لمصطلح التداولية جعلها ترتبط بدراسة المعنى الضمني الذي يقصده المتكلِّم، وذلك في ضوء السِّياق الذي يحدد الغرض من العملية التواصليّة بين المتكلِّم والمتلقي، فضلًا عن الاهتمام بالعناصر اللغوية الأخرى التي توضح المقصد من الخطاب.

مفهوم التداولية في الدراسات العربية:

يختلف مصطلح التداوليِّة في الدراسات العربية من باحثٍ إلى آخر؛ إذ إنَّهم لم يتفقوا على تعريف محدد للتداوليِّة، فكلُّ واحدٍ منهم يعرِفها بحسب مفهومه، ومنطلقاته التي يؤمن بها، ولكنها مع ذلك لا تخرج في تعريفاتهم عن كونها دراسة اللغة في الاستعمال وإن اختلفت المفاهيم المعبرة لذلك.

فهيّ عند د. طه عبدالرحمن تدلُ على معنيين هما: الإِستعمال والتفاعل، فيعرفها بأنَّها: «الدراسات التي تختص بوصف وإن امكن بتفسير العلاقات التي تجمع بين (الدوال) الطبيعية (ومدلولاتها) وبين الدالين بها».[٣] أمَّا د. مسعود

---

[١] التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية ط١، ٢٠٠٧م: ١٨.

[٢] التداولية، ترجمة: د. قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م: ١٩.

[٣] في أُصُول الحوار وتجديد عِلم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م: ٢٨.

صحراوي فإنَّه يعرف التداولية على أنَّها: « إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللُّغوي والتعرف على القدرات الانسانية للتواصل اللُّغوي».[١]

وإذا ما انتقلنا إلى معنى التداوليِّة عند د. محمود نحلة نجده يقدّم مجموعة من التعريفات، يجعل أقربها إلى القبول هو التعريف الذي يرى بأنَّ التداولية: « دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنه يشير إلى أنَّ المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلِّم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلِّم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولًا الى المعنى الكامن في كلام ما». [٢]

امَّا عبد الله بن ظافر الشهري فإنَّه لم يحدد مفهومًا معينًا للتداوليِّة؛ إذ إنَّه يرى مفهوم التداوليّة مختلفًا من باحث إلى آخر؛ فكلٌّ منهم يعرفها بحسب وجهة نظره، ومجال اِهتمامه، فمنهم من يقتصر على دراسة المعنى المرتبط بالسّياق، ومنهم من يعرِفها بحسب اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ، وكيف تؤثر في الخطاب التواصلي، وقد تعرف بحسب وجهة نظر المتكلِّم. ثم نجده بعد ذلك يوافق طه عبد الرحمن في أنَّ التداوليّة بمفهومها العام هي: دراسة الاِتصال اللُّغوي في السياق؛ حيث إن هذا التعريف من وجهة نظره يسمح لنا بدراسة أثر السياق في بنية الخطاب، وكذلك دراسة مراجع الألفاظ، والمعنى كما يقصده المتكلِّم. [٣]

---

[١] التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٥م: ١٦–١٧.

[٢] افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د. ط، ٢٠٠٢م: ١٤.

[٣] ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة،ط١، ٢٠٠٤م: ٢٢.

مفاهيم التداوليّة:

تقوم اللسانيات التداوليّة على مجموعة من المباحث ذكرتها الدراسات التداوليّة وهيّ: [١]

١- الإشاريات

٢- الافتراض المسبق

٣- الاستلزام الحواري

٤- أفعال الكلام

٥- الحجاج

مهام التداولية:

في ضوء ما تقدم يمكن الإشارة إلى جملة من المهام التي تتكفل بها التداوليِّة ومنها:

١. تعنى بشرح كيفية قيام العملية الإِستدلالية في معالجة مراجع الألفاظ.
٢. بيان سبب تفضيل المتكلِّم للمعنى الضمني (المستلزم) على المعنى الواضح الصريح.
٣. توضح أسباب فشل معالجة اللسانيات البنيوية للملفوظات. [٢]
٤. الإِهتمام بصياغة المبادئ الأساسية التي تكفل نجاح العملية التواصلية.

[١] ينظر: التداولية عند علماء العرب: ٣٠-٤٥. وينظر: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بو جادي، بيت الحكمة، ط، ٢٠٠٩: ٨٦-٨٧. وينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م: ٧٥ وما بعدها.

[٢] ينظر: التداولية عند علماء العرب: ٢٧.

٥. تهتم بدراسة وظيفة عناصر العملية التواصليّة (المتكلِّم، المتلقي، السياق) في التأثير على المقولات اللُّغوية عند القيام بتأويلها وتفسيرها [١]

٦. وصف الأقوال اللغوية وبيان خصائصها في أثناء القيام بالعملية التواصلية.

٧. تعنى بالشروط التي يجب توافرها؛ لكي تكون الأقوال اللغوية ناجحة وملائمة في الخطاب التواصلي. [٢]

ويمكن أن تجتمع هذه الأمور في جوانب محددة تُعدّ اليوم من أهم مفاهيم التداوليَّة وهي: أفعال الكلام، والإستلزام الحواري، والحجاج، وهو ما سيعرض له البحث في فصوله الثلاثة.

من الجدير بالذّكر أنَّ البحث اقتصر في التعريف بالكلمات المفتاحية للتداوليّة على بيان مفهومها اللُّغويّ والاصطلاحيّ فضلا عن ذكر مهام التداوليّة، والإشارة إلى مفاهيمها التي تقوم عليها دون الخوض في تفاصيلها، لأنَّ مفهوم التداوليّة قد أشبع بحثًا في رسائل وبحوث سبقتنا؛ ولكي لا نثقل البحث بإعادة ما قيل سابقا نكتفي بالإشارة إلى من فصّل القول فيها. [٣]

---

[١] ينظر: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية (مثل من سورة البقرة)، محمّد محمّد يونس علي، دار المدار الإسلامي، ط٢، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م: ١٣٨.

[٢] ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، عالم الكتاب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٩-٢٠٠٨: ٢٨.

[٣] ينظر: التداولية عند علماء العرب: ١٥- ٤٥. وينظر: في اللسانيات التداوليّة: ٤٦-١٣٥. وينظر: التداوليّة أصولها واتجاهاتها:١٣-١٦٥. وينظر: الأفعال الكلامية في سورة الكهف دراسة تداولية، آمنة لعور، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١٠-٢٠١١م: ١٥-٥٣. وينظر: أفعال الكلام في سورة مريم دراسة تداولية، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمن ميرة- بجاية: ١٧-٣٢.

الفصل الأول

أفعال الكلام في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

توطئة:

تُعدّ نظرية أفعال الكلام من أهم نظريات التداوليّة، فهي النواة المركزية التي انبثقت عنها الكثير من النظريات التداوليَّة.[١] ولها كثير من المقدِّمات التي أسهمت في ظهورها، فقد مرت بمراحل عدّة، حتى وصلت إلى ماهي عليه بوصفها نظرية متكاملة، تتسم بالنضج والتطور، ابتداء من ظهور (الفلسفة التحليلية) على يد غوتلوب فريجه، وظهور (فلسفة اللغة العادية) على يد لودفيغ فيتغنشتاين، وعدد من الباحثين الآخرين حتى أصبحت على ماهي عليه عند أوستن وسيرل.[٢] نذكر منها:

أولًا: مرحلة التأسيس الحقيقية ويمثلها أوستن:

يرى أوستن أنَّ وظيفة اللغة لا يمكن أن تقتصر على وصف الأشياء في العالم الخارجي، بل إنَّ هناك نوعًا من الجمل لاتصف العالم الخارجي، ولا ينطبق عليها معيار الصدق والكذب، ولكننا بمجرد التلفظ بها فإنَّنا ننجز أفعالًا، فأحداث اللفظ هو إنجاز للفعل الكلامي. [٣]

وقد مرت هذه النظرية عند أوستن بمراحل عدّة كالآتي:

المرحلة الأولى: تمثلت في تمييزه بين نوعين من الأفعال وهي: أفعال الكلام الإخبارية (التقريرية)، وأفعال الكلام الأدائية (الإنجازية). [٤]

---

[١] ينظر: التداولية عند العلماء العرب:٤٠.

[٢] ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ١٧-٢٠. وينظر: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، ملاوي صلاح الدين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر العدد الرابع، ٢٠٠٩م: ٢.

[٣] ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستن، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، د. ط، ١٩٩١: ١٧.

[٤] ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية(التداولية)،دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة ط١، ٢٠١٣: ٩٧.

المرحلة الثانية: تمثلت في تراجع أوستن عن فكرة تقسيم أفعال الكلام إلى أفعال إخبارية وأفعال إنجازية، وما تبع ذلك من محاولة وضع المعايير والشروط للتمييز بينهما، فرأى أنَّ الجملة تشتمل على ثلاثة أنواع من الأفعال الكلاميّة، تشكَّل كيانًا واحدًا، وتؤدَّى في الوقت الذي يُنطق فيه بالفعل الكلاميّ نفسه هي:

١- الفعل اللفظي: هو عبارة عن مجموعة من الأصوات اللُّغوية يصدرها المتكلِّم منتظمة في تركيب نحوي معين ينتج عنه المعنى الأصلي.

٢- الفعل الإنجازي: ما يؤديه المعنى اللفظي من معانٍ فرعية أخرى تكمن خلف المعنى الأصلي.

٣- الفعل التأثيري: الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي.[١]

المرحلة الثالثة: هي المرحلة الأخيرة التي توصل فيها أوستن إلى تصنيف الأعمال التي ننجزها في ضوء اللغة إلى خمسة أصناف تدخل تحت الفعل الإنجازي وهي: الحكميّات، التنفيذيّات، الوعديّات، السلوكيّات، العرضيّات.[٢]

ثانيًا: مرحلة النضج والضبط المنهجي ويمثلها سيرل:

وضح سيرل نظرية أفعال الكلام التي أسسها أوستن وذلك بإضافة مجموعة من التعديلات يمكن أن نوجزها فيما يأتي:

١- قسم سيرل الأفعال الكلاميّة تقسيمًا جديدًا اِختلف عن التقسيم الذي قدمه أستاذه أوستن، إذ جعلها أربعة أقسام بدلًا من ثلاثة، وذلك في ضوء تقسيمه للفعل اللفظي على قسمين: الفعل النطقي، والفعل القضوي، والفعل النطقي عنده ما اِشتمل على الجوانب الصوتية، والنحوية، والمعجمية، أمَّا الفعل القضوي فيشمل كلًّا من المرجع، والمتحدث به (الخبر)، وأبقى على الفعل الإنجازي والتأثيري.

---

[١] ينظر: النظرية البراجماتية(التداولية): ٩٩-١٠٠.

[٢] ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٦٢.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الفعل التأثيري لم يكن ذا أهمية عند سيرل إذ إنَّه يرى ليس من الضرورة أن يكون لكلِّ فعل كلامي تأثير في السامع.[١]

٢-العمل على تطوير شروط الملائمة التي وضعها أوستن فجعلها أربعة شروط مثلها فيما يأتي: [٢]

أ- شرط المحتوى القضوي:propositional content

ب- الشرط التمهيدي:preparatory

ج- شرط الإخلاص:sincerity

د- الشرط الأساسي:essential.

٣- قام سيرل بتقديم مجموعة من المعايير والأبعاد التي تختلف بها الأفعال الكلامية المنجزة فيما بينها.[٣]

٤- قسم سيرل أفعال الكلام على خمسة أقسام هي: (الإخباريَّات، الالتزاميَّات، التوجيهيَّات، التعبيريَّات، الإعلانيَّات. [٤]

وآخر ما توصل إليه سيرل من جهود هو تمييزه بين الأفعال الكلامية المباشرة، وغير المباشرة، التي استفاد منها بول غرايس فيما بعد في مبدأ التعاون والاستلزام الحواري، والتي شكَّلت نظريَّة متكاملة في المنظور التداوليّ. [٥]

---

[١] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧١-٧٢.

[٢] ينظر: المصدر نفسه: ٧٤-٧٥.

[٣] ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م: ٢٢٤-٢٢٩. وينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د. ط، ١٩٩٤م: ١٧-٢٤.

[٤] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٨-٨٠.

[٥] ينظر: المصدر نفسه: ٨٣-٨٤.

ومن الجدير بالذكر إنَّ المتتبع لهذه النظرية في التراث العربي يجدها في كثير من مؤلفات البلاغيين، والأصوليين، والنحاة، تندرج ضمن مباحث علم المعاني، تلك المباحث المتمثلة بما يسمى بأسلوب الخبر والإنشاء، وما يندرج تحتها من فروع، وقد فصَّل القول في هذا الموضوع الدكتور مسعود صحراوي.[١] والدكتور خليفة بو جادي.[٢]

وفي ضوء ما حدد من مفاهيم نظرية أفعال الكلام سيحاول البحث تطبيق هذه النظرية على معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني بحسب تقسيم سيرل لأفعال الكلام على خمسة أقسام وهي: الطلبيات، والإخباريات، والالزاميات، والإعلانيات، والتعبيريات.

[١] ينظر: التداولية عند علماء العرب: ١٢٩- ٢١٥.

[٢] ينظر: في اللسانيات التداولية: ١٣٧- ٢٢٥.

أولا: أفعال الكلام التوجيهيَّة في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

الطلبيَّات(التوجيهيَّات Directives): وهي نوع من أفعال الكلام، يستعملها المتكلِّم لحمل المخاطَب على أداء فعل معين في المستقبل.[١] واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في إرادة المتكلِّم ورغبته الصادقة في تلقي الجواب من المخاطَب، ومن ثمَّ فهي أفعال لا تتسم بالصدق أو الكذب وإنَّما تتمثل بالرفض أو القبول.[٢] ويضم هذا النوع من الأفعال كلّ الأفعال الدالة على الطلب، مع غضّ النظر عن صيغتها (استفهام، أمر، رجاء، نهي ....الخ)، وكذلك أفعال السلوك، وكثير من أفعال القرارات.[٣]

وفي ضوء ما تقدّم من توضيح لمفهوم الطلبيَّات سيحاول البحث تطبيق هذهِ الاستراتيجية في الآيات المتضمنة لمعاجز الأنبياء والأولياء مقتصرًا على أساليب الطلب الآتية: (الاستفهام، الأمر، النهي، النداء) بوصفها الأكثر ورودًا في هذه الآيات.

---

[١] ينظر: التداولية:٩٠.

[٢] ينظر: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط١، ٢٠١١م: ١٨٣.

[٣] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٩.

أ- أسلوب الاستفهام في معجزات الأنبياء والأولياء

يُعدّ أسلوب الاستفهام من الأساليب التي لا يكاد يخلو منها خطاب ما، لاسيما الخطاب القرآني، وهو أحد أساليب الطلب الأساسية التي يستعملها المتكلِّم لتوجيه المخاطَب بشكل مباشر يراد به «طلب الفهم».[١] أو غير مباشر باستعمال دلالات الاستفهام البلاغي المتمثل بخروج الاستفهام إلى دلالات مغايرة لدلالته تتمثل في تضمّن معناه الأصليّ معاني سياقيّة مختلفة منها: الإنكار، والتحذير، والاستبعاد، والتعجب، والتقرير.....وغيرها من معان مجازية مختلفة. [٢] وهذه الدلالات تعرف عند التداوليّين بأفعال الكلام غير المباشرة.

والاستفهام ذو وظيفة تداوليّة مختلفة، يفهمها المخاطَب بحسب استعمال المتكلِّم لأداة الاستفهام المناسبة للمعنى الذي يريد إيصاله، إذ «يُعدّ استعمال الأسئلة الاستفهاميّة من الآليات اللغوية التي توجه المرسل إلى خيار واحد فقط، وهو ضرورة الإجابة عليها».[٣]

ولا شك أن الاستفهام الموجود في القرآن الكريم يختلف عن الاستفهام للكلام البشريّ، فإذا كان الاستفهام على لسان البشر فطلب الفهم ينطبق عليه، أمّا إذا كان على لسان المولى "عز وجل" فيخرج معناه إلى أفعال كلاميّة غير مباشرة.

---

[١] الاتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل أبراهيم، وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت: ٢٣٤/٣.

[٢] ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، المكتبة الوطنية، بغداد، د ط، ١٩٨٨: ٤٢١-٤٦٠. وينظر: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ١٣٢-١٣٧. وينظر: علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ٩٦_١٠٨.

[٣] استراتيجيات الخطاب: ٣٥٢.

وقد استعمل هذا الأسلوب الأنبياء والأولياء في قولاتهم؛ لينجز معاني أخرى غير المعنى الحرفي كإنجاز التقرير أو التعجب أو الأنكار أو الاستبعاد. وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.[1]

فالحق سبحانه وتعالى في هذه الآية بقوله: (أولم تؤمن) ينجز فعلًا كلاميًا وهو (التقرير) باستعمال أداه الاستفهام المتضمنة معنى التقرير[2] فهذا التركيب المكون من حرف الاستفهام (الهمزة)، وأداة النفي (لم) يولد فعلًا إنجازيًا مختلفًا عن محض الاستفهام وهو التقرير.[3] إذ إنَّه تعالى إنَّما سأله «ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجلية للسامعين، و(بلى) إيجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت».[4] فيقر ويعترف بالإيمان بالله " عز وجل" وجاء هذا الإقرار متمثلا بقول النبيّ إبراهيم" عليه السلام": (بلى.....).

أمَّا شرط الإخلاص فهو إرادة الحق تعالى الصادقة في اعتراف إبراهيم "عليه السلام" وإقراره بقدرة الله على البعث.

---

[1] سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

[2] ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدّين درويش، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (د. ط)، (د. ت): ١/ ٤٠٢.

[3] ينظر: الإنشاء في العربيّة بين التّركيب والدلالة دراسة نحويّة تداوليّة، د. خالد ميلاد، جامعة منوبة، كلية الآداب منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م: ١٢٨-١٢٩.

[4] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ-٢٠٠٩م ١٤٨:٣/١٤٩.

فقولـه هـذا اسـتلزم أنَّ النبـيّ إبـراهيم "عليـه السـلام" كـان واثقًـا ومؤمنًـا بقـدرة الله تعالى علـى كلِّ شـيء، وأنَّ الداعي لسؤاله هو بيان مرحلة القرب التي نالها؛ ليكون خليل الله وصفيه مما يجعل قلبه محل اطمئنان، وصفاء. واستلزم هذا الجواب أيضًا بيان قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت، وهذا واضح فيما أجاب به المولى "عز وجل" خليله والمتمثل بقوله تعالى:(**فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم**).

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

*الفعل اللفظي: (أولم تؤمن).

*الفعل القضوي: الإخبار عن إيمان إبراهيم "عليه السلام" بقدرة الله تعالى على البعث.

*الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: السؤال
- قوة إنجازية غير مباشرة: التقرير

*الفعل التأثيري: إقرار النبيّ إبراهيم "عليه السلام" بإيمانه للمولى "عز وجل"

ومـن الأغـراض الإنجازيـة التـي أنجـزت بوسـاطة أسـلوب الاسـتفهام (الأنكـار والاستغراب) وهذا واضح في قوله تعالى:﴿ **قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ قَالَ* فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ**﴾.[1]

[1] سورة الشعراء، الآية: ٣٠- ٣٣.

في هذه الآية استعمل النبيّ موسى "عليه السلام" أسلوب الاِستفهام بصيغة المنكر المستغرب؛ «فاستفهم استفهامًا مشوبًا بالإنكار والاِستغراب».[1] ليوجه المتلقي إلى طلب الإتيان بالدليل على النبُّوة؛ كي تكون دليلًا على صدق نبوَّته، وصدقه فيما يقول عن الله تعالى، وذلك باستعمال أداة الاستفهام الهمزة(أولو؟)، فالنبيّ موسى" عليه السلام" لا يقف عند حدود المعنى الحرفي للاستفهام بل يتعداه؛ ليفهم المنجز القصدي لذلك الفعل وهو الإنكار والاستغراب.

وهو بقوله هذا يكون قد أنجز فعليين كلاميين هما: الإنكار والاستغراب، ففي هذا «إحراج لفرعون أمام الملأ الذين استمعوا لما سبق من قول موسى؛ ولو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين لدلَّ على خوفه من حجَّته، وهو يدعي أنَّه مجنون، ومن ثم وجد نفسه مضطرا أن يطلب منه الدليل».[2] وشرط الإخلاص يتمثل في رغبة النبيّ الصادقة في أن يطلب فرعون الإتيان بهذا الشيء المبين الدال على صدق نبوَّته، واتجاه المطابقة يكون من العالم إلى الكلمات.

وتكمن قوة هذا الفعل الإنجازي في استدعاء فرعون أن يطلب من النبيّ موسى "عليه السلام" الإتيان بدليل النبُّوة، وهو ما زال يشكك في ذلك بدليل قوله: **(إن كنت من الصادقين)**، وبعد ذلك مباشرة تتحقق المعجزة بدلالة الفاء التي تفيد المباشرة في الفعل(فَأَلْقَى)، لتتحول العصا إلى ثعبان يتحرك ويسعى.

ففي ضوء هذا الفعل الكلامي المتمثل في استفهام موسى "عليه السلام" لفرعون بعدما رأى منه من المكابرة وعدم الاِنقياد لطاعة الله سبحانه وتعالى، والقوة الإنجازية

---

[1] التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس،،١٨٨٤(د. ط): ١٢٢/١٩.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٧٢م: مج ٥، ١٩: ٢٥٩٣.

المتضمنة في هذا الفعل الكلامي، تحققت المعجزة التي أيَّد الله بها موسى "عليه السلام".

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

*الفعل اللفظي: (أولو جئتك).

*الفعل القضوي: الإخبار عن طلب فرعون الإتيان بالشيء المبين.

*الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: السؤال
- قوة إنجازية غير مباشرة: الإنكار والاستغراب.

وقد يظل الاستفهام محتملًا لأكثر من غرض إنجازي وخير دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾.[1]

ففي هذه الآية نرى المفسرين انقسموا على ثلاثة اقسام:

القسم الأول: يرى الاستفهام يتضمّن القوة الحرفية فقط، ومن هنا فاستفهام النبيّ زكريا "عليه السلام" استفهام حقيقي يراد به السؤال عن الجهة، أي من أي جهة لك هذا؟ أو السؤال عن المكان بمعنى، من أين لك هذا [2]

وبحسب قولهم هذا يكون النبيّ زكريا "عيه السلام" قد أنجز فعلًا كلاميًا مباشرًا وهو (السؤال) المتطلب علم شيء مجهول، وهذا ما دفع مريم "عليها السلام" الإجابة بقولها: (هو من عند الله...)، فحددت بجوابها هذا الجهة التي سأل عنها.

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

[2] ينظر: الكشاف، ١٧٠/٣. وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ١٥. وينظر : تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م:٣٦٣.

أمَّا القسم الثاني: يرى أنَّ قول النبيّ زكريا "عليه السلام" استفهام مشوب بتعجّب، وهو بهذا يحمل قوتين: قوة إنجازية مباشرة، وأخرى غير مباشرة .

وهذا ما ذهب إليه الطبري بقوله: « يعني بذلك جل ثناؤه من أيّ وجهٍ هذا الذي عندك من الرزق ؟ قالت مريم مجيبة له: هو من عند الله، تعني أن الله هو الذي رزقها ذلك فساقه إليها وأعطاها».[1] فالطبري بقوله هذا يدلُّ على أنَّ الاستفهام يحمل معنى السؤال عن الجهة. ولكنه يتبع قوله هذا بقوله:« إنَّما كان زكريا يقول ذلك لأنّه كان يغلق عليها سبعة أبواب، ويخرج ثم يدخل عليها، فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء. فكان يعجب مما يرى من ذلك، ويقول لها تعجُّبًا مما يرى " أنى لك هذا"؟ فتقول: من عند الله».[2]

وعلى رأي الطبري يكون النبيّ زكريا "عليه السلام" بوساطة تلفظه بقوله: (أنى لك هذا؟) قد أنجز فعلًا كلاميًا مباشرًا وهو السؤال، وفعلًا كلاميًا غير مباشر وهو التعجّب، فالاستفهام يحمل في ظاهره معنى (السؤال) لكن الظاهر ليس هو القصد فالمتكلم بقوله هذا ينجز فعلا كلاميًا غير مباشر يستدل عليه المتلقي بالإدراك والاستدلال وهو (التعجّب) وهذا ما أشار إليه سيرل بقوله: «في أفعال الكلام غير المباشرة يبلغ المتكلِّم المستمع أكثر مما يقول عن طرق الاعتماد على خلفية المعلومات المشتركة بينهما اللغوية وغير اللغوية بالإضافة إلى اعتماده على قوة

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م: ٥/٣٥٨-٣٥٩.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الأدراك والاستدلال العامة عند المستمع».[١] ولذلك تجيبه مريم عليها السلام بقولها: هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد.

أمَّا شرط الإخلاص فيتمثل في رغبة النبيّ زكريا "عليه السلام" في معرفة الكيفية التي بواسطتها حصلت مريم على هذه الكرامة.

وهذا الإستفهام دعا أن تجيب مريم عليه "عليها السلام" عليه بقولها: (هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). وجوابها هذا سبب أن يطلب زكريا "عليه السلام" من الله الذرية الطيبة إذ « أن العناية بإفادة كون مريم ذات كرامة عند ربه يرزقها لا من طريق الأسباب العادية فهذا هو الداعي لزكريا عليه السلام إلى طلب ذرّية طيبة وولد رضي». [٢] فالقوة الإنجازية التأثيرية لهذا الفعل الكلاميّ تمثلت في استجابة المخاطَب التي كانت الداعي لأن يطلب النبيّ زكريا من الله الذرية.

أمّا القسم الثالث: فيرى أنَّ استفهام زكريا "عليه السلام" استفهام تعجبي ليس إلا. وهو ما ذهب إليه سيد قطب، وهذا واضح بقوله: «إن مريم عليها السلام كانت مباركة يفيض من حولها الخير ويفيض الرزق من كل ما يسمى رزقا حتى ليعجب كافلها وهو نبي من فيض هذا الرزق فيسألها: كيف ومن أين هذا كلّه».[٣]

فهو بقوله هذا يرى أنَّ سؤال النبيّ زكريا " عليه السلام" ما هو إلا تعبير عن تعجبه وهذا يجعلنا نصنف هذا الفعل الكلاميّ ضمن التعبيريات. ولعلَّ السبب في حمل سيد قطب الاستفهام على التعجب هو أنَّ رزق مريم "عليها السلام" ظاهرة غير

---

[١] تعديل القوة الإنجازية في التحليل التداولي للخطاب، محمد العبد، مجلة فصول، العدد ٦٥، ٢٠٠٤-٢٠٠٥: ١٤٠.

[٢] الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م ١٤: ١٤-١٥.

[٣] في ظلال القرآن: مج١، ٣٩٣/٣.

مألوفة للبشر تثير العجب.

ويذهب البحث إلى ما ذهب إليه الطبري في كون الاستفهام استفهام مشوب بتعجب، نظرًا لما قاله الحافظ جلال الدين السيوطي:« وأمَّا التعجّب فالاستفهام معه مستمر، فمن تعجّب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه».[١]

ومن الجدير بالذّكر أنَّ معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني تحوي كثيرًا من أساليب الإِستفهام الخارجة عن معناها الحقيقي إلى المعنى البلاغي، ولكن عرضنا عنها لعدم التكرار، ورغبة في انتقاء النماذج التي لها علاقة بالمعجزة. ونكتفي بالإشارة إلى بعض منها:

١- « قالَ رَبِّ أَنّى يَكونُ لي غُلامٌ وَكانَتِ امرَأَتي عاقِرًا .....».[٢]

٢- « قالَت أَنّى يَكونُ لي غُلامٌ وَلَم يَمسَسني بَشَرٌ وَلَم أَكُ بَغِيًّا».[٣]

٣- « فَأَشارَت إِلَيهِ قالوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كانَ فِي المَهدِ صَبِيًّا ».[٤]

٤-«قالَ لَهُ موسى هَل أَتَّبِعُكَ عَلى أَن تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمتَ رُشدًا ».[٥]

٥-« وَكَيفَ تَصبِرُ عَلى ما لَم تُحِط بِهِ خُبرًا ».[٦]

فهذه الآيات تحوي أفعالًا كلاميةً تمثّلت باستعمال المتكلم لاستراتيجية الاستفهام التوجيهية المتضمنة معنى التعجب، والعرض، والإنكار.

---

[١] الاتقان في علوم القرآن: ٣/ ٢٤٠

[٢] سورة مريم، الآية: ٨.

[٣] السورة نفسها، الآية:٢٠.

[٤] السورة نفسها، الآية:٢٩.

[٥] سورة الكهف، الآية:٦٦.

[٦] السورة نفسها، الآية:٦٨.

ب- أسلوب الأمر التوجيهي في معجزات الأنبياء والأولياء

الأمـــر: أحـد أفعـال الإِسـتراتيجية التوجيهيـة، ويقصـد بـه «طلـب فعـل غيـر كف».[١] وتدلُّ عليه أربع صيغ كلامية هي: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.[٢]

والأمر من أساليب الطلب في اللغة العربية، التي تحمل معاني بلاغية متعدّدة، فيأتي أسلوب الأمر متضمنًا معاني أخرى غير الوجوب، تفهم في ضوء معرفة المتلقي لسياق الكلام، والقرائن المصاحبة، وحال المخاطب، وما يقتضي ذلك المقام، ومن هذه الأغراض الدعاء، والتمني، والتعجيز، والتهديد، والنصح، والإرشاد وغيرها من المعاني البلاغية الأخرى.[٣]

وقد استطاع الخطاب القرآني أن يطوع أسلوب الأمر التوجيهي كنسق تعبيري يجسد مضمون النص القرآني، إذ نجده في الخطاب القرآني على اصناف متعدَّدة منها ما هو حقيقي، ومنها ما هو مجازي خارج من معناه الأصلي إلى معان أخرى أفادت الغرض المطلوب من الخطاب القرآني، وهو من المنظور التداوليّ يُعدّ ذا أهمية تداولية مناسبة لطبيعة الخطاب القرآني، إذ يستعمله المتكلِّم؛ لتوجيه المتلقي إلى أداء الفعل الكلاميّ في ضوء القوة الإنجازية المستلزمة من ذلك الفعل.

---

[١] شروح التلخيص، القزويني ابن يعقوب المغربي بهاء الدين السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ١: ٣٠٨. وينظر: شرح الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم في علوم البلاغة، الشريف الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي، تحقيق الدكتور رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م: ٢٦٥.

[٢] ينظر: الأساليب الإنشائية واسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د. صباح عبيد زادة، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م :١٦.

[٣] ينظر: البلاغة والتطبيق: ١٢٤-١٢٩.

وتتمثل استراتيجية الأمر التوجيهية في الكثير من الآيات التي تضمنت معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني نذكر منها قوله تعالى:﴿ **فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ** ﴿٦٣﴾.[1]

يظهر الاستدلال على الفعل الكلامي في هذه الآية بقوله: (أضرب)، حيث إنَّ فقد أوحى الله تعالى إلى موسى أن ضرب البحر للنجاة من فرعون واتباعه وذلك باستعمال فعل الأمر الإنجازي، والغرض الإنجازي يتمثل في كون الأمر وإن كان دالا على معناه الحقيقي، لكنّه متضمن معنى الإذن. وكان باستطاعته تعالى أن يفلق البحر بإرادته وقوته لكنه أذن لنبيه للقيام بعملية الضرب؛ ليكون هو صاحب المعجزة، وبذلك يجعل من هذا الأمر آية عظيمة لموسى "عليه السلام". [2] فانفلاق البحر بضربه أعظم في النعمة وأقوى، لعلمهم أنَّ ذلك إنَّما حصل لمكانة موسى عليه السلام.[3] وشرط الإخلاص يتمثل في إرادة الله الصادقة لتوجيه موسى إلى ضرب البحر؛ ليكون هو صاحب المعجزة. وعلى هذا الأساس يكون اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات.

والقوة الإنجازية تمثلت في ضرب موسى البحر وتحقّق المعجزة بدلالة فاء الفصيحة التي افصحت عن مقدر (فضرب فانفلق)، ويتمثل ذلك بقوله تعالى: (فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ).

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

---

[1] سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

[2] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت): ٨٦/١٩.

[3] ينظر: التفسير الكبير ، محمد الرازي، فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠١، ١٩٨١: ٢٤/ ١٣٩.

*الفعل اللفظي: (اضرب).

*الفعل القضوي: ضرب موسى البحر بعصاه.

*الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة : الأمر.
- قوة إنجازية غير مباشرة: الإذن.

*الفعل التأثيري: تمثل في استجابة موسى عليه السلام لما وجه له.

ومن الآيات التي اتخذ فيها أسلوب الأمر وسيلة لإنجاز فعل الإذن أيضًا قوله تعالى:﴿ **وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴿٦٠﴾.[1]

ففعل الأمر(اضرب) في هذه الآية يدلُّ على معنى غير مباشر فليس القصد إنجاز فعل الأمر الحقيقي وإنَّما إنجاز فعل الإذن، فالغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلامي يتمثّل في الإذن لموسى "عليه السلام" بضرب الحجر؛ ليكون « أثر الضرب معجزة ظاهره له، يجريها على يديه، مع اليقين بأن الضرب بالعصا سبب ظاهر وليس مؤثرًا حقيقيًا إلا إنه لو حدث بأمر التكوين المباشر لله تعالى دون أن يكون فعل موسى سببًا ظاهرًا لما كان ذلك آية لموسى عليه السلام».[2]

ذلك أنَّ سياق الآية يبيَّن كيف طلب موسى من ربّه سقاية قومه، ويتمثل ذلك بقوله تعالى:(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ)، فلم يكن لهم موردٍ ليشربوا منه وكان قومه

[1] سورة البقرة، الآية: ٦٠.

[2] من أسرار حروف العطف في الذِّكر الحكيم ((الفاء، وثم))، د. محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م: ٧٥-٧٦.

قد تذمروا من شدَّة العطش، ولذلك دعا موسى الله تعالى بالسقاية.[1] فدعاه الله تعالى بالإذن بضرب الحجر، ويتمثل ذلك بقوله: (اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ). وشرط الإخلاص يتمثل في إرادة الله عز وجل في إظهار هذه المعجزة لموسى" عليه السلام".

ويحمل هذا الفعل الكلاميّ قوة إنجازية متمثّلة في تحقّق المعجزة وذلك بدلالة« الفاء الفصيحة* التي أفصحت عن مقدر، أي: فضربه فانفجرت».[2] والمتمثلة في انفجار الماء وتدفقه من الحجر على اثني عشر عينًا على عدد الأسباط كما هو مبيَّن في قوله تعالى: (فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ)، وفي ذلك دلالة على التزام المتلقي بالأمر ونجاح الفعل الكلامي.

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

*الفعل اللفظي: (اضرب)

*الفعل القضوي: اقتضاء ضرب موسى الحجر.

*الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: الأمر.
- قوة إنجازية غير مباشرة: الإذن بالضرب.

*الفعل التأثيري: استجابة موسى عليه السلام للفعل الكلاميّ بضربه الحجر.

وقد يكون لفظ فعل الأمر متأرجحًا بين الحمل على قوته الإنجازية الحرفية،

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير: ٥١٧/١.

*الفاء الفصيحة: وهي فصيحة لأنَّها تفصح وتكشف عما قبلها وتدلُّ عليه، أو لأنَّها تدلُّ على فصاحة المتكلّم بها، فوصفت بالفصاحة على الأسناد المجازي. ينظر: الفاء الفصيحة واستعمالاتها وتاريخها وضوابطها، د. عبد العزيز صافي الجيل مجلة آداب الرافدين، العدد٦٥، ١٤٣٢هـ- ٢٠١٣م: ٣٥.

[2] أعراب القرآن الكريم وبيانه: ١١١/١.

والحمل على قوته الإنجازية غير مباشرة من دون أن يؤثر ذلك على قصد المتكلِّم نحو قوله تعالى: ﴿ **وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ** ﴿٣٧﴾.[١]

يحمل خطاب هذه الآية قوة حرفية متمثلة في أمر "الله وجل" للنبيّ نوح "عليه السلام" بصنع السفينة كما هو واضح في قوله: (اصنع)، وهذا الأمر يحتمل أن يكون على وجه الحقيقة التي تتطلب الأمر المباشر بصنع السفينة وعلى هذا يكون القصد التأثير بالمخاطب وتعريفه أنَّه لا نجاة إلا بصنع هذه السفينة. وفي ذلك يقول الرازي: « ولما كان السبيل الذي يحصل فيه النجاة من الغرق، تكوين السفينة، لا جرم أمره الله تعالى بإصلاح السفينة وإعدادها فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر».[٢]

وعلل الألوسي سبب حمل الأمر على حقيقته بقوله: « الأمر قيل: للوجوب إذ لا سبيل إلى صيانة الروح من الغرق إلا به فيجب كوجوبها».[٣]

وقد يحتمل الأمر في قوله: (أصنع) فعلًا كلاميًا غير مباشرٍ وهو (الإباحة)، وهذا يستلزم الإباحة بصنع السفينة، لتكون معجزة له "عليه السلام" . والغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلامي يتمثل في الإباحة بصنع السفينة « وهو بمنزلة أن يتخذ الأنسان لنفسه دارًا ليسكنها ويقيم بها».[٤]

---

[١] سورة هود، الآية: ٣٧.

[٢] التفسير الكبير: ٢٣٠/١٧

[٣] روح المعاني: ١٢/ ٤٩.

[٤] التفسير الكبير: ٢٣٠/١٧.

وعلى ذلك يكون فعل الكلام الإنجازي يحمل معنى ظاهرًا صريحًا متمثلًا بالأمر، ومعنى إنجازيًّا مستلزمًا متمثل في الإباحة بصنع السفينة، حيث أوحى الله "عز وجل" إلى نبيَّه كيفية صنعها وحفظه من كل سوء أراده قومه به (بِأَعيُنِنا وَوَحيِنا)، حتى يأتي أمر الله المنتظر بهلاكهم.[1]

وشرط الإخلاص يتمثل في إرادة المولى "عز وجل" الصادقة لتوجيه النبيّ نوح "عليه السلام" لصنع السفينة، واتجاه المطابقة يكون من العالم إلى الكلمات، والقوة الإنجازية تتمثل في استجابة نوح لإمر الله تعالى وصنع ما أوحى الله به إليه.

وفي ضوء ذلك يتبين نجاح الفعل الكلاميّ في التأثير بالمتلقي وحمله على الإذعان لتلبية أمر الله تعالى.

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

*الفعل الفظي: (اصنع)

*الفعل القضوي: الاخبار صنع النبيّ نوح "عليه السلام" للسفينة.

*الفعل الإنجازي: يتكون من:

- الفعل الإنجازيّ لقوله (أصنع) يحتمل أن يكون واردًا على حقيقته وهي (الأمر) ، ويحتمل أن يكون ظاهره قوة حرفية هي (الأمر) وباطنه قوة إنجازية غير مباشرة وهيّ (الإباحة).

* الفعل التأثيري: تمثل في استجابة نوح " عليه السلام" لما أوحى الله تعالى إليه.

[1] ينظر: في ظلال القرآن: مج ٤: ١٩٨٠/١١.

ج – أسلوب النهي في معجزات الأنبياء والأولياء

النهي:

وهو أحد استراتيجيات الخطاب التوجيهيَّة، يقصد به « طلب الكف عن الفعل ».[١] وهو فعل كلاميّ قد يخرج من معناه الأصلي إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام تتمثل في: (الدعاء، والرجاء، والالتماس، والتعجيز.....وغيرها) من المعاني العروفة في علم البلاغة، وله صيغةٌ واحدٌ فقط هي المضارع المسبوق ب (لا) الناهية. [٢]

والنهي من الأساليب التوجيهية المستعملة في التعبير القرآني، فهو يحمل مضامين مختلفةً، واسعة المرامي، ذات دلالات متعدِّدة تؤدّي أغراضًا خطابيّةً مختلفةً، ووظائف تواصليةً سواء كانت تحمل معنى حقيقيًا أم مجازيًا متضمنًا أفعالا كلاميّةً غير مباشرةٍ.

وقد وظّف النصّ القرآني أسلوب النهي في معجزات الأنبياء والأولياء لإنجاز أفعال كلامية غير مباشرة، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ **وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ** ﴿٦٤﴾.[٣]

فالنبيّ صالح "عليه السلام" في هذه الآية استعمل لفظة (لا تمسوها) المتمثلة بأسلوب النهي، ولكن القصد هنا ليس المعنى الحرفي للنهي بل إنجاز فعل (التحذير)، وهذا واضح من سياق الآية، فمن عادة كلّ نبيّ يدّعي النبوَّة عند قوم

---

[١] الاتقان في علوم القرآن:٣/ ٢٤٣.

[٢] ينظر: الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني البيان البديع، علي عيسى العاكوب، وعلي سعيد الشنيوي ، مكتبة الاسكندرية، (د. ط)، ١٩٩٣م: ٢٥٨-٢٦١. وينظر: الكافي في البلاغة والبيان والبديع والمعاني، أيمن الأمين عبد الغني، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د. ط)، ٢٠١١ : ٢٣٦- ٢٣٧.

[٣] سورة هود، الآية : ٦٤.

يعبدون آلهة غير الله أن يبتدأ دعوته بالدعوة إلى عبادة الله، وإن لم يُصدَّق يتبع ذلك بمعجزة تؤيد نبوَّته وصدقه فيما يقول، وأمر النبيّ صالح "عليه السلام" هكذا أيضًا، حيث طلب منه قومه الإتيان بمعجزة تكون دالةً على صدق نبوَّته، فسألوه أن يأتيهم بآية، وهي أن يخرج لهم ناقة من صخرة أشاروا إليها، فتمَّ الطلب وخرجت الناقة من الصخرة التي أشاروا إليها.[1] ونلحظ من « إضافتها لله :(هذه ناقة الله لكم) وفي تخصيصها لهم: (لكم آية) ما يشير إلى أنَّها ذات صفة خاصة مميزة، يعلمون بها أنَّها آية لهم من الله».[2] فكانت آية لهم لضمان إقناعهم بصدقه، والتوجيه لمعرفة الله تعالى، لكنهم تمادوا في غيهم وضلالهم، فأمرهم بترك الناقة تأكل من أرض الله.

وشرط الإخلاص في قول النبيّ يتمثل في الرغبة الصادقة في تحذير قومه من التعرض لهذه الآية المعجزة بالسوء؛ لما سيحل عليهم من العذاب بعد ذلك. ولكن لم يتلقَ القبول من قومه، فالقوة الإنجازية لهذا الفعل جاءت سلبية تمثلت في عدم استماعهم له، ورفضهم ما أمرهم به، وسبب فشل الفعل الكلامي هنا هو عناد قوم صالح، وتكبّرهم، وطغيانهم؛ لذلك استحقوا العذاب المنزل من الله " عز وجل" عليهم.

ويمكن تحليل الفعل الكلاميّ كالآتي:

الفعل اللفظي: (لا تمسّوها).

١- الفعل القضوي: عدم التعرض للناقة بالسوء

٢- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية حرفية: النهي
- قوة إنجازية مستلزمة: التحذير

---

[1] ينظر: التفسير الكبير:٢٠/١٨.

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: مج٤، ١٢/ ١٩٠٨. وينظر: التحرير والتنوير، ١٢: ١١٣.

٣- الفعل التأثيري: هنا لم يتأثر قوم صالح بكلام نبيهم فلم هناك فعلا تأثيريًا وهو ما يسمى بفشل الفعل الكلامي وهو هنا ناتج بسبب عناد قوم صالح وتكبرهم.

ومما جاء من النهي لإنجاز فعل (التحذير) أيضًا قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾.[١]

الفعل الكلاميّ الوارد في هذه الآية يتمثل في استعمال الخضر "عليه السلام" الإستراتيجية (النهي)؛ لتوجيه موسى" عليه السلام" للصبر على ما لم يحط به علمًا، وشكَّل هذا الفعل الكلاميّ غرضًا إنجازيًا تمثل في القصد من وراء هذا النهي، وهو تحذير المخاطَب من اِتباعه؛ لأنَّه يعلم أنَّه سيرى أمورًا تشق عليه رؤيتها، لذا جعل شرط اِتباعه عدم السؤال « فقال: لا تسألني عن شيء أعمله مما تذكره، ولا تعترض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرًا)، حتى أبتدئ لك بذكره، فأبين لك شأنه».[٢] فلا يؤذن لموسى عليه السلام أن يبتدأه والإستخبار، وإنَّما وجب عليه أن يصبر حتى يبتدئه هو بالإخبار.

وشرط الإخلاص يتمثل في رغبة الخضر " عليه السلام" في تحذير موسى "عليه السلام" مما يراه من الأمور، والقوة الإنجازية لهذا الفعل الكلاميّ تتمثل بالتأثير بالمخاطَب ووعده للمتكلِّم بالصبر على ما سيراه، وإن كان يشق عليه أمره، وقيد المخاطَب وعده بقدرة الله ومشيئته فقال: (ستجدني إن شاء الله صابرًا)، فهو يعلم أنه سيرى أمورًا لا يستطيع الصبر عليها، لذلك قيدها بالمشيئة كي لا يُعدّ كاذبًا. [٣]

---

[١] سورة الكهف، الآية:٧٠

[٢] معالم التنزيل،معالم التنزيل، أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الهدى النمر، وعثمان جمعه، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، (د. ط) ١٤٠٩م.: مج ٥، ١٥/ ١٨٩. وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٣٩/١٣.

[٣] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٣٩/١٣.

ونستنتج في ضوء هذا الخطاب المتمثل في استعمال أسلوب النهي إنَّما كان يحمل المتلقي على الصبر على الأمور التي ستكون أمام عينيه؛ كونه من الصالحين فلا يقبل المُنكَر، وإنَّ ما يشاهده من أمور ظاهرها منكر، وباطنها يحمل حكمة الله ومشيئته.

ويمكن تحليل الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (لا تسألني)

٢-الفعل القضوي: عدم سؤال موسى "عليه السلام" للخضر عليه السلام طيلة الرحلة.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: النهي
- قوة إنجازية غير مباشرة: التحذير

٤- الفعل التأثيري: وعد موسى "عليه السلام" بعدم السؤال وتقييده ذلك بالمشيئة.

وقد يتخذ النهي وسيلة لإنجاز فعل التصبر والتسلية نحو قولة تعالى:﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِين** ﴾.[١]

في هذه الآية ينهى الله " عز وجل" أم موسى " عليه السلام" بقوله: (لا تخافي ولا تحزني)، وهو بقوله هذا ينجز فعلًا كلاميًا غير مباشر وهو(التسلية والتصبر) على قلب أم موسى " عليها السلام" أيّ «لا تخافي عليه ضيعة أو شدَّة من عدم رضاعه في سن الرضاع، ولا تحزني من مفارقتك إياه (إنا رادوه إليك) عن قريب بحيث تأمنين عليه».[٢]

---

[١] سورة القصص، الآية:٧.

[٢] روح المعاني:٢٠/٤٥.

والملاحظ أنه سبحانه وتعالى قد كرر الفعل الكلاميّ في هذه الآية، وقد أفاد ذلك زيادة التأكيد والاطمئنان و«أفاد تكرار النهي تطمين أم موسى، وتهدئة هواجسها، وتخفيف صراعها».[1] حول أمر وليدها، وما سيكون عليه عندما تلقي به في البحر، وهو لايزال في سن الرضاع.

ولم يكن هذا النهي الصادر من الله "عز وجل" بالصيغة المباشرة المعروفة، فكلام الله مع البشر لا يكون إلا بواسطة، والدليل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[2]، لذلك كان نهي أم موسى عن طريق الإلهام بالوحي*فمن أوحى إليها عن طريق الإلهام أن تلقيه في اليم أوحى إليها ألَّا تخاف ولا تحزن.

وشرط الاخلاص يتمثل في إرادة الحق تعالى في ربط قلب أم موسى "عليها السلام" بالتصبر والامتثال لأمره بإلقاء موسى في اليم لتّتولى له المعجزات بعد ذلك. واتجاه المطابقة يكون من العالم إلى الكلمات، وهذا الفعل يحمل قوة تأثيرية تمثلت باستجابة أم موسى" عليها السلام" لما أمرت به، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾.[3] فلا يكون الالتقاط إلا بعد الإلقاء.

ويمكن تحليل الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (لا تخافي، ولا تحزني).

---

[1] لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية، فوز سهيل كامل، الجوهرة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ٢١٥.

[2] سورة الشورى، الآية: ٥١.

* ويقصد به الإلهام الصادق الذي يلقيه الله تعالى في قلوب عباده الصالحين؛ ليوقع في نفوسهم الإيمان بما الهمهم به للعمل به. ينظر التحرير والتنوير: ٢٠/ ٧٣. وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ١٠.

[3] سورة القصص، الآية: ٨.

٢- الفعل القضوي: اقتضاء عدم خوف أمّ موسى وعدم حزنها.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية حرفية: النهي
- قوة إنجازية مستلزمة: التسلية والتصبر

٤- الفعل التأثيري: استجابة أم موسى " عليه السلام" لأمر الله عز وجل بألقاء ولدها باليم.

ومما خرج إليه أسلوب النهي أيضًا إنجاز فعل (التسلية والبشارة) نحو قوله تعالى: ﴿ **فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾.[١]

في هذه الآية يوجه الحق تعالى مريم " عليها السلام" إلى الصبر على الحال التي هي فيها بإنجاز فعل القول(لا تحزني) على لسان عيسى "عليه السلام"؛ إذ إنَّها « عرفت أنَّها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها».[٢] فتمنت الموت في تلك اللحظة وهذا واضح في قولها: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾.[٣] فهي في حالة ترى الموت أهون عليها من هذا البلاء.

والغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلامي متمثل في خروج فعل النهي عن صيغته المباشرة إلى المعنى غير المباشر وهو (التسلية والبشارة)، وقد أوضح هذا الغرض المنجز ابن عاشور بقوله « ناداها عند وضعه قبل أن ترفعه مبادرة للتسلية والبشارة، تصويرًا لتلك الحالة حالة اتصال الصبيّ بأمه ».[٤]

---

[١] سورة مريم، الآية: ٢٤.

[٢] تفسير القرآن العظيم: ١١٨٤.

[٣] سورة مريم، الآية: ٢٣.

[٤] التحرير والتنوير: ٨٧/١٦.

وقول ابن عاشور هذا يدلُّ على أن المنادي هو عيسى "عليه السلام" فالغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلامي ليس مجرد النهي عن الحزن حقيقة كما يدلُّ عليه المعنى اللفظي، وإنَّما توجيه مريم "عليها السلام" إلى التحلّي بالصبر وبشارة لها أنَّ الله حافظها ومؤيدها. وقد جاءت جملة (قد جعل ربك تحتك سريًا) على وجه« خبر مراد به التعليل لجملة " ألّا تحزني« أيّ أنَّ حالتك حالة جديرة بالمسرة دون الحزن لما فيها من الكرامة الإلهية».[1]

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (لا تحزني)

٢- الفعل القضوي: اقتضاء عدم حزن مريم" عليها السلام"

٣- الفعل الإنجازي: تتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: النهي
- قوة إنجازية غير مباشرة: التسلية والبشارة بوصفها في حالة جديرة بالمسرة.

٤- الفعل التأثيري: صبر مريم" عليها السلام" ومواجهة قومها فقد ذهبت إليهم وهي تعلم إنهم لم يحملوا أمرها على السداد معه استجابة لإمره تعالى.

[1] التحرير والتنوير: ١٦/٨٧.

د – أسلوب النداء في معجزات الأنبياء والأولياء

النداء:

هو أحد أساليب الاستراتيجية التوجيهيَّة، «وهو طلب الإقبال ب(يا) أو إحدى أخواتها».[١] ويرتبط أسلوب النداء في التعبير القرآني بأفعال التكليف الأخرى كالأمر والنهي، والاِستفهام، والإخبار ونحوها، وهو يُعدّ مدخلًا للأفعال الكلامية الأخرى، فهو أول فعل كلامي يستعمله المخاطِب؛ ليتمكّن بعد ذلك من تحديد مقاصده عن طريق أفعال الطلب الأخرى. [٢] وتستعمل هذه الاستراتيجية في النص القرآني بدلالاتها المتنوعة التي تحقق الغرض من الخطاب، فيأتي النداء متضمنًا معاني عدة منها: التحسر والتعجب والاختصاص والدعاء ...الخ. [٣] وأبرز أدواته هي : الياء ، وهيا، وأيا ، والهمزة ، ووا. [٤]

والنداء من الأفعال الكلامية التوجيهية التي يستعملها الخطاب القرآني؛ لتنبيه المنادى؛ فيستعد لتلقّي الخطاب الموجه له بفعلٍ طلبي آخر يأتي بعد أسلوب النداء،

---

[١] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الانصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، د ت، ٤: ٣. وينظر: مختصر النحو، عبد الهادي الفضلي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط٧، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م:٢٠٠.

[٢] ينظر: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية، بو فرمة حكيمة، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، العدد٣، ماي ٢٠٠٨: ١٢.

[٣] ينظر: علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق :١١٨.

[٤] ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى شرح السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، ٢: ٤٤٢. وينظر: النحو العربي، إبراهيم بركات، دار النشر للجامعات، مصر، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م:١١. وينظر: البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قليقلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٢-١٩٩٢: ١٨١.

لـه دور كبيـر فـي توجيـه المتلقـي لأداء فعل معين، فيحـرص الخطـاب القرآنـي علـى توجيـه المتلقـي، وتنبيهـه، فيسـتعمل بـذلك أداة النـداء المناسـبة، فيخاطـب كـلًّا بحسـب مكانتـه ولغتـه، وهـذا يعـود إلـى تلـك الخصوصـية التـي يتميـز بهـا الخطـاب القرآنـي المرتبطة بالقوة والقدرة الإلهية.

وقد ورد النداء في معجزات الأنبياء والأولياء متأرجحًا بين دلالته الحرفية التي يكسبها سياق الكلام دلالات إضافية وبين الدلالة غير الحرفية، ومما ورد في دلالته الحرفية قوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴿٤٦﴾﴾.[1]

ابتدأت هذه الآية بأسلوب النداء المتمثل في نداء ساقي الملك ليوسف "عليه السلام" وتخصيصه بفعل الأمر (أفتنا)؛ ليكون هو صاحب المعجزة معجزة تأويل الأحاديث. وإضافة لقب الصديق له « وهو المبالغ في الصدق؛ لأنَّه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه». [2] وهو بقوله هذا يكون قد أنجز فعلًا كلاميًا تمثل في توجيه يوسف "عليه السلام" وتخصيصه لتأويل رؤيا الملك، وقد دلَّ حذف الأداة على« أن المنادى هو في أقرب منازل القرب من المنادي، حتى أنَّه لم يحتج إلى ذكر أداة نداء لشدَّة قربه».[3]

وشرط الإخلاص لهذا الفعل الكلاميّ يتمثل في رغبة ساقي الملك الصادقة في تأويل النبيّ يوسف "عليه السلام" لرؤيا الملك (لَعَلّي أَرجِعُ إِلَى النّاسِ لَعَلَّهُم يَعلَمونَ)،

---

[1] سورة يوسف، الآية: ٤٦.

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٦٦/٣.

[3] الكافي في البلاغة، أيمن الأمين:٣٥٨.

إذ إنَّه أراد أن يعلم القوم بمكانة يوسف وفضله؛ لعله يكون سبيلًا إلى خروجه من السجن وخلاصه منه.[١] وعلى هذا يكون اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات.

ويحمل هذا الفعل الكلاميّ في طياته قوة إنجازية تمثلت في التأثير بالمتلقي وتوجيهه لتأويل الرؤيا. « وهذا معناه أن علوم النبوة التي آتاها الله ليوسف " عليه السلام" واختصّه بها قد تفجرت وجاء حينها، معناه أنَّ الله " عز وجل" يسوق بدايات التمكين ليوسف في الأرض».[٢] فقد كان لهذه المعجزة أثر في خروجه من السجن« فالله وإن ألقى يوسف في السجن، ولكنه تعالى يرعاه ويتولاه ولا ينساه». [٣]

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (يوسف أيّها الصديق).

٢- الفعل القضوي: يتمثل في طلب ساقي الملك من يوسف "عليه السلام" تأويل رؤياه.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية حرفية: تمثلت في نداء ساقي الملك للنبيّ يوسف " عليه السلام" على وجه التخصيص والتوكيد.

٤- الفعل التأثيري: استجابة يوسف "عليه السلام" لساقي الملك بتأويل رؤياه.

وقد وظّف أسلوب النداء أيضًا في قوله تعالى:﴿**وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ**﴾[٤]

---

[١] ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، لبنان، د ط،١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م: ٣٦٤/٥.

[٢] حياة يوسف، محمد شلبي، دار الجبل، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت: ٩٤.

[٣] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٤] سورة القصص، الآية: ٣١.

الخطاب في هذه الآية صادر من المولى "عزو جل" إلى النبيّ موسى" عليه السلام" على وجه التأكيد والتخصيص، فموسى "عليه السلام" عند رؤيته معجزة انقلاب العصا إلى ثعبان ولى هاربًا خائفًا، فناداه الله " عز وجل" بقوله: (يا موسى اقبل ولا تخف) باستعمال فعل الكلام المتمثل (بالنداء)، إذ نودي موسى بالنداء العلوي المطمئن وأعلن عن طبيعة التكليف الذي سيلقاه.[١] واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، والغرض الإنجازي للنداء في هذه الآية جاء على وجه التوكيد؛ لينزع منه كلّ ما يخالجه من شك، ويبعد عنه ما يعتريه من تردد وخوف، وكذلك توجيه موسى إلى الأقبال باطمئنان باستعمال قوله: (إنَّك من الآمنين) للدلالة على أنَّه آمن في حضرة المولى " عز وجل" فقوله هذا «فيه زيادة وتحقيق أمنه بما دلّ عليه التأكيد بأنَّ جعله في جملة الآمنين، فإنَّه أشدّ في تحقيق الأمن من أن يقال أنك آمن». [٢]

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلامي كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (يا موسى أقبل ولا تخف)

٢-الفعل القضوي: اقبال موسى " عليه السلام" وعدم خوفه.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة تمثلت في الاطمئنان القلبي للنبي موسى " عليه السلام" جاءت على وجه التأكيد والاطمئنان.

٤- الفعل التأثيري: استجابة موسى " عليه السلام" لندائه تعالى والأقبال لحمل العصى.

---

[١] ينظر: في ظلال القرآن: مج ٥، ٢٠/ ٢٦٩٢.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير: ١١٣/٢٠

وقد يوظف النداء لإنجاز فعل كلامي غير مباشر وهو (الدعاء) نحو قوله تعالى:﴿ **قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ** ﴿١١٤﴾. [1]

في هذه الآية يخرج فعل النداء عن حقيقته المتمثلة في تنبيه السامع إلى إنجاز فعل (الدعاء)، فالمخاطِب هو النبيّ عيسى "عليه السلام"، والمخاطَب هو الله تعالى، فتغير وجه الطلب من الأدنى إلى الأعلى يخرج النداء عن حقيقته، ويلزمه معنى (الدعاء) وهذا ما أوضحه سياق الآية أيضًا، فسياق الآية يكشف لنا دعاء النبيّ عيسى "عليه السلام" طالبًا من الله عز وجل إنزال مائدة من السماء استجابة لطلب الحواريين كي تكون معجزة لهم.

أمَّا اتجاه المطابقة فيكون من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص يتمثل في صدق النبيّ عيسى في طلب المعجزة وكان عليه السلام قد عبأ كلاميًا « وجمع بين النداء باسم الذات الجامع لصفات الجلال وبين النداء بوصفه بالربوبية له وللحواريين استعطافا لله ليجيب دعائهم».[2]

وهذا الفعل الكلاميّ له قوة تأثيرية تمثلت في استجابة الحق تعالى دعاءه في إنزال المائدة وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾.[3]

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (اللهم ربنا أنزل...).

---

[1] سورة المائدة، الآية:١١٤.

[2] التحرير والتنوير: ٧: ١٠٨.

[3] سورة المائدة ، الآية: ١١٥.

٢- الفعل القضوي: طلب النبيّ عيسى " عليه السلام" من الحق تعالى إنزال مائدة من السماء.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: النداء
- قوة إنجازية غير مباشرة: الدعاء.

٤- الفعل التأثيري: تمثل في استجابة الله "عز وجل " للنبيّ عيسى " عليه السلام" بإظهار المعجزة.

ومما يلفت الانتباه في أسلوب النداء في معجزات الأنبياء والأولياء في الخطاب القرآني هو انتقال النصّ من نداء ما يعقل إلى نداء ما لا يعقل، وهذا الخطاب فيه التفاته خاصّة؛ لأنَّه خطاب جاء على غير المعتاد، فمن المعروف أنَّ الخطاب يكون للشخص العاقل، ولا يخاطب غير العاقل إلا لقضيّة ما، تحمل دلالة ضمنية، وخطاب الله تعالى لغير العاقل في القرآن الكريم جاء على صورٍ عدّة فتارة يخاطب النحل، وأخرى يخاطب السماء والأرض، وأخرى يخاطب الطير والجبال.

ومن خطاب غير العاقل في معجزات الأنبياء والأولياء قوله تعالى:﴿ **قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ** ﴿٦٨﴾**قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ** ﴿٦٩﴾.[1]

فالمولى "عز وجل" في هذه الآية يخاطب (النار) وهي مما لا يعقل، وقد استعمل لخطابها أسلوب النداء الذي يقوم على توجيه المتلقّي لأمر ما، فالنداء في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في الدلالة الإعجازية الدالة على عظيم قدرة الله "عز وجل" «فالانزياح الحاصل هنا ليس انزياحًا تركيبيًا فحسب، بل هو انزياح على مستوى الدلالة بوجود قوة ما وراء الأفق المعرفي لدى المتلقي تحرك هذه الموجودات

[1] سورة الانبياء، الآية: (٦٨-٦٩).

وتجعلها طيعة بتكوينها فيتحقق الإعجاز وبجانب آخر يكون مدعاة للأيمان بوجود الخالق».[١] فالقوة الإنجازية لهذا النداء جاءت متحققة في سلب الله قوة النار وقدرتها على الأحراق حيث « إنَّ الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والإحراق، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق، والله على كلِّ شيء قدير».[٢]

وقد أظهر الله سبحانه وتعالى تلك المعجزة لإبراهيم" عليه السلام" بعدما أرادوا إهلاكه، فكان أمر الله غالبًا على أمرهم. واتجاه المطابقة لهذا الفعل الكلاميّ يكون من العالم إلى الكلمات.

فبمجرد نطق هذا الفعل الكلامي والتنبيه له باستعمال حرف النداء (الياء) تحققت المعجزة، والتي تمثلت في سلب قوة النار وقدرتها على الإحراق؛ لتكون بردًا وسلامًا على إبراهيم " عليه السلام"، حيث خاطب الله "عز وجل" النار فأطاعت وانقادت لأمره فكانت بردًا وسلامًا عليه، وفي هذا التعبير تصوير لنفاذ قدرة الله في مخلوقاته.

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (يا نار).

٢- الفعل القضوي: أمر النار أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: تمثلت في نداء ما لا يعقل.
- قوة إنجازية غير مباشرة: بيان قدرة الله عز وجل وعظمته ونفاذ أمره في مخلوقاته.

٤- الفعل التأثيري: امتثال النار لأمر الله " عز وجل" إذ أصبحت بردًا وسلامًا.

---

[١] القيم الدلالية في أساليب الحوار القرآني مع غير العاقل، د. صباح عيدان حمود، مجلة آداب البصرة، العدد، ٧٢، ٢٠١٥: ١٠٥.

[٢] التفسير الكبير: ٢٢/ ١٨٩.

ومما جاء فيه الخطاب القرآني بنداء ما لا يعقل قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ** ﴾.[1]

في هذه الآية يخاطب الله تعالى الجبال والطير فينزلها منزلة العاقل المستجيب لما أُمر به، باستعمال فعل الكلام الطلبي المتمثل بأسلوب النداء(يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ)، وتصدير الآية بالنداء يدلُّ على أهمية الأمر الذي يأتي بعدها، وهو هنا فعل الأمر (أوبي)*، المتضمن معنى «التكوين والتسخير».[2] وهذا الفعل يحمل قوة إنجازية متمثلة في التأثير بالمخاطب وقيامه بعملية التسبيح، وهذا « بيان للفضل الذي أوتى داود».[3] "عليه السلام" إذ يكشف سياق هذه الآية عن هذه المعجزة امتثال الجبال والطير لأمر الله تعالى وقيامها بالتسبيح مع نبيِّه داود " عليه لسلام" وكأنها كائنات حيَّة تفهم ما يقال لها، وهذا يوحي بأنَّ النبيّ داود عليه السلام « قد بلغ من الشفافية والتجرد في تسابيحه أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات، فاتصلت حقيقتها بحقيقته، في تسبيح بارئها وبارئه، ورجّعت معه الجبال والطير؛ إذ لم يعد بين وجودها ووجوده فاصل ولا حاجز، اتصلت كلها بالله صلة واحده مباشره».[4] وشرط الإخلاص يتمثل في إرادة المولى عز وجل في إظهار المعجزة لداوود عليه السلام وإظهار قدرة مبدع النصّ القرآني في تسخير ما لا يعقل.

وهذا يدلُّ على أنَّ الله تعالى يسخر ما يشاء لعباده، فهو القادر على كل شيء، وإن كانت هذه خارقة للعادة فهو المسخر سبحانه.

---

[1] سورة سبأ، الآية: ١٠.

[2] التحرير والتنوير: ١٥٦/٢٢.

[3] الميزان في تفسير القرآن:٣٦٨/١٦

[4] في ظلال القرآن،: مج٥، ٢٨٩٧/٢٢

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (يا جبال أبي معه والطير)

٢- الفعل القضوي: اقتضاء تسبيح الجبال والطير مع داوود "عليه السلام".

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية حرفية: تمثلت في نداء غير العاقل تنبيها له للامتثال لأمر الله تعالى، والدلالة على عظمته ونفاذ أمره في مخلوقاته وإن كان مما لا يعقل.

٤- الفعل التأثيري: استجابة الطير والجبال لأمر الله تعالى (أوبي).

ثانيا: أفعال الكلام الإخباريَّة في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

الإخبارياتAssertives: وهي نوع من أفعال الكلام يستعملها المتكلِّم لتقديم الخبر على وجه الحقيقة، وذلك بواسطة تقديمه للخبر بوصفه تمثيلًا لحالة موجودة في العالم.[١] والغرض الإنجازي لهذه الأفعال يتمثل في « تحمل المتكلِّم مسؤولية صدق القضيَّة المعبر عنها».[٢] فغرضها « إنجازي إخباري مثل التقرير، والزعم، والوصف، والتنبؤ».[٣] وتوصف هذه الأفعال بأنَّها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها يكون من الكلمات إلى العالم.[٤]

وقد حوى الخطاب القرآني جملة من الإخباريَّات، واتخذ من الخبر وسيلة لنقل الأخبار، وتقرير الحقائق، ووصف الحوادث وغير ذلك، والغرض من هذه الأفعال في التعبير القرآني نقل المتكلِّم واقعة ما من خلال قضيّة ما نقلًا صادقًا وأمينًا، وقد تمثل ذلك في القصص القرآني ولاسيما في معجزات الأنبياء والأولياء، إذ نجد أنَّ التعبير القرآني ينقل لنا المعجزة نقلًا أمينًا صادقًا ؛ ليثير في المتلقي أمرًا ما.

ومما جاء منجزًا لفعل الإخبار قوله تعالى:﴿ ۞**وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا.**[٥]

تصف هذه الآية حال أصحاب الكهف وما أكرمهم الله تعالى به وقدرته في

---

[١] ينظر: العقل واللغة والمجتمع: ١٨٣.

[٢] نظرية الأفعال الكلامية: ٣٣.

[٣] اللغة والفعل الكلاميّ والإتصال: ٩٧.

[٤] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٨-٧٩.

[٥] سورة الكهف، الآية: ١٧.

خلقه، فقوله (تزاور) و(تقرضهم) تُعدُّ أفعالًا كلاميةً إخباريةً، فهي تصف حال هؤلاء الفتية وهم نيام في كهفهم، فيقول الله تعالى مبتدأً في وصف حالهم:(وترى الشمس ...)، ومعنى ذلك أنَّ الله تعالى جعل نور الشمس ينفذ إلى ذلك الكهف، ولكنّه لا يقع عليهم فيؤدي إلى الحاق الأذى بهم، فهم كانوا وسط الكهف، لذلك جعل الشمس نورًا لهم، وعاملهم كأنَّهم أحياء وهم بحاجة إليها.[1] وهذا يُعدُّ أمرًا معجزًا وهبه الله لهؤلاء الفتية الذين آمنوا به بصدق، لذلك نجده سبحانه يصف هذه المعجزة، ويستعمل لها لفظ الآية (ذلك من آيات الله)، أيّ إنَّها بمشيئة الله تعالى وقدرته وفضله عليهم.

والقوة الإنجازية لهذا الفعل الإخباري متمثّلة في تقرير واقع الفتية وهم نيام في كهفهم، ووصف ذلك وصفًا صادقًا وأمينًا، وبما أنَّ الكلام من عند الله تعالى فلا شك في توفّر شرط الإخلاص لهذين الفعليين الإخباريين.

ويمكن تحليل الفعل الكلامي كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (تزاور، تقرضهم)

٢- الفعل القضوي: الإخبار عن أصحاب الكهف وهم نيام في كهفهم مدة طويلة.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: تمثلت في تقرير قصة أصحاب الكهف ووصفها وصفًا صادقًا أمينًا.

وقد تتحول القولات ذات الشكل الإخباري لتنجز أفعالا أخرى تفهم من سياق الكلام، ومن ذلك خروج فعل الإخبار لإنجاز فعل (التعجّب) نحو قوله

[1] ينظر: القصص القرآنية، آية الله العظمى جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران، قم، ط١، ١٤٢٨هـ: ٢/٥٣٦.

تعالى:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾.[1]

ففي هذه الآية تنتقل لفظة (تحسبهم) من إنجازيتها الإخبارية الحرفية إلى الإنجازية التعجّبية، فهذا الفعل الإخباري يحمل قوة إنجازية متمثلة في التعجّب من حالهم، قال ابن عاشور: «وهو تعجيب من حالهم عن لو رآه من النّاس».[2] أيَّ أنَّك لو رأيتهم لتعجّبت مما رأيت؛ إذ إنَّه تعالى أبقاهم على قيد الحياة، وأبقى أعينهم مفتوحة في نومهم كحال الإيقاظ، فالذي ينظر إليهم يجد الحياة تدبّ في أجاسدهم، ولذلك يحسبهم من شدّة ما رآه يقضين منتبهين لا نيامًا، ولأجل ألَّا تتأثر أبدانهم بالأرض بسبب طول المكث عليها جعلهم يتقلبون يمينًا وشمالًا، وكلُّ ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى ومعجزة منه تجعل العقول تذهل لها، ونجده سبحانه ينسب ذلك الأمر إلى نفسه فيقول: (ونقلّبهم)، فلا يكون بذلك تقلبهم من جهة إلى أخرى من عند أنفسهم، وإنَّما بقدرة الله تعالى وهذا من رحمته وكرامة لهم. [3]

وبهذا يكون اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص يتمثل في صدق المولى "عز وجل".

ويمكن تحليل الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (تحسبهم).

٢- الفعل القضوي: سرد أحداث قصة أصحاب الكهف.

٣- الفعل الإنجازي: يتكوّن من:

---

[1] سورة الكهف، الآية: (١٧-١٨).

[2] التحرير والتنوير: ٢٨٠/١٦.

[3] ينظر: القصص القرآنية: ٥٣٧/٢.

- قوة إنجازية مباشرة: تقرير قصة أصحاب الكهف ووصفها.
- قوة إنجازية غير مباشرة: التعجَّب.

ومما يخرج لإنجاز فعل (التعجّب) أيضًا قوله تعالى: ﴿ **سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ**﴾.[1]

فالحق سبحانه وتعالى بقوله (سبحان) لا يقصد إنجاز فعل الإخبار المباشر والمتمثل في إخبار السامعين بقضيّة الأسراء والمعراج، وإنَّما يتعدى الأخبار لينجز فعلًا كلاميًا غير مباشر وهو (التعجّب)، فالغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلاميّ متمثل في «تعجيب السامعين لأنَّه لا يستقيم تعجب المتكلَّم من فعل نفسه».[2] من هذه المعجزة وكيفية الإنتقال الخارق للعادة «وإنَّما أراد الله تعالى أن يعجّب القارئ في كلَّ زمان ومكان من قدرته على ما يشاء، فهو يفعل ما يشاء، وأنى يشاء، فهو على كلِّ شيء قدير، وفي ذلك «دلالة على عظيم القدرة من المتكلِّم، ورفيع منزلة المتحدث عنه».[3] حيث إنَّه تعالى «سميع لأقوال عباده بصير بأفعالهم، وقد سمع مقال عبده ورأى ما استدعى أن يكرمه هذا الإكرام، فيسري به ليلًا ويريه من آياته الكبرى».[4]

وفي ضوء ذلك نلمح أنَّ المتكلِّم قد أنجز فعل (التعجّب) عن طريق الإخبار جاعلًا من القضيّة والخبر محل تعجّب السامعين لمعجزة الإسراء والمعراج.

ويمكن تحليل الفعل الكلاميّ كالآتي:

---

[1] سورة الإسراء، الآية:١

[2] التحرير والتنوير: ١٠/١٥.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] تفسير القرآن العظيم: ١٠٨٢.

١- الفعل اللفظي: (سبحان)!.

٢- الفعل القضوي: تقرير أحداث قصة الإسراء والمعراج.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: الوصف والتقرير.
- قوة إنجازية غير مباشرة: التعجّب.

وقد توظف القولات الإخبارية لإنجاز فعل (الوعد) نحو قوله تعالى: ﴿**فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿٣٩﴾**﴾.[١]

في هذه الآية يستعمل المتكلِّم فعل الكلام الإخباريّ (أنَّ الله يبشرك)، وهو فعل غير مباشر متضمن معنى الوعد، فقوله: (يبشرك)، « جواب لندائه عليه السلام ووعد بإجابة دعائه كما يفهمه التعبير بالبشارة دون الإعطاء».[٢] فإخبار النبيّ زكريا " عليه السلام" هنا لم يكن بصيغته المباشرة التي تقتضي الوصف والتقرير، وإنَّما كانت بطريقة غير مباشرة تمثلت في تضمينها معنى الوعد «ولنجاح هذه التقريرات يشترط حيازة المتكلِّم على شواهد ترجح صدق محتوى القضيَّة التي تقررها».[٣] ولذلك يُقدِّم المتكلِّم مجموعة من الشواهد على صدق هذا الإخبار منها:

- الأول: استعمال حرف التوكيد(أنَّ) لتقوية الخبر وتمكينه في نفس المتلقي وإزالة الشكّ عن قلبه، ومجيء اسم (الله) بعد أداة التوكيد يدل على أن المعطي هو الله " عزَّ وجل"
- والثاني: يتمثل في ذكر اسم الغلام(يحيى).

---

[١] سورة آل عمران، الآية:٣٩.

[٢] روح المعاني: ١٦/ ٦٥

[٣] تداولية الخطاب الإقناعي في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، يوسف نجعوم، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي. ٢٠١٧- ٢٠١٨: ٢٢١.

- والثالث: ذكر صفات هذا الغلام المتمثلة في قولة: (مصدقًا بكلمةٍ من الله) يقصد به عيسى "عليه السلام" فقد وصفه الله تعالى بأنَّه كلمة الله كما جاء في قوله تعالى: « يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه».[١]، ولاشك أنَّ تصديق الرسول يدلُّ على صدق التأمل السريع لمعرفة الحق. [٢] ومن صفاته أيضًا أنَّه سيدٌ وحصورٌ ونبيّ من الصالحين، يقول قطب: « سيدًا كريمًا وحصورًا يحصر نفسه عن الشهوات، ويملك زمام نزعاته من الِانفعالات، ومؤمنًا مصدقًا بكلمةٍ تأتيه من الله، ونبيًا صالحًا في موكب الصالحين».[٣] فهذه الآيات تدلُّ على صدق القضيّة ووقوع هذه المعجزة.

فنداء زكريا "عليه السلام" كان يتضمّن الذرية الطيبة « وهب لي من لدنك...».[٤] ولاشك أنَّ كلام الله تعالى لا يوجد ارتياب في أمره؛ لكَّن الله تعالى يُقدَّم هذه الشواهد لتكون أدلة يدعم بها نبيَّه زكريا عليه السلام ويدحض حجَّة أعدائه.

١- الفعل اللفظي: (أن الله يبشرك)

٢- الفعل القضوي: استجابة دعاء النبيّ زكريا "عليه السلام"

٣- الفعل الإنجازي: يتكوّن من:

- قوة إنجازية مباشرة: الوصف والتقرير.
- قوة إنجازية غير مباشرة: الوعد.

ومن الأغراض الإنجازية التي خرج إليها فعل الإخبار إنجاز فعل (التحذير) نحو قوله تعالى:﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾.[٥]

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٢٣٩-٢٤٠.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٢٣٩-٢٤٠.

[٣] في ظلال القرآن: مج١، ٣٩٤/٣

[٤] ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٢٣٩-٢٤٠.

[٥] سرة القمر، الآية:١

استعمل الخطاب القرآني في هذه الآية فعل الكلام (اقترب)، وهو فعل لفظي دال على قرب يوم القيامة، وقد استعمل « التعبير بالماضي لتحقق الوقوع».[١]

أي أنَّ هذا الأمر واقع لامحالة، فهو قدر لا سبيل لمنعه. والغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلاميّ تمثل في خروج فعل(الإخبار) لإنجاز فعل (التحذير والإنذار)، فيخبر الله "عز وجل" عباده فيحذرهم، وينذرهم من اقتراب يوم القيامة، والإِستعداد لأهوالها، قبل أن يأتي يومها، وهم في غفلة عنها. [٢] ثم يعطف على هذا الفعل الإخباري بفعل إخباري آخر متمثل بقوله (انشق القمر)؛ ليخبر عباده عن أعظم معاجز الرسول محمّد " صلى الله عليه وآله" وهي انشقاق القمر، فهذه الآية دلالة واضحة على هذه المعجزة العظيمة التي حصلت للنبيّ محمّد " صلى الله عليه وآله"، ومن أصدق من كتاب الله تعالى في نقل الإخبار.

وهذا الفعل الكلامي يحمل قوة إنجازية متمثلة في تنبيه العقل البشريّ فهذه الحادثة تعد «لمسة للقلب البشريّ ليستيقظ ويستجيب».[٣] قبل فوات الأوان والدليل على ذلك قوله: « ولكلِّ أمر مستقر».[٤] أيّ كلّ ما نفعله « من خير أو شر قراره ومنتهاه نهايته ، فالخير مستقر بأهله في الجنَّة، والشَّر مستقر بأهله في النار». [٥]

١- الفعل اللفظي: (اقتربت الساعة وانشق القمر).

٢- الفعل القضوي: الإخبار عن حادثة انشقاق القمر واقتراب يوم القيامة.

---

[١] روح المعاني: ٧٧/٢٧

[٢] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٥٩/٦

[٣] في ظلال القرآن: مج٦، ٢٧/ ٣٤٢٧.

[٤] ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٢٣٩-٢٤٠.

[٥] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٦٠/٦

٣- الفعل الإنجازي: تتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: الوصف والإقرار.
- قوة إنجازية غير مباشرة: التحذير والإنذار.

ثالثا: أفعال الكلام الوعديَّة في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

الالتزاميَّات: commitments وهي نوع من أفعال الكلام، ويقصد بها تعهد المتكلِّم بفعل شيء في المستقبل.[١] غرضها الإنجازي هو « الزام المتكلَّم بإداء فعل معين في المستقبل».[٢] وهذه الأفعال « شأنها شأن الأوامر والطالب لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، ولكن يمكن أن تكون منفذة موفى بها أو منكوث بها». [٣] واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل فيما يقصده المتكلِّم وراء قطعه لهذا الوعد هو القصد، والمحتوى القضوي لهذه الأفعال يتمثل في الإلتزام بالوعد أو عدمه في المستقبل.[٤] ويتضمن هذا النوع من الأفعال أفعال الوعود، والنذور، والرهون، والعقود، والضمانات، والتهديد وغيرها من الأفعال الخاصَّة بالإلزام.[٥]

وقد تضمّن الخطاب القرآني أفعال الكلام الوعديَّة، والتي جاءت متمثلة في الوعد، والتهديد، والنذور، والرهان ...وغيرها من الأفعال الإلزامية، ونجد ذلك أيضًا في الآيات التي تضمنت في ثناياها معجزات الأنبياء والأولياء، وتُعدّ هذه الأفعال الكلامية متعددة الأغراض، فقد تأتي لزيادة الطمأنة، والتسكين، والتثبيت في نفوس

---

[١] ينظر: التداولية: (٩٠-٩١).

[٢] نظرية الأفعال الكلامية: ٣٣.

[٣] افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرة ٧٩.

[٤] ينظر: العقل واللغة والمجتمع: ١٨٤.

[٥] ينظر: المصدر نفسه: ١٨٣

الأولياء والأنبياء، وقد تأتي هذه الأفعال لأجل تحقيق المعجزة لهم، وبيان قدرة الله سبحانه وتعالى، وذلك في ضوء الالتزام بتنفيذها.

ويمكن التمثيل لهذا النوع من الأفعال الكلامية في معجزات الأنبياء ولأولياء في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٞ كَرِيمٞ**﴾.[1]

في هذه الآية يعد الذي عنده علم الكتاب* النبيّ سليمان "عليه السلام" بإتيان العرش إليه قبل أن يرتد طرفه، باستعمال فعل الكلام الوعديّ المتمثل في قوله تعالى: (أَنَا آتِيكَ بِهِ)، فالمتكلِّم في هذه الآية يعد المخاطَب بأمر معجز وهو الآتيان به قبل ارتداد الطرف، والغرض الإنجازي في خطاب الذي عنده علم الكتاب متضمن في القول وهو (الوعد) الذي يلزم نفسه به وهو الإتيان بالعرش.

وشرط الإخلاص هو قصد الذي عنده علم الكتاب في الزام نفسه بالوعد، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، فالمتكلِّم أنجز شيئًا وينجز شيئًا فيما بعد.

والمحتوى القضوي لهذا الفعل الكلاميّ تمثل في تحقيق المتكلِّم ما الزم نفسه به وذلك بإحضاره العرش على وجه الحقيقة، وهذا واضح في قوله تعالى: «فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي»*، وقد كانت هذه المعجزة « وسيلة لعرض القوة الخارقة التي تؤيده؛ لتؤثر في قلب الملكة، وتقودها إلى الإيمان بالله، والإذعان لدعوته».[2] وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى على نبيَّه، وبذلك تتحقّق المعجزة في ضوء هذا الفعل الكلامي المتمثل في فعل الوعد.

---

[1] سورة النمل، الآية: ٤٠.

*وهو رجل من حاشية النبيّ سليمان وهو عاصف بن برزخيا. ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧١/١٩.

* سورة النمل، الآية: ٤٠.

إنَّ طبيعة الخطاب الصادر من الذي عنده علم الكتاب يتناسب مع المقام القضوي الدال على القوة والقدرة، وقد تحقّق ذلك الفعل الإنجازي بالالتزام بتنفيذ الوعد.

ويمكن تحليل الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (أنا أتيك به).

٢- الفعل القضوي: إخبار الذي عنده علم الكتاب النبيّ سليمان "عليه السلام" على الإتيان بالعرش قبل ارتداد طرفه.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية حرفية تمثلت في وعد الذي عنده علم الكتاب النبيّ سليمان " عليه السلام" الإتيان بالعرش.

ومما جاء متضمنًا فعل (الوعد) أيضًا قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ**﴿٧﴾.[١]

تضمّن ملفوظ هذه الآية فعلًا كلاميًا لفظيًا، تمثّل في وعد الله سبحانه وتعالى لأم موسى، ويبدو ذلك في قوله تعالى: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) أي إنا فاعلون لرده وجعله من المرسلين فهذه بشارة ووعد من الله. والوعد الإلهي يحمل بشارتين الأولى: تتجلى بردّه إليها، والثانية: تتمثل بجعله من المرسلين. [٢]

وهذا الوعد خاطر من الواردات الإلهية فإلهام أمِّ موسى إلهام صادق يعرض للصالحين فيوقع في نفوسهم يقينًا ينبعثون به إلى عمل ما ألهمهم إليه، فالوحي هنا

---

[٢] في ظلال القرآن: مج ٥، ٢٦٤١/١٩.

[١] سورة القصص، الآية:٧.

[٢] السورة نفسها، الصفحة نفسها.

لأمّ موسى فعل كلامي وهو معجزة من الله سبحانه وتعالى لأمّ موسى، إذ تصور هذه الآية حيرة الأم وخوفها على ولدها من الخطر المحدق به، وهي عاجزة عن حمايته، وسرعان ما تدخل به القدرة فتزيل الخوف وتلقي في روعها عن طريق الإلهام كيف تعمل وتتصرف.[١] « الوحي القاه الله في قلبها للضمان لها».[٢] برده إليها واطمئنان لها.

وشرط الإخلاص هو القصد من كلام الله سبحانه وتعالى في الالتزام بما وعدها به والظاهر بردّه إليها، واصطفاء موسى وجعله من المرسلين.

والقوة الإنجازية لهذا الفعل اللفظي بدت في التزام الله بتحقيق الوعد، ويتمظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[٣]

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (إنّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين).

٢- الفعل القضوي: اقتضاء عودة موسى لأمه وإنَّه سيكون نبيًا مرسلًا.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة تمثلت في فعل الوعد.

ويظهر هذا الأسلوب أيضًا في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾**.[١]

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير: ٧٣/٢١.

[٢] التمهيد في علوم القرآن، العلامة محمد هادي معرفة، دار التعريفات للمطبوعات، بيروت، د ط، ١٤٣٢-٢٠١١،، ٦٩/١.

[٣] سورة القصص، الآية: ١٣.

الفعل الكلامي الوارد في هذه الآية تمثل في وعد النبيّ يوسف " عليه السلام" لصاحبيه في السجن بأنَّه سيؤول لهما رؤيتيهما بعد أن يتنبأ لهما بالطعام الذي سيقدّم لهما، فالمتكلِّم ألزم نفسه بفعل مستقبلي تجسّد في تعهده بتأويل رؤيتيهما، وأراد بذلك إقبالهما عليه واطمئنان قلبيهما لما يودّ قوله لهما، كما أنَّه أراد أن يكون ذلك طريقًا لمعرفة دين التوحيد، ودعوتهما إليه، ثَّم يعبر لهما بعد ذلك رؤيتيهما. [٢] وهذا هو القصد من وعده "عليه السلام"، فمن شروط من يقطع وعدًا « أن يكون لديه مقصد»[٣] فتكون المعجزة طريقًا إلى الإيمان بالله تعالى، وهذا ما يؤكّد عليه بقوله: (ذلِكُما مِمّا عَلَّمَني رَبّي)، فهو ينسب هذا العلم وهذه المعجزة إلى الله تعالى؛ لكي يسهل عليه بعد ذلك أن يعرفهم بدين التوحيد، ولا شكّ أنَّهم من عبدة الأصنام؛ لذلك نراه يُقدِّم لهما ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير.[٤]

وهذا الفعل الكلامي يحمل قوة إنجازيَّة تأثيريَّة من شأنها أن تترك أثرًا في المحيطين به، وبدا في تحقيق الوعد وهو في تأويل الأحاديث، وبهذا فيوفي لهما ما عاهدهما عليه. من تفسير رؤيتيهما والتنبؤ بالطعام الذي يُعدّ جزءًا من المعارف الغيبية التي لا تكون إلا بأمر الله وقدرته، فهو تعالى بإرادته التي فوق كل شيء قد مكّن نبيّه معرفة ذلك.

١- الفعل اللفظي:(لا يأتيكما طعام ترزقاه إلا نبأتكما بتأويله).

---

[١] سورة يوسف، الآية: ٣٧.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير:٢٨١/١٢.

[٣] علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م: ١٣٣

[٤] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٦٤/٣.

٢- الفعل القضوي: اقتضاء تأويل النبيّ يوسف " عليه السلام" رؤيتيهما بعد ما أخبرهما به عمّا يأتيهما من طعام بطريقٍ غيبي لا يُعدُّ تأويلًا بل أخبار بالغيب.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: بينها وعد يوسف " عليه السلام" بتأويل الرؤيا.

رابعًا: أفعال الكلام الإعلانيَّة في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

الإعلانيَّات Declaration: هي نوع من أفعال الكلام يستعملها المتكلِّم لإحداث تغيير في العالم الواقعي في ضوء النطق بها.[١] ولهذه الأفعال « غرض إنجازي إعلاني».[٢] وأهم ما يميز هذه الأفعال« إنها افعال فريدة من بين أفعال الكلام في أنها تحدث بالفعل تغيرات في العالم بمقتضى الأداء الناجح فحسب للفعل الكلاميّ».[٣] كما أنَّ أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للواقع، كون محتواها القضوي يأتي مطابقًا للعالم الخارجي كما أنَّها ليست بحاجة إلى شرط إخلاص واتجاه المطابقة الخاص بها يكون من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات.[٤]

وقد تضمن الخطاب القرآني مجموعة من الآيات التي تشتمل على الأفعال الكلامية الاعلانية والتي بمجرد النطق بها يتحقّق لنا فعل كلاميّ منجز، ومن ذلك الآيات المتضمنة لمعجزات الأنبياء والأولياء، وإن لم ترد هذه الأفعال بنسبة كبيرة في التعبير القرآني ، ولكنها أسهمت في إثبات المعجزات القرآنية التي وهبها الله لأنبيائه وأوليائه، وذلك في ضوء القوة الإنجازية التي تحملها هذه الأفعال.

ومن الإعلانيات المتمثّلة في معجزات الأنبياء والأولياء قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا*وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ**

---

[١] ينظر: التداولية: ٨٩.

[٢] اللغة والفعل الكلامي والإتصال: ٩٧.

[٣] العقل واللغة والمجتمع: ١٨٤-١٨٥.

[٤] ينظر: آفاق جديدة في نظرية البحث اللغوي المعاصر: ٨٠.

وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا *وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا *وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾.[1]

الفعل الإعلانيّ في هذه الآية تمثل في تصريح النبيّ عيسى "عليه السلام" عن نبوَّته بالفعل الكلاميّ(إنّي عَبدُ اللَّـهِ)، محققًا به إداء ناجحًا، إذ إنَّ غايته من هذا الفعل إحداث تغيير في الواقع، فبمجرد نُطقه لهذا الفعل اللفظي الذي يُعدُّ أمرًا معجزًا، والمتمثل في نُطقه وهو لايزال طفلًا صغيرًا، وهذا تجلٍّ واضح للناس أنَّ النبيّ عيسى "عليه السلام" ليس مجرد طفل، فتكلَّمه وهو في المهد فيه إشارة واضحه _كما هو معلوم للعامّة والخاصّة– على أنَّه نبيّ مرسل من الله تعالى لحمل الرسالة السماوية، والتبليغ بأوامر الله ونواهيه، فشكَّل بذلك هذا الفعل الإعلاني معجزة واضحة، وشرط الإخلاص تمثّل في الرغبة الصادقة في تحقيق هذا الفعل، وهذا الفعل الكلاميّ يحمل قوة إنجازية تأثيرية تمثلت في إعلانه عن عبوديته فلم يترك مجالًا للشكّ في كونه ليس بإله كما يعتقد بعض النصارى، وأثبتت–أيضًا– بواسطة هذا الفعل الكلامي أنَّه نبيّ مرسل وليس ابن الله كما أدعَّى بعض النصارى، واثبتت جريان سنة الحياة والموت عليه كسائر الخلق.[2]

ونستدل بذلك على أهمية هذا الفعل الكلاميّ وما يحمل من قوة إنجازية كامنة فيه في الرد على المنكرين لأمر ولادته "عليه السلام".

١– الفعل اللفظي: (إنَّي عبد الله).

٢– الفعل القضوي: نطق النبيّ عيسى" عليه السلام" وهو في المهد.

٣– الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة تمثلت في إعلان النبيّ عيسى" عليه السلام" عن نبوَّته.

---

[1] سورة مريم، الآية: ٣٠–٣٣.

[2] ينظر: في ظلال القرآن: مج٤، ٢٣٠٨/١٦.

ومما جاء لإنجاز فعل الإعلان أيضًا قوله تعالى:﴿ **يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۖ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ** ﴿٤١﴾.[1]

تحمل هذه الآية فعلًا كلاميًا يقع ضمن الإعلانيات يتمثل بقوله: (أما أحدكما...)، فالمتكلِّم في هذه الآية يعلن عن حال (صاحبي السجن)، وقد سبق هذ الفعل الإعلاني بأسلوب النداء (يا صاحبي)؛ لتنبيه المنادى إلى أنَّه سيعلن تعبير رؤيتيهما، قال ابن عاشور: « افتتح خطابهما بالنداء اهتمامًا لما يلقيه إليهما من التعبير».[2] واستعمل أداة النداء (يا) التي تستعمل للبعيد « للإشارة إلى غفلتهما وهيمانهما في أودية الضلال».[3] فهو يرمي إلى تحقيق واقع أفضل مغاير لما هما عليه، واقع يعترف بأنَّ لا اله إلا الله وحده.

وبعد هذا التعبير ينطلق في الإعلان عما سيكون عليه ساقي الملك وخبّازه، وإعلان حالهما بعد خروجهما من السجن، «فأخبر الساقي بأنَّه سيعود لما كان عليه سابقا في خدمة الملك، فيكون ساقيًا له، أمَّا الثاني وهو الخبّاز فأنَّه يصلب وتأكل الطير من رأسه».[4] وبعد انتهائه من هذا الفعل الإعلاني يختم كلامه بقوله: (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)، مختارًا بذلك التعبير بالماضي للدلالة على أن الأمر الذي أعلنه « واقع لا محالة».[5] والقوة الإنجازية تتجلى الفعل متمثلة في تصريح النبيّ يوسف" عليه السلام" لما سيكون عليه حالهما.

---

[1] سورة يوسف، الآية: ٤١.

[2] التحرير والتنوير: ٢٧٧/١٢.

[3] روح المعاني: ١٢/ ٢٤٣- ٢٤٤.

[4] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٦٤/٣.

[5] تفسير القرآن العظيم: ٩٨٤.

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميّ كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (إمّا أحدكما فيسقي ربه خمرا، وأمّا الآخر فيصلب وتأكل الطير من رأسه).

٢- الفعل القضوي: تأويل يوسف "عليه السلام" رؤيا صاحبيه في السجن.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: تمثلت في إعلان النبيّ يوسف " عليه السلام" عما سيكون حال صاحبيه في السجن.

خامسا: أفعال الكلام التعبيريَّة في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

التعبيريَّات Expressives: هي نوع من أفعال الكلام التي يستعملها المتكلِّم للتعبير عن الموقف النفسي الذي يتملك ذاته عن طريق جمل تعبر عن سروره أو حزنه أو فرحه أو ما يحب ويكره.[١] غرضها الإنجازي يتمثل في تعبير« المتكلِّم عن أحواله الداخلية». [٢] تعبيرًا « يتوفر فيه شرط الإخلاص».[٣] وتشمل هذه الأفعال أفعال« الشكر، والتهنئة، والاِعتذار، والتعزية، والترحيب».[٤] ويتغير شرط الصدق في هذه الأفعال مع تغير نمط التعبير، فيكون الاِعتذار صادقًا إذا كان المتكلِّم يشعر بالأسف فعلًا عما اعتذر عنه، وتكون التهاني صادقة إذا كان المتكلِّم يشعر بالبهجة حقًا لما يهنئ المستمع عليه. [٥]

ولا شكَّ أنَّ نظم الخطاب القرآني زاخر بالنصوص القرآنية التي تعبر عن أحوال النفس البشرية، ولاسيما في قصص الأنبياء والأولياء، فقد وصفت آيات القران الكريم أحوال النفس البشرية وكشفت عن خباياها في ضوء تقديمها تشخيصًا لكثير من الاِنفعالات النفسية والسلوكية التي تضمّنتها معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني، فقد عبّرت عن مختلف الحالات الاِنفعالية التي يمر بها الأنبياء والأولياء في أثناء تلقي المعجزة، وقد تمثّلت في التعبير عن مواقف الحزن والفرح

---

[١] ينظر: التداولية: ٩٠.

[٢] اللغة والفعل الكلاميّ والاِتصال: ٩٧.

[٣] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٠.

[٤] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٥] ينظر: اللغة والعقل والمجتمع: ١٨٤. وينظر: مسرد التداولية، د. مجيد الماشطة، ود. أمجد الركابي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م: ٩٤.

والخوف والتعجب والإمتنان ....الخ مما يحدث لهم في أثناء تلقي المعجزة.

ومن التعبيريات الواردة في معجزات الأنبياء والأولياء ما جاء في قول النبيّ سليمان " عليه السلام" والمبيّن بقوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ *فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾.[1]

الفعل الكلاميّ في هذه الآيات جاء متمثلًا في قوله تعالى: (فتبسم ...)، وهو تعبير النبيّ سليمان "عليه السلام" عن النعمة التي خصَّه بها الله سبحانه وتعالى، فالنبيّ عبر في خطابه هذا عن مشاعر الشكر والامتنان بأفعال كلاميّة دلَّ عليها قوله: (ربِّ أوزعني....)، فهو بقوله هذا يعبر عن مشاعر شكر النعمة التي انعم بها الله " عز وجل" عليه وعلى والديه، وتوفيقه للعمل الصالح، وادخاله برحمته في عباده الصالحين.

ولم يكتف بإنجاز فعل الشكر القولي، وإنَّما أنجز هذا الفعل بواسطة قيامه بعملية التبسم، فهذه « الانفعالات تطرأ على الوجه والجسم دون إرادة من صاحبها ودلالتها على الانفعال النفسي دلالة طبيعية». [2] والقوة الإنجازية لهذا الفعل تتحدد في تعبير النبيّ سليمان عن السعادة والإمتنان، إذ تبسم ضاحكًا مسرورًا بما أنعم الله عليه حتى أوقفه هذا الموقف وهي النُّبوَّة، والعلم بمنطق الحيوان، والملك، والجنود من الجن والإنس والطير، فسأل الله أن يلهمه نعمته، وأن يعمل بما فيه رضاه سبحانه وتعالى.[3]

---

[1] سورة النمل، الآية: (١٨-١٩).

[2] التحليل اللغوي عند فلاسفة أكسفورد: ٩٥.

[3] ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ١٥: ٣٨٦.

وبذلك يكون قد أنجز غرضًا إنجازيًا كان شرط الإخلاص فيه صدق تعبير النبيّ سليمان "عليه السلام" عما أحاط به من نعم.

فهذا التعبير« يشي بنعمة الله التي مسّت سليمان "عليه السلام" في تلك الحظة، ويصور نوع تأثره وقوة توجهه وارتعاش وجدانه، وهو يستشعر فضل الله الجزيل، ويتمثل يد الله عليه وعلى والديه، ويحس من النعمة، والرحمة في ارتياع وابتهال».[1]

١- الفعل اللفظي: (فتبسم ضاحكًا من قولها وقال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك).

٢- الفعل القضوي: سماع النبيّ سليمان "عليه السلام" قول النملة وهي تخطب في قومها.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

- قوة إنجازية مباشرة: تمثلت في تعبير النبيّ سليمان عما يختلج ذاته من سعادة واطمئنان أثر منحه هذه المعجزة (العلم بمنطق الحيوان).

ومن التعبيريات المنجزة أيضًا ما جاء على صيغة سؤال نحو قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾.[2]

يبدو الفعل الكلاميّ هنا في تعبير عزير "عليه السلام" عن إعجابه لما شاهده من حال هذه القرية، فقد أعجب بمدى كمال قدرة الله عز وجل وقوته في فناء الأشياء، وذلك لما شاهده من دمار حال هذه القرية، فسؤاله لم يكن سؤال مُنكِر لقدرة

[1] في ظلال القرآن، م٤، ١٩: ٢٦٣٧.

[2] سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

الله عز وجل، وإنَّما سؤال تعجّب عن هذه القدرة العظيمة، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: (قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).[1] فهو بهذا يعترف بقدرة الله التي فوق كلِّ شيء، فالنبيّ عزير" عليه السلام" أراد بلفظه هذا إنجاز فعل(التعجّب) وقد أنشأ عن هذا الفعل التعبيريّ قوة إنجازية ظهرت في التأكيد على هذه القدرة العظيمة، وذلك عن طريق التجربة الحسية للسائل(فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ)، وهو هنا بعثٌ خارقٌ للعادة غير بعث الحشر؛ لأنَّ جسده لم يبلَ كما هي الحال في الموت الطبيعي، إنَّما بعثه الله ثم أحياه ليكون آية للقوم المنكرين للبعث(ولنجعلك آية)، فقد «أحيى طعامه بحفظه من التغيّير، وأحيى حماره بالإعادة، فكان آية عظيمة للناس الموقنين بذلك».[2] ويتجلّى شرط الإخلاص في صدق نية الرائي النبيّ عزير "عليه السلام".

وفي ضوء ذلك يتبيَّن لنا أثر الفعل الكلاميّ وقوته الإنجازية في تحقيق المعجزة. فالمعجزة هنا تحقّقت استجابة لهذا الفعل الكلامي الذي قام بها عزير "عليه السلام" وهو أحد الأنبياء الذين بُعثوا لبني إسرائيل، وأراد الله تعالى أن يثبت بهذه المعجزة لعملية البعث التي يشكك بها المحيطون بالنبي حتى وصل الشك إلى استفهامه الدال على تعجّبه.

١- الفعل اللفظي: (أنى يحيي الله هذه بعده موتها)

٢- الفعل القضوي: السؤال عن كيفية احياء الله لهذه الأرض بعد موتها بعد ماحل فيها من خواء.

٣- الفعل الإنجازي: يتكون من:

---

[1] ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد الأعلى الموسوي السبزواري، منشورات دار التفسير، ط٥، ١٤٣١-٢٠١٠: ٤/٣٢٧-٣٢٨.

[2] التحرير والتنوير: ٣/٣٥.

- قوة إنجازية مباشرة: السؤال.
- قوة إنجازية غير مباشرة: التعجّب.

ومما وظف لإنجاز فعل التعبير أيضًا قوله تعالى: ﴿ **فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ** ﴿٢٩﴾﴾[1]

الفعل الكلاميّ في هذه الآية يظهر في قوله تعالى (فصكت)، وهو يحمل قوة إنجازية تمثلت في تعجّب زوجة إبراهيم عليه السلام من أن يكون لها ولد، فهذه الآية تحمل دلالة نفسية تعجّبية بدت في دهشة زوجة إبراهيم "عليه السلام" وذهولها عند سماع هذه البشارة العظيمة الخارقة للعادة.[2] « فحين علمت بذلك صاحت صيحة الدهش والتعجّب من وقع المفاجأة، ولم تكتف بذلك بل عبرت عن شدَّة تعجبها بضرب يدها على وجهها أو على جبهتها على عادة النساء من التعجب، والمرء يدهش عندما يرى ما يخالف المألوف، ويعجب كيف يكون، ولكن المشيئة الإلهية المطلقة لا تتقيد بمألوف البشر». [3] وقولها: عجوز عقيم، استلزم من الملائكة جوابها بقوله تعالى: (قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ).[4] لدفع هذا التعجّب « فعندما أخذتها المفاجأة العنيفة التي لم تكن تتوقعها أبدًا، فنسيت البشرى التي تحملها الملائكة عندئذ ردها المرسلون إلى الحقيقة الأولى حقيقة القدرة التي لا يقيدها شيء

---

[1] سورة الذاريات، الآية: ٢٩.

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٢١/٧.

[3] البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية، عبد الله محمد سلمان هنداوي، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤١٦-١٩٩٥: ٩٢.

[4] سورة الذاريات، الآية: ٣٠.

والتي تدبر كلّ أمر بحكمة وعلم».[١] وفي هذا إشارة إلى أنَّ الله قادر مقتدر على كلِّ أمر وإن كان مستحيلًا في نظر عباده فلا مستحيل عنده سبحانه.

ويمكن تحليل الفعل الكلامي كالآتي:

١- الفعل اللفظي: (فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم).

٢- الفعل القضوي: دهش زوجة إبراهيم عليهما السلام مما سمعت به.

الفعل الإنجازي: يتكوّن من:

- قوة إنجازيه مباشرة: تمثلت في تعبير زوجة النبيّ إبراهيم" عليه السلام" عن ذهولها وتعجّبها مما سمعت به.

ومن التعبيريات ماجاء في قوله تعالى: ﴿**وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ *فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۡجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾.[٢]

الفعل التعبيريّ الوارد في هذه الآية يتمثل في تعبير النبيّ يونس "عليه السلام" عن ندمه الشديد لله تعالى، نتيجة لمعارضته أمر الله تعالى من دون قصد، فعندما كلفه الله تعالى بدعوة قومه إلى دين التوحيد، وتلقى الأمر الإلهي لم يجد من قومه قبولًا، وإنَّما قابلوه بالجحد والنكران، فضاق صدره منهم، فقرر مغادرتهم من دون إذنٍ مسبقٍ من الله تعالى بأمره لمغادرتهم، ظنًا منه أنَّ الله سيبدله خيرًا منهم ويتمثل ذلك بقوله: (وَذَا النُّونِ ...)، فركب السفينة وجاء أمر الله الذي اقتضى أن يكون نبيه في بطن الحوت تذكيرًا له بالله "عز وجل".[٣] وفي ضوء ذلك يجد يونس "عليه السلام"

---

[١] في ظلال القرآن: مج ٦، ٣٣٨٣/٢٧.

[٢] سورة الأنبياء، الآية: ٨٧-٨٨.

[٣] ينظر: في ظلال القرآن: مج ١٨٢/٦. ذكر الجزء

نفسه محاطًا بظلمات ثلاث ((ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت)).[١]

وفي ظلّ هذه الظلمات، وهو في تلك الحالة نراه يتوجه إلى الله تعالى بمشاعر الندم مشاعر العبد المقصّر في حقِّ ربه قائلًا: (لَّا إِلَـهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)، وقد شكَّل قوله هذا فعلًا كلاميًا تعبيريًا يحمل قوة إنجازية تمثلت في استجابة الله تعالى له وذلك بنجاته من بطن الحوت وتوالي نعم الله عليه بعد ذلك.

وشرط الإخلاص يتمثل في صدق النبيّ يونس" عليه السلام" في مشاعره المعبرة عن الندم.

وفي ضوء هذا الفعل التعبيريّ الكاشف عن الندم، يتبيّن أنَّ الله تعالى في هذه الآية يذكر عباده بطلب التوبة، والأقبال عليه، وذكره للخلاص من العقاب، محبَّة منه لعباده، فجعل نجاة نبيِّه مشروطةً بالذّكر فقال: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾.[٢] فهذه الآية تبين أهمية ذكر الله تعالى.

ويمكن تحليل هذا الفعل الكلاميً كالآتي.

*الفعل اللفظي: (سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين).

*الفعل القضوي: اعتراف النبي يونس "عليه السلام" أنَّه كان ظالمًا لنفسه.

*الفعل الإنجازي: يتكوّن من:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في تعبير النبيّ يونس "عليه السلام" عن ندمه لله "عز وجل".

ونستخلص مما سبق عرضه أنَّ تداولية الأفعال الكلاميّة شكّلت قضيّة تداوليّة في معجزات الأنبياء والأولياء، وهذا واضح في قولاتهم التي عبروا عنها بشكل مباشر

---

[١] التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي: مج ٧، ٢٧٤/١٧.

[٢] سورة الصافات، الآية: ١٤٣.

يفصح عن معناه من أوّل الأمر كونه لا يحتاج إلى إعمال الذهن، وطلب التفكير، والاستدلال للتوصل إليه، فضلًا عما ورد في قولاتهم من أفعالٍ كلامية غير مباشرةٍ تجاوزت قوّتها الحرفيّة، والتي كان لها الأثر في الكشف عن معاجز الأنبياء والأولياء.

الفصل الثاني

الاستلزام الحواري في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

توطئة:

إنَّ الحوار عبارة عن عملية تخاطبيّة تقتضي اشتراك طرفين هما: المرسل(المتكلِّم) والمرسل إليه (المتلقّي) في إنتاج الأقوال، ولأجل تحقيق الهدف من هذه العملية التخاطبيَّة يجب أن يلتزم الطرفان مجموعة من الضوابط والقواعد التي تضبط هذه العملية الحواريّة، وتحدَّد الفائدة التواصلية منها. [١] ذلك أنَّ عملية التواصل الخطابيّة تقتضي معرفة عمليتين اثنتين هما: الإنتاج: ويقصد به المعنى الصريح الذي يمكن إدراكه من اللفظ الظاهر، والتأويل: يقصد به المعنى الضمني الذي يدركه المتلقي باستناده إلى وسائل عدّة.[٢]

وقد تنبه غرايس إلى ذلك بقوله:« إنَّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون».[٣]

وهذه التساؤلات دعت غرايس إلى معالجة هذه الإشكالية القوليّة، باتباعه فكرة مركزية متمثلة بمبدأ (التعاون الحواري)، وهي تنطلق من كون الحوار الحي يجعل المتكلِّم والسامع يتبعان مجموعة من القواعد الضرورية في بيان وظيفة التواصل؛ إذ يرى غرايس أنَّ المعنى المراد من الخطاب في الغالب يكون معنى ضمنيًا، وليس صريحًا، ومن ثمَّ فهذا المعنى الضمني لا يمكن التوصل إليه إلا باتباع هذا المبدأ

---

[١] ينظر: اللسان والميزان: ٢٣٧.

[٢] ينظر: قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، حمو الحاج ذهبية، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، العدد الثاني، ٢٠٠٧: ٢٢٠.

[٣] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤.

واتباع قواعد الحوار التي تحكم السياق.[١]

وصيغة هذا المبدأ هي: «قم بمساهمتك في التواصل بالطريقة التي يتخذها الهدف التواصلي المخوض في الفترة اللازمة».[٢] حيث ينص هذا المبدأ على أن يتشارك المتخاطبون في تحقيق الغرض من الحوار، وذلك بالتزامهم مجموعة من القواعد، تقسم على وفق مبدأ غرايس على أربعة أقسام وهي: [٣]

١. منها ما يتعلق بكمّ الخبر– قاعدة الكم.
٢. منها ما يتعلق بكيف الخبر– قاعدة الكيف.
٣. منها ما يتعلق بعلاقة الخبر– قاعدة المناسبة.
٤. منها ما يتعلق بمقام الخبر– قاعدة الجهة.

والهدف العام لهذا المبدأ هو وضع ضوابط لعملية التواصل الخطابيّة بين كلّ من المرسل والمرسل إليه؛ لإيصال الفائدة من الكلام، وأيّ خرق لهذه القواعد يُعرّض هذه العملية التواصليّة للانتقال من المعنى الصريح الواضح في ذهن المتلقي إلى المعنى الضمني المستلزم.[٤]

---

[١] ينظر: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، ٢٠٠٦: ٤٧–٤٨.

[٢] المقاربة تداولية:٥٣.

[٣] ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام : ١٠٣–١٠٤.

[٤] ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الإستلزام التخاطبي انموذجا، ليلى كادة، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج الخضر باتنة ، د. ط، د. ت:١٢١.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ الاستلزام الحواري لا ينتج عند خرق المتكلِّم لأحد قواعد مبدأ التعاون، بل ينتج أيضًا عن الالتزام بها، ولهذا يقسم غرايس الاستلزام الحواري إلى قسمين رئيسين هما: الاستلزام الحواري المعمم: الناتج عن مراعاة قواعد التعاون، و الاستلزام الحواري (المخصص) الناتج عن خرق المتكلِّم لقواعد مبدأ التعاون. [١]

ولابد من الإشارة إلى أنَّ هذه الظاهرة موجودة في التراث العربي قد تناولها الأصوليون والبلاغيون في كتبهم، فمجموعة المبادئ والافتراضات التي قدمها غرايس وسميت باسمه نراها منظّمة في كلامهم عن المعنى الضمني، والمعنى الصريح، فالمطلع على التراث الأصولي يجد ظاهرة الإِستلزام الحواري تشغل حيزًا واسعًا في أبحاثهم وذلك تحت ما يسمى بدلالة المنطوق، ودلالة المفهوم.[٢]

أمَّا عند البلاغيين فنرى هذه الظاهرة متمثلة عند السكاكي وذلك في كتابه (مفتاح العلوم)، حيث يبرز تحليله لهذه الظاهرة في علمي المعاني والبيان وقد تحدث الاستاذ باديس لهومل عن ذلك مفصلًا.[٣]، وكذلك نجد هذه الظاهرة متمثلة عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز فقد ركز فيه على بيان المعنى، ومعنى المعنى،

---

[١] ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٣٠.

[٢] ينظر: الإحكام في أصول الاحكام، العلامة علي بن محمد الآمدي، المكتب الإسلامي، (د. ط)، (د. ت): ١/ ٦٦. وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للأمام محمد ين علي الشوكاني، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ٧٧٣ وأصول الفقه الذي لا يسع لفقيه جهله، د. عياض بن نامي السّليمي، دار التدمريّة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ٣٧٤.

[٣] ينظر: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، باديس هومل، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، المدينة الجديدة تيزي وزو، العدد٣، ماي،٢٠٠٧: ٢٠٦-٢٦٥.

وقد فصلت القول عن هذه الظاهرة عند عبد القاهر الجرجاني الدكتورة كادة ليلى في مقال لها عن الاستلزام التخاطبي.[1]

وفي ضوء ما سبق عرضه سيحاول البحث تطبيق هذه المفاهيم على النصوص القرآنية، التي نحن بصدد دراستها في معجزات الأنبياء والأولياء، ضمن تداولية النصّ، وبيان مدى انسجامها مع دراسة النصّ القرآني، مقتصرًا على الاستلزام الحواري الناتج عن خرق قواعد غرايس الأربعة وهو ما يسمى في الاصطلاح التداوليّ (بالاستلزام المخصص)؛ لأهميته في التعبير القرآني؛ ولكون البحث لم يجد نماذج تطبيقية تخصّ الاستلزام المعمم في معجزات الأنبياء والأولياء وإن وجدت فإنَّها ستكون نماذج مكررة لما سبق دراسته في الفصل الأول وما سيطبق في الفصل الثالث.

[1] ينظر: ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، كادة ليلى، مجلة اللغة العربية وآدابها، الوادي، الجزائر، ربيع الأول، ١٤٣٠هـ، مارس، ٢٠٠٩م: ١٠٦-١٠٨.

أولًا: خرق مبدأ الكم في معجزات الأنبياء والأولياء

في التعبير القرآني

مبدأ الكم(قاعدة الكم): يرتبط هذا المبدأ بكمَّيَّة المعلومات التي يُقدّمها المتكلِّم للمتلقّي، والتي تحقق الغرض من الخطاب؛ حيث يفرض هذا المبدأ على المتكلِّم التزام الإِعتدال في كمِّيَّة المعلومات التي يُقدّمها للمتلقّي، فلا يزيد على ذلك أو ينقص منه. وتتفرع عن هذا المبدأ قاعدتان هما: [1]

١- ليكن إسهامك في الحوار مع المخاطب على قدر حاجته.

٢- لا تجعل إسهامك في الحوار يزيد على القدر المطلوب من الكلمات.

وسيعرض البحث نماذج من الآيات الكريمة التي ورد فيها خرق(مبدأ الكم) مبينًا الهدف وراء هذا الخرق، والأسباب التي دعت المتكلِّم للعدول من المعنى الواضح الصريح إلى المعنى الضمني المستلزم في ضوء خرقه لقاعده الزيادة أو النقصان.

[1] ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨: ٢٣٨. وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤. ونظريّة التلويح الحواريّ بين علم اللّغة الحديث والمباحث اللُّغوية في التراث العربي الإسلامي، د. هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣: ٣٠. ونظرية الكم الخطابي في البلاغة العربية من ثوابت اللغة الى متغيرات الخطاب، بنعيسى أزابيط، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل عليوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ٢٠١٤ :١٩٦.

أولًا: خرق قاعدة الإيجاز:

يقصد بخرق هذه القاعدة أن يُقدَّم المتكلِّم للمخاطَب معلومات أقل مما هو مطلوب للتبادل الحواري بينهما، لغرض يفهمه المتلقي من سياق الكلام، ويظهر هذا الأسلوب في معجزات الأنبياء والأولياء لا سيما في أسلوب الحذف، وهو ما سيتناوله البحث كالآتي:

قال تعالى:﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ**﴿٣١﴾.[1]

في هذه الآية ورد الخطاب مخالفًا لقاعدة الإيجاز (مبدأ الكم) وذلك في ضوء خرق قاعدة الكم التي تنصُّ على تقديم الكلام بما يفي الغرض من الخطاب، وهذا واضحٌ في حذف جواب أداة الشرط (لو)* فالنصّ المبارك عدل في هذه الآية عن التصريح بما يتضمّنه الأسلوب القرآني من معجزات خارقة، وما تتركه من تأثير في نفس المتلقي، واستلزم المقصود من السياق، ولازم القول يبدو في« إرادة تعظيم ما

[1] سورة الرعد، الآية:٣١.

* واختلف في حذف جواب لو هنا قال النحاس: « وللعلماء في هذه الآية أقوال منها: أن الجواب محذوف، والتقدير لكان هذا القرآن، وقيل: التقدير لما آمنوا. قال الكسائي: المعنى وددنا لو أنَّ قرانا سيرت به الجبال، فهذا بغير حذف، وللفراء فيها قول حسن قال: يكون الجواب فيما قبله إي وهم يكفرون بالرحمن ولو أنَّ قرآنا سيرت به الجبال». ينظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م: ٤٧٣. واختار البحث موضع الحذف لما فيه من جمالية دعت الباحثة إلى التوقف عندها لبيانها، مشيرة إلى أهمية الحذف الوارد في النص القرآني.

أوحي إلى رسول الله مُحمَّد "صلى الله عليه وآله وسلم" من القرآن».[١]

فالسبب في نزول هذه الآية هو الردّ على مجموعةٍ من كفار قريش المعارضين لإعجاز القرآن الكريم، إذ يروى أنَّ جماعةً من قريش قالوا للرسول "صلى الله عليه وآله": يا مُحمَّد لو وسعت لنا جبال مكة فسيرتها لنا، أو قربت إلينا مسافة الشام فنحن نتجر منها، أو أخرجت إلينا قُصَيًّا* نكلمه أو من شئت من الأموات دلالة على صدق نبوّتك وإعجاز هذا القرآن، وكان خطابهم هذا على سبيل التهكم والسخرية.[٢] فأنزل الله " عز وجل" قوله: (وَلَو أنَّ قرآنًا....)؛ ردًا على سخريتهم وتهكمهم.

والمتأمل لهذا الخطاب التداوليّ يجد أنَّه ورد بأسلوب بليغ، فالحذف هنا أبلغ من الذكر؛ ذلك أنَّ نفس المتلقّي ستذهب في معرفة الجواب وتقديره إلى وجوهٍ عِدّةٍ، مما يجعل القارئ عاجزًا أمامها، على العكس من التصريح بالجواب؛ ذلك أنَّ ذكر الجواب يجعل الإعجاز أو الكلام مقيدًا بوجهٍ واحدٍ فقط، الوجه الذي يذكره المتكلِّم، ومن ثمَّ فهذا يحدّ من الوجوه الإعجازية للقرآن الكريم ويحصرها في وجهٍ واحدٍ، أمَّا الحذف فإنَّه يترك المجال للمتلقي في التخيل في وجوه إعجاز القرآن الكريم مما يؤكّد على تعظيم شأنه.[٣] فالحذف هنا قضيَّةٌ تداوليةٌ منطقيةٌ، حيث إنَّه ذكر القليل من

---

[١] الكشاف، ١٣/٥٤٠.

* قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ينظر: سيرة النبي "صلى الله عليه وآله"، ابو محمد عبد الملك بن هشام، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ١/٣٩.

[٢] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٧١.

[٣] ينظر: ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١١١٩، ط٣: ٥٢.

فضل هذا الكتاب تاركًا للمخاطَب مهمة الاستدلال عن المعنى غير المباشر.

وبهذا فإنَّ مبدع النصّ القرآني يترك المجال لتخيل ما يمكن أن يصل إليه هذا القرآن من مكانة، فهي لاشك ستكون أشدّ وأعظم من تكليم الموتى وتيسير الجبال، فصيغة هذا الخطاب تستلزم معرفة كفار قريش بأهمية ما أنزل على الرسول محمَّد " صلى الله عليه وآله وسلم" فهو يُعدّ كتاب الله المعجز، الخالد، فإعجاز القرآن الكريم باقٍ، وبقاء الإعجاز دليل على بقاء الرسالة المُحمَّديَّة، وإنَّها رسالة عامة للبشر كافة. وفي هذا من التعظيم ما يدلُّ على إعجاز القرآن الكريم فالباري جعل الكلام يضيق عن وصف كتابه العزيز.

وفي ضوء ذلك تتبيّن أهمية خرق هذا المبدأ الموضح في استعمال أسلوب الحذف في بيان الوجه الإعجازي للقرآن الكريم؛ إذ جاء خرقه من المتكلِّم(الله تعالى)؛ لتوجيه المخاطَب (كفار قريش) إلى معرفة إعجاز القرآن الكريم، وإنَّه منه تعالى أيَّد به نبيّه مُحمَّد "صلى الله عليه وآله".

ويتجلّى خرق لهذه القاعدة الخطابية أيضًا في معجزة النبيّ إبراهيم "عليه السلام" وهذا واضح في قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ* فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ*وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ*قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ*إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ*وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ**﴾.[1]

نلحظ في هذه الآيات استلزامًا حواريًا، متمثلًا في خرق مبدأ الكم، وذلك في حوار الله تعالى لإبراهيم وابنه إسماعيل "عليهما السلام" بعد التسليم المطلق له، وهذا

[1] سورة الصافات، الآية:(١٠٢-١٠٧)

واضح في قوله تعالى: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ.....)، إذ بدا من خترق (مبدأ الكم) في هذه الآية بأسلوب (الحذف) أيضًا كما هي الحال في الآية السابقة، فالمتكلِّم هنا قام بخرق القاعدة التي تنصُّ على: «لتكن إفادتك المخاطَب على قدر حاجته».[1] فقد عبر عن المراد بأوجز عبارة.

ففي هذه الآية حذف جواب (لما)* وقدر الزمخشري هذا المحذوف بقوله: « جواب لما محذوف تقديره: فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما، واغتباطهما، وحمدهما لله، وشكرهما على ما أنعم به عليهما، من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما اكتسبا في تضاعيفه، بتوطين الأنفس عليه من الثواب، والأعواض، ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب».[2]

فالمعنى الحواري المستلزم من الحذف الوارد في هذا النصّ القرآني يمثل بلاغة القرآن الكريم بشأن التلميح والإيجاز في القول؛ لزيادة المعنى، وتأكيده؛ لأنَّ ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة. وهذا ما ذكره عبد القاهر الجرجاني عن الإيجاز بالحذف بقوله: « باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، هو شبيه بالسِّحر، فإنَّك ترى ترك الذِّكر أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما يكون إذا لم تَنطِق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم

---

[1] اللسان والميزان:٢٣٨.

*اختلف في حذف جواب لما، فهو عند البصريين محذوف والتقدير سعِدا وأُجزل لهما الثواب. أمّا الكوفيون فيقولون بعدم حذف الجواب ويقدرون جوابها بقوله: (ناديناه). ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٨٤٧. واختار البحث الحذف لما فيه من البلاغة التي تتجلى للسامعين.

[2] الكشاف: ٢٣/ ٩١٠-٩١١.

تُبِن». [١]

والسبب في هذا الخرق يظهر في جذب انتباه المتلقي لأهمية المعجزة. فهو بهذا الخرق يلمح للسامع في تقدير الجواب بشكل يمكّنه من تخيل ما أعده الله تعالى لعباده من النعيم الذي يقصر الحال عن ذكره، وتعجز العقول عن أدراكه، فكان الحذف هنا أبلغ من الذكر، إذ يترك للعقل المجال في تصوّر الأمور من جميع جهاتها بشكل يعجز فيه السامع أو القارئ عن وصف مقدار هذا الخيال لهذه النعم.[٢]

فكان خرق هذا المبدأ سبيلًا إلى العجز عن معرفة النعم التي أنعم الله بها عليهما، فضلا عن معجزة فدائه بالكبش العظيم، فالقارئ هنا تصور مشهد هذه المعجزة وهو الفداء بالكبش بأشكال عدّة يعجز عن وصفها، والعجز عن الشيء اعتراف بكونه معجزة، ولا سبيل غير ذلك.

وفي ضوء ذلك يتبيّن لنا السبب من خرق هذا المبدأ، في جعل السامع يشعر بأهمية تلك اللحظة، وأهمية المعجزة (معجزة الفداء بالكبش)، التي وهبها الله تعالى لإبراهيم وابنه إسماعيل "عليهما السلام"، وبما تحمله من دلالة على كرم الله سبحانه تعالى، ونعمه على عباده عند التسليم المطلق لأمره، فإسماعيل "عليه السلام" انقاد لأمر الله تعالى بالتسليم والطاعة ويتّضح ذلك بقوله: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، فكان جزاء هذا التسليم الفداء بالكبش.

---

[١] دلائل الإعجاز: ١٤٦.

[٢] ينظر: أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، مصطفى شاهر خلوق، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٩: ١٧٣.

ثانيًا: خرق قاعدة الزيادة:

يقصد بخرق هذه القاعدة أن يُقدِّم المتكلِّم معلومات للمخاطَب أكثر مما هو مطلوب، لغرض يفهمه المتلقي من سياق الكلام « فيلمح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسّياق، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه».[١] وما ورد بخرق هذا المبدأ في معجزات الأنبياء والأولياء قوله تعالى:﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا** ﴿٥﴾.[٢]

في هذه الآية يخرق النبيّ زكريا "عليه السلام" مبدأ الكم، في ضوء زيادته للعدد المطلوب من الكلمات، وذلك بإضافة عبارة (من لدنك) إلى قوله، فكلام النبيّ زكريا "عليه السلام" هنا قد خالف قاعدة (الكم) التي تنصُّ على عدم زيادة العدد المطلوب من الكلمات « لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب من الكلمات».[٣] فقد كان بإمكانه الإختصار، وطلب الولد مباشرة من الله تعالى، ولكنه عدل عن ذلك لكون الطلب من المستحيلات التي لا تنجز بالظروف المألوفة وإنَّما بوساطة معجزة إلهية وقدرة عظيمة.

وأشار ابن عاشور إلى سبب العدول عن المعنى الصريح في هذه الآية إلى المعنى المستلزم (لازم القول) بقوله: « ومعنى "من لدنك" أنّه من عند الله خاصّة، لأنَّ المتكلِّم يعلم أنَّ كلَّ شيءٍ من عند الله بتقديره وخلقه الأسباب ومسبباتها تبعا لخلقها، فلما قال "من عندك" دلَّ على أنَّه سأل وليا غير جارٍ أمره على المعتاد من

---

[١] استراتيجيات الخطاب: ٣٦٧.

[٢] سورة مريم، الآية: ٥.

[٣] اللسان والميزان: ٢٣٨.

إيجاد الأولاد لانعدام الأسباب المعتادة فتكون هبته كرامة له».[١]

وبيَّن هذا المعنى أيضًا صاحب الميزان بقوله: « لكونه آيسًا من الأسباب العادية التي كانت عنده، وهي نفسه وقد صار شيخًا هرمًا ساقط القوى، وأمرأته قد شاخت وكانت قبل ذلك عاقرا».[٢]

ونستنتج من هذا التواصل التداوليّ بين الحق تعالى وزكريا "عليه السلام" والمتمثل في التمهيد والإطالة في عدد الكلمات أنَّ خرقه لمبدأ الكم؛ إنَّما كان لأجل إثبات أنَّه يطلب من الله شيئا خارقًا للعادة، معجزًا، حيث اتضح في تمهيده استحالة حصول الولد إلا بواسطة قدرة إلهية معجزة، وفي ضوء هذا الأسلوب الذي استعمله زكريا، استلزم حصول المقصد، وذلك باستجابة الله تعالى له، ويتضح ذلك بقوله: (يا زَكَرِيّا إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسمُهُ يَحيى لَم نَجعَل لَهُ مِن قَبلُ سَمِيًّا).

ونراه " عليه السلام" يخرق هذه القاعدة أيضًا بقوله: ﴿ **يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴿٦﴾﴾.[٣]

فالمعلوم أنَّ الابن يرث أباه ولكن النبيّ زكريا "عليه السلام" عدل عن المعنى الحرفي لهذه الآية ليتعداه إلى لازم القول، فالمخَاطب عالم بفحوى الخطاب، فهو يخبر الله تعالى بما هو أعلم به، وهو بهذا يكون قد خرق (مبدأ الكم) بزيادة الكمية الإخباريّة لقوله عن حاجة المخاطَب. ولازم القول هو الخوف على أمواله؛ لأنَّ هذه الأموال في الأيدي الخطأ تؤدي إلى المفسدة وأشار إلى هذا المعنى الشيخ الشيرازي

---

[١] التحرير والتنوير: ١٦/ ٦٧.

[٢] الميزان في تفسير القرآن:١٤/ ٨-٩.

[٣] سورة مريم، الآية: ٦.

بقوله: «لقد كان زكريا خائفا من وقوع هذه الأموال بأيدي أناس غير صالحين، وانتهازيين، أو تقع بأيدي الفساق والفجرة، فتكون بنفسها سببًا لنشوء وانتشار الفساد في المجتمع، لذلك طلب من ربّه أن يرزقه ولدًا صالحا ليرث هذه الأموال وينظر فيها، ويصرفها في أفضل الموارد».[1] وعلى هذا يتبيَّن السبب من دعاء النبي زكريا عليه السلام وطلب المعجزة من الله تعالى.

ومن المواضع التي تمَّ فيها خرق هذه القاعدة الخطابيّة أيضًا قوله تعالى:﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ *قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ *قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَى* فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ *قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ *وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَى* لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾**.[2]

في ضوء هذه الآيات خرق النبيّ موسى "عليه السلام" مبدأ الكم، وذلك في حواره مع الله تعالى عن العصا التي كانت في يده، والمتمثل بقوله تعالى: (وَما تِلكَ بِيَمينِكَ يا موسى)، حيث كان سؤال الله تعالى له عن العصا التي كانت بيده؛ وذلك لجعله متيقنًا بأنَّ الذي في يده هي عصاه؛ كي لا يتطرق بعد ذلك الشك إلى قلبه عندما تحول إلى ثعبان بواسطة المعجزة الإلهية؛ فيعلم بذلك أنَّ هذا الثعبان هي العصا ذاتها.[3]، في حين كان جواب موسى "عليه السلام" ببيان ماهية العصا، وذكر فضائلها، وهذا ما يسمى بخرق مبدأ الكم، فقد زاد في جوابه بالعدد المطلوب

---

[1] الأمثل في كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، مج٨، ٨/١٥.

[2] سورة طه، الآية: (١٧-٢٣).

[3] ينظر: التفسير الكبير: ٢٢/ ٢٦.

من الكلمات؛ إذ مع كونه يستطيع الاختصار بقوله: (هي عصاي)، لكنّه أتمَّ بذكر فضائل هذه العصا. ولازم القول في جواب موسى عليه السلام عائد إلى أمرين هما:

الأول: يحتمل أن يكون موسى "عليه السلام" قد ابتدأ جوابه بهذا الشكل؛ لأجل التوصل إلى مراد السائل، فـ « ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا، كأنَّه احس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال: ما هي إلا عصا لا تنفع إلا بمنافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان؛ ليكون جوابه مطابقًا للغرض لذي يفهمه من فحوى كلام ربه».[1] وإذا أخذنا بهذا الأمر فإنَّ الخرق يكون سببًا للتوصل إلى المعجزة الإلهية المتمثلة في تحوّل العصا إلى ثعبان، فموسى "عليه السلام" أطال هنا في جوابه؛ ليوجّه المتلقّي إلى البوح بالمقصد من السؤال.

الثاني: وهو ما ذكره أحد المفسرين، ويتمثل في كون موسى عليه السلام قد أجاب بهذه الطريقة؛ لكون المقام هنا مقامًا عظيمًا، فالحوار مع الله تعالى لا يتشرف به أيّ شخص. فالواضح أنَّه قد أطال لذلك السبب، أيّ رغبة في إطالة الحوار مع الله تعالى.[2] فالمقام اِستلزم منه الإطالة، فالمعنى الظاهر هو ذكر فضائل العصا والمعنى المستلزم هو الرغبة في إطالة الحوار مع الله تعالى.

ونستنتج من هذا التواصل التداوليّ بين الله "عز وجل" وموسى "عليه السلام" السبب في خرق مبدأ الكم، والمتمثل في الهدف، والغاية التي في نفس موسى "عليه السلام" والمتجسده في الرغبة في اكتشاف حقيقة المراد من هذا السؤال، والتي تتبيّن له بعد ذلك بقوله تعالى: (قالَ أَلقِها يا موسى....)، فبواسطة هذا الجواب يكون

---

[1] التفسير الكبير: ٢٢/ ٢٦.

[2] ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٦/١٦.

المتلقي قد توصل إلى مراده، وذلك بمشاهدة المعجزة التي أيَّده الله بها عند الذهاب إلى فرعون.

وقد يكون الخرق لرغبته في إطالة الحديث مع الله تعالى كما ذكرنا سابقًا، ولذلك نراه يتكلَّم بما يزيّد عن المطلوب للإجابة ويطيل في حديثه مع السائل.

وصفوة القول أن خرق مبدأ الزيادة أو النقصان ورد في أكثر من موضع، وهذا الخرق لا يكون إلا لفائدة وغرض يقصده المتكلِّم، وهو التأكيد على المعجزات الإلهية وعرضها للمتلقي بشكل غير صريح يفهمه المخاطَب في ضوء اعتماده على الاستدلالات غير المباشرة التي تظهر من سياق الكلام.

ثانيًا: خرق مبدأ الكيف في معجزات الأنبياء والأولياء

في التعبير القرآني

مبدأ الكيف (قاعدة الكيف): يرتبط هذا المبدأ بصدق المتكلِّم فيما يقول، فعليه أن لا يقول مالا يعتقد، ويتجنب قول ما ليس لديه دليل عليه. وصيغة هذا المبدأ هي: «لا تقل ما تعتقد أنَّه غير صحيح، ولا تقل ما ليس لديك دليل عليه».[١]

يمكن التمثيل لاختراق هذه القاعدة الخطابيّة في معجزات الأنبياء والأولياء في قوله تعالى: ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** ﴾.[٢]

الإستلزام الحواري في هذه الآية يوجد متمثلًا في اختراق مبدأ الكيف، وهذا واضح في خطاب مريم "عليها السلام" لقومها؛ إذ أنّها قالت ما لا تمتلك عليه دليلا، فإشارتها بالكلام مع من لا يمكنه ذلك تخالف المنطق، وهذا يُعدُّ كذبًا من ناحية الوضع اللغوي، فكلامها لا يطابق الواقع، ويدل على ذلك قول قومها (كيف نكلم ...) إذ إنَّهم ظنوا أنَّها تستهزئ بهم وتسخر منهم وتستصغر شأنهم، فتعجبوا من طلبها، وكان جوابهم لها باستعمال أسلوب الاستفهام المتضمن معنى التعجب، أيّ كيف نكلم من في المهد، وهو لايزال في حالة صباه، وصغره؟! فقد تعجبوا من طلبها.[٣]

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٣٤. ومدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤: ٩٩. ونظرية التلويح الحواري: ٣٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٩.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١١٨٦.

وعلى هذا تكون مريم "عليها السلام" قد خالفت مبدأ الكيف، وأشار إلى ذلك الشهري بقوله: « يخالف المرسل القاعدة الثانية قاعدة الكيف بتلفظه بما قد يوصف بأنَّه كذب من ناحية الوضع اللغوي».[١] ولكن مريم "عليها السلام" خالفت مبدأ الكيف بافتراض أنَّ قومها يعلمون أنَّ المقام مقام جد؛ لأنَّهم ينتظرون منها تبريرًا لما حصل، وهم يعلمون أنَّ المتكلِّم يعلم أنَّ الموقف موقف جد.

ولازم القول إنَّها "عليها السلام" مأمورة بالإشارة من الله تعالى، وإنَّ هذا الصبي هو المخبر لهم، والمجيب عما سألوا عنه. وفي هذا يقول الألوسي: « والظاهر حينئذ أنها بينت بمعزل عن محاورة الأنس حسبما أمرت ففيه دلالة على أن المأمور به بيان بالإشارة لا بالعبارة».[٢]

وبيّن الطباطبائي هذا المعنى المستلزم بقوله: «إشارتها إليه إرجاع لهم حتى يجيبهم ويكشف لهم عن حقيقة الأمر، وهو جرى منها على ما أمرها به حينما ولد».[٣] بقوله: «فإمّا ترين من البشر أحدًا فقولي لهم إني نذرت للرحمن صوما».[٤]

وقد كان هذا الخرق في التواصل التداوليّ بين مريم عليها السلام وبني إسرائيل تمهيدًا لحصول المعجزة، التي تثبت براءتها "عليها السلام"، وتأييدًا لنبيه عيسى "عليه السلام"، فهي آية دالة على نبوَّته، والتي تمثلت في نطقه وهو لايزال في المهد،

---

[١] استراتيجيات الخطاب: ٤٤١.

[٢] روح المعاني: ٨٨/١٦.

[٣] الميزان في تفسير القرآن: ٤٤/١٤.

[٤] الميزان في تفسير القرآن: ٤٤/١٤.

ويتمثل ذلك بقوله تعالى على لسان عيسى "عليه السلام": « قالَ إِنّي عَبدُ اللَّـهِ آتانِيَ الكِتابَ....»[١] ، فنطقه وهو في سن لا ينطق فيه الصبي، وكلّ ما أخبرهم به من أمور لا يدع لهم أمرًا في الحديث عنها، ولا يسمح لأحد أن يرتاب في أمره، وختام كلامه بالسلام على نفسه، يشهد ببراءة والدته، وطهارتها.[٢]

¤ ويتمثل اختراق هذا المبدأ الحواري أيضًا في معجزة النبيّ يعقوب "عليه السلام" والمتمثلة في العلم بالغيب، وذلك بقوله تعالى : ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ*قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ**﴾.[٣]

الاستلزام الحواري الوارد في هذه الآيات يظهر في قوله تعالى: (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) ففي هذه الآية يخرق النبيّ يعقوب" عليه السلام" قاعدة الكيف لأنَّ كلامه يدخل تحت قاعدة «لا تقل ما تفتقر إلى دليل واضح عليه».[٤] خاصّة أن قوله كان معجزًا ولا تقبله العقول؛ فكلامه يخالف العرف الاجتماعي فالواضح عند قومه والمحيطين به أنَّ النبي يوسف عليه السلام أكله الذئب اعتمادا على قول أبناء يعقوب "عليه السلام" وهذا واضح في قوله تعالى:﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾.[٥] ولم يكن خاطرًا في أذهانهم أنَّ إخوة النبي يوسف "عليه السلام" كذبوا في ذلك، فضلا

---

[١] الميزان في تفسير القرآن: ١٤/٤٤٠.

[٢] ينظر: الميزان في تفسير القرآن:١٤/٤٤

[٣] سورة يوسف، الآية: ٩٤-٩٥.

[٤] استراتيجيات الخطاب: ٤٤١.

[٥] سورة يوسف، الآية: ١٧.

عن أنَّ يوسف عليه السلام مضى على غيبته سنوات طويلة، وعلى هذا يكون قوله "عليه السلام" لا يوافق المنطق اطلاقًا.

وما يؤيد هذا القول قول النبي يعقوب عليه السلام: (لولا أن تفندون) إذ إنه كان يعي بالقول، ولأن المتكلِّم كان واعيًا للقاعدة التي خرقها فخشي أن يكذبوه، ويتهموه، بالخرف ويقولوا عنه بأنَّه فقد عقله، وضعف رأيه من الهرم والمرض، لذلك أتمَّ كلامه بقوله: (لولا أن تفندون) أيّ: تسفهوني وتكذبوني وتنسبوني إلى الخرف.[١] فسبقهم إلى ذكر التفنيد لتخفيف حدة اتهامهم أو لردعهم عن قولها.

أمّا لازم القول فإنَّه يتمثل في أنَّ النبيّ يعقوب "عليه السلام" يعلم من الحق تعالى ما لا يعلمه قومه، وهذا واضح بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾. [٢] وقد بشر بعودة يوسف عليه السلام عن طريق الوحي، ويدلّ على هذا قول ابن عاشور: « ووجدان يعقوب ريح يوسف عليه السلام إلهام خارق للعادة جعله الله بشارة له، إذ ذكره بشمة الريح الذي ضمخ به يوسف عليه السلام حين خروجه مع إخوته، وهذا من صنف الوحي بدون كلام ملك مرسل وهو داخل في قوله تعالى: وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيًا».[٣]

وفي ضوء ذلك يتضح أنَّ هذا الإحساس لم يكن إلا إلهامًا من الله تعالى لنبيه يعقوب عليه السلام وبشارة له.

---

[١] ينظر: قصص قرآنية: ٤٢١/١.

[٢] سورة يوسف، الآية: ٩٦.

[٣] التحرير والتنوير: ١٣/ ٥٢.

ويمكن التمثيل لهذا المبدأ أيضًا بقوله تعالى: ﴿ **قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ** ﴿٦٣﴾.[1]

في هذه الآيات خرق مبدأ الكيف، وذلك في ضوء الحوار بين إبراهيم "عليه السلام"، وقومه إجابة على سؤالهم المتمثل بقوله تعالى: (أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ)، فقد خرق هذا المبدأ بقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ)، إذ قال ما يعد كذبًا من الوضع اللغوي، فهو بقوله هذا يخرق قاعدة الكيف التي تشترط عدم قول مالم يكن هناك دليل عليه « لا تقل ما تعوزك فيه البينة المقنعة».[2]

ولتفعيل مبدأ التعاون بين النبيّ إبراهيم " عليه السلام" وبين قومه نراه يستعمل الضمير الإشاري (هم) العائد إلى الأصنام ليبين كذب ما ادعى فهم يعلمون أن الأصنام بطبيعتها غير قادرة على الحركة، وبهذا سينتقلون من المعنى الحرفي إلى لازم القول لأنَّ الكذب ليس مطلوبا لذاته.

أمّا لازم القول في كلامه "عليه السلام" فهو إقامة الحجَّة عليهم، حيث صيغ الجواب بأسلوب وجه فيه المتلقي إلى الاعتراف بوحدانية الله تعالى، والإقرار بما أراد منهم أن يقروا به لاحقًا، وهو قولهم: « لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ».[3]

فالواضح أنَّ كلامه استلزم أن تكون هذه الأصنام غير قادرة على فعل شيء،

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: ٦٢-٧٠.

[2] مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، مكتبة الطموح، (د. ط) ٢٠١٥: ١٧.

[3] سورة الأنبياء، الآية: ٥٩.

فإبراهيم عليه السلام هنا لم يكن كاذبًا في كلامه « لأنَّ الكذب في الكلام إنَّما يتحقق إذا لم يكن هناك قرينة على أنَّه لم يرد ما ذكره بالإرادة الجدية، وإنَّما ذكره لغاية أخرى ومع تلك القرينة لا يُعد الكلام كذبًا». [١] ، والقرينة في خطاب إبراهيم عليه السلام تتمثل في أمرين: [٢]

الأول: يظهر في قوله: « وَتَاللَّـهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ».[٣]، فإنَّه ليس من الممكن أن يكون قال ذلك في قلبه، والدليل على ذلك قولهم : (سمعنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)، فقد كان معروفًا بعدائه للأصنام، وعدم الإيمان بها. والثاني: إنَّ من المسلّم أنَّ إبراهيم "عليه السلام" وعبدة الأصنام، يعلمون علم اليقين أنَّ هذه الإلهة لا تقدر على النطق أو الحركة، وبذلك مع تلك القرينة إذا أجاب إبراهيم قومه بهذا الجواب، يعلم منه أنَّه لم يكن يتكلّم به بصورة الجد، وإنَّما لغاية أخرى، وهي الزامهم الحجة على أنَّ ما يعبدون من دون الله من الآلهة لا تستطيع لنفسها نفعًا ولا ضرًا، وقد أقروا الاعتراف بهذا الأمر بأنفسهم لاحقًا، ويتضح ذلك بقولهم :« لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ».[٤] فالواضح أنَّه استعمل هذا الأسلوب تمهيدًا لتخطئتهم وحملهم على الاعتراف.

وفي ضوء ذلك يتضح السبب من خرق هذا المبدأ، في جواب إبراهيم عليه السلام. وبعد كلِّ هذا الجدال بين إبراهيم عليه السلام وقومه، وغلبهم بالحجج

---

[١] عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤: ١٢٩

[٢] ينظر: المصدر نفسه: ١٢٩-١٣٠.

[٣] سورة الأنبياء، الآية: ٥٧.

[٤] السورة نفسها، الآية: ٥٩.

الظاهرة ، لم يكن لهم سبيل للخلاص منه إلا بإحراقه؛ لذلك أمروا بإحراقه وإلقائه في النار ويتمثل ذلك بقوله: «قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ».[١] ولكن أمر الله كان غالبًا على أمرهم، إذ أيَّد نبيَّه بمعجزة خالدة تمثلت بأمر النار أن تكون بردًا، وسلامًا على إبراهيم "عليه السلام" فأمرهم بإحراقه استلزم معجزة من الله " عز وجل" وذلك واضح في قوله: « قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ». [٢] وكانت هذه المعجزة، غاية في الدلالة على إثبات الأمر الذي أراده إبراهيم عليه السلام بخرق مبدأ الكيف، فحصول هذه المعجزة، فيه إشارة عظيمة على وحدانية الخالق وقدرته.

ويتجلّى خرق هذا المبدأ أيضًا في معجزة النبيّ يوسف "عليه السلام" المتمثلة في العلم بالغيب **قال تعالى:** ﴿ **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾ . [٣]

في هذه الآية خرق النبيّ يوسف "عليه السلام" مبدأ الكيف، إذ إنَّه قال كلامًا مخالفًا لما يقتضي المنطق، وهذا واضح في قوله: (أذكرني عند ربك) فالكلام لايزال رؤيا وهو لا يملك الدليل على صحة ما قاله، وهو بهذا يخرج عن السياق الظاهري للآية لينتقل إلى لازم القول والمتمثل بإيمان النبيّ يوسف "عليه السلام" المطلق بالله تعالى، وما أوحى به إليه فـ «هو على يقين أنَّ ما أخبرهما بحدوثه وكونه، أنَّه كان لا محالة، لاشك فيه؛ وليقينه بكون ذلك قال للناجي منهما " اذكرني عند ربك"».[٤]

---

[١] سورة الأنبياء، الآية: ٦٨.

[٢] السورة نفسها الآية: ٦٩.

[٣] سورة يوسف، الآية: ٤٢.

[٤] جامع البيان عن تأويل آي القرآن:١٣/ ١٧١-١٧٢.

ولا يخفى ما في هذا القول من إشارة إلى الدعوة إلى دين التوحيد والأيمان بالله "عز وجل" ففيه توجيه لإصحابه في السجن الى قطع الشكَّ باليقين، وذلك بالتسليم إلى أن الامر واقع لا محاله، وأن تأويل رؤيتيهما لم يكن من قبيل التكهن والتنجيم وإنَّما هو بوحي من الله "عز وجل" ولا شكَّ أنَّ ساقي الملك سينقل ذلك إلى الملك والملأ من قومه فيشيع ذكر يوسف "عليه السلام" بينهم، وما يعقب ذلك من معرفة بالحق تعالى الذي أوحى إليه ما أوحى من معجزة تأويله للأحاديث التي تعد من المغيبات المستقبلية.

وبعد هذه الأمثلة يتبيّن، أنَّ الأنبياء والأولياء لم يعتمدوا على الظاهر من أقوالهم للإشارة إلى معاجزهم، وإنَّما عمدوا إلى تجاوز ما تعنيه اللفظة ظاهرًا إلى ما تستلزمه من معنى يوضح المقصد من الكلام، فعند ربط البحث في الأقوال السابقة التي ورد ذكرها في هذا المبحث بقواعد غرايس وجد أنَّها انتهكت قواعد مبدأ الكيف.

ثالثا: اختراق مبدأ المناسبة في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

مبدأ المناسبة (قاعدة المناسبة): يرتبط هذا المبدأ بالكلام حين يأتي مترابطًا، يكمل بعضه الآخر، حيث يكون مناسبًا لموضوع الحوار وملائمًا له، وصيغة هذا المبدأ الحواري هي: ليكن كلامك ذا علاقة مناسبة بموضوع الحوار، أيّ مناسبة المقال للمقام الذي يدور فيه الحوار.[١]

والهدف من هذا المبدأ هو منع المخاطِب من أن ينزلق في خطابه إلى مقاصد خطابيّة أخرى، تكون مخالفة للغرض الذي يقصده المتكلِّم.[٢]، وبذلك لا يُعدّ الخطاب خطابًا؛ لكون أوله لا يتفق مع آخره ، فيكون نقيضًا له خارجًا إلى معنى آخر مغاير للقصد الصريح الواضح الذي يفهمه المتلقي من ظاهر اللفظ، فالمتكلِّم قد يعمد إلى خرق هذا المبدأ؛ لإيقاع التأثير في مخاطبه وتوجيهه لفهم أمرٍ ما، فالقائل إذا قصد شيئًا في ضوء تلفظه لجملة معيَّنة، فإنَّ هذا يعني أنَّه كان ينوي وهو يتلفظ بها التأثير في مخاطبه.[٣] فاختراق هذا المبدأ يكون لأجل إيقاع التأثير في المتلقي وتعريفه بالأمور التي يجهلها.

---

[١] ينظر: آفاق جديدة في نظرية البحث اللغوي العاصر:٣٤. ينظر: القاموس للموسوعيّ للتداوليّة:٢٦٦. ينظر: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي :٤٢.

[٢] ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدوار، منشورات الاختلاف، الرباط، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م:١٠٠.

[٣] ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، د.محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣: ٣٥.

وسيعرض البحث للآيات التي تم فيها خرق هذه القاعدة، وبيان مدى انسجامها وتطبيقها في الآيات التي تضمنت معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني.

وظف النص القرآني خرق هذا القاعدة في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ *قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ *قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ *قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾.[1]

الإستلزام الحواري في هذه الآيات يتجلّى في خرق مبدأ المناسبة، وذلك في الحوار بين عيسى عليه السلام والحواريين، حين طلبوا منه أن ينزل عليهم مائدة من السماء؛ لتكون معجزة، دالة على صدق نبوَّته، فأجابهم بخرق هذا المبدأ، ويتضح ذلك بقوله تعالى: (اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، فالجواب لم يكن له علاقة بالموضوع فهم طلبوا منه إنزال مائدة، في حين نجده يأمرهم بالتقوى، فالمعنى الحرفي لقوله "عليه السلام" يتمثل في أمر قومه بالتقوى، وهذا واضح في استعماله فعل الأمر (اتقوا) وظاهر قوله هذا لا يوضح المقصد، والسبب في خرق هذا المبدأ يتمثل في أمرين هما: [2]

الأول: قد أمرهم بالتقوى، والثبات على إيمانهم؛ ليعلم الداعي من سؤالهم، خشية أن يكونوا قد سألوه شكًّا في صدقهِ. فالمعنى المستلزم هو معرفة الداعي من سؤالهم.

---

[1] سورة المائدة ، ١١٢-١١٥.

[2] ينظر: التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٦-١٠٧.

الثاني: قيل إنَّه إنَّما قال لهم ذلك لينهاهم عن طلب المعجزات أن كانوا مؤمنين بالله تعالى فما الحاجة إلى المعجزة، فالأولى لهم ألّا يسألوه، فالمعنى المستلزم من قوله هو النهي عن طلب المعجزات؛ لأنّهم شاهدوا أكثر من معجزة له فما الداعي لسؤالهم؟ فالأفضل لهم إن كانوا مؤمنين بالله "عز وجل" أن لا يسألوه. فكان جوابهم له إنَّما سألوه ليس لشك في إيمانهم؛ ولكن لتطمئن قلوبهم، وهذا الكلام شبيه بكلام إبراهيم عليه السلام عندما طلب من الله تعالى رؤية إحياء الموتى.[1] والمتمثل بقوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي » .[2]

وفي ضوء ذلك يتبين لنا السبب في خرق هذا المبدأ في التواصل التداوليّ بين عيسى "عليه السلام" والحواريّين، ولذلك دعا الله تعالى لإنزال المائدة لتكون حجَّة عليهم ودليلًا على صدَّق نبوَّته، ولتطمئن قلوبهم بذلك تلبية لطلبهم.

ويمكن التمثيل خرق هذا المبدأ أيضًا بقوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا** ﴿٦٦﴾ **قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا**﴿٦٧﴾ **وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا** ﴿٦٨﴾.[3]

تضمن ملفوظ هذه الآيات خرقًا لمبدأ المناسبة، فالكلام يحمل في طياته قصدًا آخر، حاول في ضوئه المتكلِّم توجيه المخاطَب له وهو التحذير من اتباعه، ويتجلّى هذا الخرق في حوار الخضر "عليه السلام" لموسى "عليه السلام" والمتمثل بقوله:

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير:٢٠٩/٧.

[2] سورة البقرة، الآية:٢٦٠.

[3] سورة الكهف، الآية: ٦٦-٦٨.

(أنك لن تستطيع معي صبرا) حين طلب منه موسى أن يتبعه، ويتعلّم منه العلم الذي خصَّه الله تعالى به، فكان جواب الخضر بخرق هذا المبدأ الحواريّ، لأجل إيصال الفائدة من الكلام إلى موسى عليه السلام بشكل غير صريح وغير حقيقي كون المتكلَّم غير عالم بذلك، حيث إنَّه بواسطة اختراق هذا المبدأ تنتقل الإفادة من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى معنى ضمني مستلزم غير صريح وحقيقي.[١]

فجوابه لم يكن مناسبًا للموضوع، وإنَّما خرج عن الموضوع الأساس، فكان من المفترض أن تكون الإجابة بنعم أو لا حسب الطلب من أداة الإستفهام، ولكنه إجابه بجواب ليس له علاقة بالموضوع، ولازم القول أنَّ الخضر عليه السلام إنَّما قال ذلك؛ لأنَّه يعلم أنَّه يثقل على موسى الصبر على الأمور التي سيقوم بها، بإشارة من الله تعالى، حيث إنَّه يحكم بما علمه الله تعالى، فهو يسند كلّ عمل يقوم به إلى الله تعالى. [٢] وهذا واضح بقوله: (وَما فَعَلتُهُ عَن أَمري).[٣].

وقد عدل عن منعه بصورة مباشرة عن اتباعه إلى استعمال طريقة غير مباشرة « للعدول عن محاولة إكراه المرسل إليه أو أحراجه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه بمنحه فرصة للرفض والمناورة باللغة فلا يعمد المرسل إلى إحراجه إن كان لا يرغب في تنفيذ ما يريد منه ».[٤]

---

[١] ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٣٩.

[٢] ينظر: مجمع البيان، م٣، ٦: ٧٤٩.

[٣] سورة الكهف، الآية:٨٢.

[٤] استراتيجيات الخطاب: ٣٧١.

وبعد مضيهم في الرحلة وقيام الخضر بتأويل الأشياء التي عجز موسى عن الصبر أمامها نستنتج أنَّ القصد الحقيقي من هذا الإتصال التداوليّ إنَّما كان لأجل توجيه المتلقي لمعرفة ما من أمور لا يستطيع الصبر عليها كونه غير عالم بخفاياها.

ويبدو هذا الأسلوب أيضًا في قوله تعالى: ﴿ **فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ *قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ** ﴿٣٠﴾.[١]

تضمن ملفوظ هذه الآيات خرقا لمبدأ المناسبة في حوار الملائكة مع زوجة إبراهيم "عليه السلام" ردًا على تعجبها لأمر الله تعالى حين بشرت بإسحاق "عليه السلام" والمتمثل بقولها: (عجوز عقيم)، وفي ذلك تنبأ عن دهشتها لهذه البشرى، إذ أنَّها كانت في الأصل عقيمًا.[٢] فإنَّ تعجّبها هذا اقتضى أن يكون جواب الملائكة جوابًا على تعجّبها مستلزمًا معنى غير مباشر تمثل بقولهم: (كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)، فالملائكة بهذا الجواب أرادوا ردّها إلى الحقيقة واليقين بأنَّ هذا الأمر إنَّما هو بقدرة الله تعالى وحكمته، وإنَّه لا يعجز عليه شيء سبحانه، وهذا واضح في قول ابن عاشور: « إنَّ الملائكة ما أخبروا إبراهيم إلا تبليغًا من الله، وإنَّ الله صادق وعده، وإنّه لا موقع لتعجّب امرأة إبراهيم؛ لأنَّ الله حكيم يدبر تكوين ما يريده، وعليم لا يخفى عليه حالها من العجز والعقم» .[٣] فو أن اراد اراد شيئًا يقول له كن فيكون ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤]. لذلك كان جوابهم يحمل معنى

---

[١] سورة الذاريات، الآية: ٢٩-٣٠.

[٢] ينظر: في ظلال القرآن: مج ٦، ٢٧/ ٣٣٨٣.

[٣] التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٦١.

[٤] سورة يس، الآية: ٨٢.

مستلزمًا يتمثل في عدم التعجّب والتيقن من أنَّ الله على كل شيء قدير ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.[1]

ومن المواطن الأخر التي تمَّ فيها خرق هذا المبدأ الحواريّ قوله تعالى:﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ** ﴿٣٧﴾.[2]

الإستلزام الحواريّ متحقق في هذه الآيات في خرق (مبدأ المناسبة) ويتجلى خرق هذه القاعدة الخطابيّة في جواب النبيّ يوسف "عليه السلام" لصاحبيه في السجن حين طلبا منه تفسير رؤيتيهما، بوصفه شخصًا يتسم بالخلق الحسن، ورجاحة العقل، والكمال، وهو في غاية الإحسان. [3] وهذا واضح في قولهما: (نبئنا بتأويله)، فجوابه لم يكن له علاقة بما سألا عنه، وهذا واضح في قوله: (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا أنبأتكما بتأويله)، فسألا عن تأويل الرؤيا وأجاب بالأخبار عما يحضر لهم من طعام، وعلى هذا فهو يخرق قاعدة المناسبة التي تشترط « أن يكون حديثنا داخل الموضوع ذا علاقة بأقوال القائل السابقة وأقوال الآخرين».[4]

ولم يكن ذلك إلا لأمر في نفس يوسف "عليه السلام" فجوابه بهذه الطريقة والخروج عن مقتضى السؤال، وعدم تفسيره لرؤيتيهما بطريقة مباشرة، وخروجه عن

---

[1] سورة الحديد، الآية: ٢.

[2] سورة يوسف، الآية: ٣٦-٣٧.

[3] التحرير والتنوير: ٢٦٩/١٢

[4] التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل: ٥٧.

الموضوع الرئيس، ثُمَّ العودة بعد ذلك إلى تفسير الرؤيا، كلّ ذلك كان لغاية وهدف أراد إيصاله لهما، والمتمثل في دعوتهما إلى لإيمان بالله تعالى، والدعوة إلى دين التوحيد وترك عبادة الأصنام. وأوضح البيضاوي لازم القول في جواب يوسف "عليه السلام" بقوله:« اراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما إلى الطريق القويم قبل أن يسعف إلى ما سألاه منه كما هي طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد، فقدّم ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير».[1]

فالمتكلِّم عادة ما يخرق هذا المبدأ لأجل توصيل المخاطَب إلى ما يقصده، وهذا ما نصّ عليه سيرل بقوله: «عندما أتكلم فأنا أحاول إيصال بعض الأشياء إلى مخاطبيّ بدعوته إلى التعرف على مقصدي من توصيل تلك الأشياء بالذات وأتحصل على الأثر المنتظر عموما عندما أدعوه إلى معرفة غرضي من تقديم هذا الأثر له، وما أن يتعرف مخاطبيّ على ما في غرضي الحصول عليه حتى تتحقق النتيجة عموما».[2] وهذا ما فعله يوسف عليه السلام، إذ إنَّه باختراقه لهذا المبدأ، تمكن من دعوتهم إلى دين التوحيد، ومعرفة الله تعالى.

فالواضح من جوابه أنَّه أراد أن ينبئهما بالطعام وما سيكون عليه؛ كي تثبت في نفوسهم أنَّه يملك من العلم مالا يعلمون، ثُّم نجده يسند هذا العلم لله تعالى، كما هو واضح في قوله: (ذلكما مما علمني ربي)، أيّ أنَّ هذا العلم من الله تعالى، وذلك من فضل الله عليه؛ لأجل تعريفهم بالله تعالى؛ وتثبيت المعجزة في نفوسهم؛ ولبيان قدرة الله لهم؛ لذلك نجده يستأنف كلامه لينبئهم بالطعام الذي سيقدّم لهما ثُّم يتم

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ١٦٣-١٦٤.

[2] التداولية من أوستن إلى غوفمان : ١٣٩.

حواره؛ ليعرفهم بدينه، ويرشدهم إلى اتباع دين التوحيد، وبيان ماهية الآلهة التي يعبدونها.[١] فالمعنى المستلزم اقتضى منه ذلك. و هو إنَّما أخبرهما به من تأويل لم يكن صادرًا عن جهة التهكم والتنجيم مثلما هو حال المعبرين من كهنة المعبد وإنّما أخبرهما به مؤكدًا بوحي من الله تعالى.[٢]

وفي ضوء ما سبق عرضه من خرق لمبدأ المناسبة في معجزات الأنبياء والأولياء اتّضح أنَّ خروج كلام الأنبياء والأولياء عما يناسب السياق، وعدم وجود علاقة بين ما قالوه للمخاطَب أو قدموا له من معلومات في حواراتهم يتطابق كثيرًا مع ما جاء به غرايس في الدرس التداوليّ، وتكلّم عنه تحت عنوان: مبدأ المناسبة.

[١] ينظر: تفسير في ظلال القرآن، م ٤: ١٢/١٩٨٨.

[٢] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ١٦٣-١٦٤.

رابعا: اختراق مبدأ الطريقة في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

مبدأ الطريقة(قاعدة الطريقة): يرتبط هذا المبدأ بكون الكلام يجب أن يكون ذا دلالات واضحة، وصريحة، بعيدة عن الغموض والإبهام، متضمنة للإيجاز، وتتمثل هذه القاعدة بعدة مبادئ منها: [1]

١- أوجز كلامك بالقدر الذي يوضح المقصد أو الغرض من الخطاب.

٢- ليكن كلامك مرتبًا بحسب ما يقتضي المعنى المراد لذلك.

٣- تجنّب اللبس والغموض في المعنى.

¤ ويمكن التمثيل لخرق هذه القاعدة الخطابية بقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ** ﴿٤٢﴾ .[2]

الاستلزام الحواريّ في هذه الآية متحقق في خرق (قاعدة الطريقة) وهذا واضح في الحوار بين سليمان "عليه السلام" وملكة سبأ (بلقيس) فنراها تخرق أحد مبادئ هذه القاعدة في قولها: (كأنَّه هو) إجابة على سؤال النبيّ سليمان "عليه السلام" والمتمثل بقوله: أهكذا عرشك؟ فسؤاله لم يكن سؤال تلقين، وإنَّما كان منكرًا «فلم يقل: أهذا عرشك بل زيد في التنكير فقيل: أهكذا عرشك؟ فاستفهم عن مشابهة عرشها لهذا العرش المشار إليه في هيئته، وصفاته، وفي هذه الجملة نفسها نوع من

[1] ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي:٢٣٩. وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي معاصرة: ٣٤. وينظر: نظرية التلويح الحواري:٣٠.

[2] سورة النمل، الآية: ٤٢.

التنكير».[١] وقد «أراد بذلك أن يريها بعض ما خصّه الله من العجائب الدالة على عظم القدّرة وصدقه في دعوى النبوة».[٢]

وكونها علمت أنَّه يريد اختبارها تجيب على سؤاله بخرق هذا المبدأ، (مبدأ الطريقة) والتي تنصّ على أن يكون الكلام واضحًا جليًا لا لبس فيه ولا غموض فكلامها يدخل تحت قاعدة عدم « تجنب اللبس والغموض في المعنى».[٣] حيث إنَّ كلامها كان مبهمًا وغامضًا، « فعرفت وأنكرت فلم تقل هو ولا ليس به فقالت كأنه هو».[٤] فقد «إجابته بما يفيد الظن مع التشكيك، فقالت: كأنَّه هو، لاحتمال أن يكون هذا العرش شبيه بعرشها، وليس هو». [٥]

وهي بهذا تروم إلى إيصال معنى غير مباشر (لازم القول) إلى النبيّ سليمان "عليه السلام" يستلزم كمال عقلها، ورجاحته، فضلا عما يدلُّ عليه من الإيمان بالنبيّ سليمان "عليه السلام" ومعجزاته، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِين).[٦] فظاهر السياق لهذه الآية يكشف حقيقة (لازم القول) في كلامها «ففيه دلالة على كمال عقلها أيضًا ومعناه أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوَّتك من قبل هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة بما شاهدناه من أمر الهدهد وما

---

[١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ٧٦٦.

[٢] الميزان في تفسير القرآن: ١٥/ ٣٦٦.

[٣] اللسان والميزان: ٢٣٩.

[٤] معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار المصرية القاهرة،، مصر، ط١، ١٩٠٠: ٢/٢٩٥.

[٥] روح المعاني: ٩/ ٢٠٧.

[٦] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

سمعناه من رسلنا إليك من الآيات الدالة على ذلك».[١]

ونلمح خرق لهذه المبدأ أيضًا في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا**﴾.[٢]

في هذه الآية يخرق النبيّ زكريا "عليه السلام" مبدأ الطريقة، فالمعنى الحرفي لهذه الآية يوحي بأن النبيّ زكريا "عليه السلام" يخبر المولى "عز وجل" بضعف قوته، وكبر سنة، والله "عز وجل" أعلم به، إلا أنَّ السياق التداوليّ يخرج هذه الآية من معناها الظاهري لتتعداه إلى المعنى المستلزم من سياق الكلام وهو طلب العطف والاسترحام من الله "عز وجل" فـ« وهن العظم واشتعال الرأس شيبًا كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانيه زكريا ويشكوه إلى ربّه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه».[٣] وبوساطة هذه الكناية يكون النبي زكريا "عليه السلام" قد خرق أحدى قواعد مبدأ الطريقة التي تقضي أن يكون الكلام واضحًا لا لبس فيه ولا غموض. واستلزم قوله هذا البشارة بما هو مستحيل معجز بالنسبة لحاله وهي البشرى بالغلام.

ومن مواطن خرق هذا المبدأ أيضا قوله تعالى:﴿ **يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴿٢٨﴾** ﴾ [٤].

في هذه الآية يخرق بنو اسرائيل أحدى قواعد مبدأ الطريقة وهي (قاعدة الوضوح) التي تفترض أن يكون الكلام واضحًا خاليًا من اللبس، فمن شروط الكلام«

---

[١] ينظر: روح المعاني: ٢٠٧/١٩.

[٢] سورة مريم، الآية: ٤.

[٣] في ظلال القرآن: مج٤، ١٦/ ٢٣٠٢.

[٤] سورة مريم، الآية: ٢٨.

أن يعبر بوضوح وبلا لبس قدر الإمكان».[١] فكلامهم لمريم "عليها السلام" ظاهره مدح وثناء إلا أنَّه يستلزم أن تكون مريم بغيا، إذ أنَّهم ذكروا تفاصيل تتعلّق بالعفة وتاريخ أبويها، ويدلّ على هذا تصريحهم بادئ الأمر والمتمثل بقولهم: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾.[٢] أي « جئت بالشيء العظيم المنكر، قالوا لها ذلك على وجه الذم»[٣]

ويمكن لمريم "عليها السلام" أن تستنتج ذلك بتفعيل مبدأ التعاون، فمن الواضح أنَّها تعلم أن الوضع الذي هي عليه لا يتطلب مدحًا فالمقام ليس مقام ذكر فضائلها وفضائل والديها، وعلى هذا فهي تعلم مقصد القوم من ذلك المدح.

وأشار ابن عاشور الى لازم القول بقوله: « عنوا بكلامهم هذا الكناية عن كونها أتت بأمر ليس من شأن أهلها، أيّ أتت بسوء ليس من شأن أبيها وبغاء ليس من شأن أمّها، وخالفت سيرة أبويها، فكانت امرأة سوء، وبغيًا، وما كان أبوها أمرأ سوء ولا كانت أمّها بغيًا فكانت مبتكرة الفواحش في أهلها وهم أرادوا ذمها فأتوا بكلام صريحه ثناء على أبويها مقتضي أنَّ شأنها أن تكون مثل أبويها. [٤]

---

[١] التداولية اليوم علم جديد للتواصل: ٥٦.

[٢] سورة مريم، الآية: ٢٧.

[٣] التفسير الكبير:٢٠٨/٢١.

[٤] التحرير والتنوير: ١٦/ ٩٦.

وكلامهم هذا استلزم أن تؤيد مريم عليه السلام بمعجزة تغير الوضع القائم على الاتهام وتبرئها مما لصق بها من التهم، فأنطق الله عيسى "عليه السلام" ليبرّئ أمه من التهم التي ألقاها عليها قومها﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.[1]

نستنتج من كلَّ ما سبق ذكره أنَّ أدراك المعاني الضمنية في معجزات الأنبياء والأولياء، لا يتم الا بعد تجاوز المعنى اللفظي للآية وتوظيف السياق التداوليّ للبحث عن مقاصدها، ومعرفة الغاية الخطابيّة منها، وهي أمور أدركها المفسرون في ضوء تفسيرهم للآيات وأشاروا إليها، وعلى هذا يمكن أنَّ تطبق هذه الاستراتيجية على النصّ القرآني في ضوء الإلمام بالسياق، ومعرفة المقصد.

[1] سورة مريم، الآية: ٣٠.

الفصل الثالث

الحجاج في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني

توطئة:

مفهوم الحجاج:

يُعدّ الحجاج آليةً من آليات الإقناع، يروم المتكلِّم في ضوئها إقناع الآخرين بما يريد قوله، فهو« نشاط قولي».[١] مقتضاه أن يُقدِّم المتكلِّم قولًا أو مجموعة من الأقوال؛ لتكون حجَّة موجهة؛ لجعل المتلقّي يقول قولا آخر، يكون نتيجةً لهذه الحجَّة.[٢] فلكي يقنع العقل الرافض، لابد من سوق الحجج، والبراهين التي تثبت ذلك القول.

وهذا المفهوم ناتج عن التقاء تيارين مختلفين في أصلهما، كلٌّ منهما يعود إلى جذر مختلفٍ عن الآخر، ولكنهما يتداخلان فيما بينهما في الوقت نفسه، فالأول منها يرتبط بالفلسفة اللُّغوية، والآخر يوجد عند الباحثين اللسانيين في قضيَّة الخطاب، وذات المتكلِّم، وما يؤول له الخطاب.[٣]، وهذا ما اتضح في دراسة عبد الله صولة للحجاج، فهو يرى أنَّ الحجاج في الدراسات الحجاجية يقوم على ضربين: ضرب يوافق حدود المنطق، ويكون ضيق المجال، حيث يكون مرادفًا لقضيِّة البرهنة والاِستدلال، وضرب آخر يكون واسع المجال، فهو يختص بدراسة مختلف التقنيات

---

[١] الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، باتريك شارودو، ترجمة: د. أحمد الودرني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩: ١٤.

[٢] ينظر: نظرية الحجاج في اللّغة، د. شكري المبخوت، صمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي الصمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب المنوبة، تونس، (د. ط)، (د. ت): ٣٦٠.

[٣] ينظر: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، د. صابر الحباشة، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٨: ٧.

البيانية التي من شأنها إقناع المتلقي.[١] ومن ثمَّ فإنَّ الحجاج عنده يقوم على ثلاثة مفاهيم:[٢]

المفهوم الأول: يتناول الحجاج بوصفه قضيَّة جدلية، ويوجد ذلك في دراسات القدماء وبعض المحدثين العرب.

المفهوم الثاني: يتناول الحجاج بوصفه قاسمًا مشتركًا بين صناعة الجدل، وصناعة الخطابة، وذلك واضح في فلسفة اليونان وأرسطو.

المفهوم الثالث: وهو مفهوم يتناول الحجاج بوصفه قسمًا مستقلًا بذاته عن فنّي الجدل، والخطابة، ويُعدّ هذا المفهوم أوضح، وأدق من المفهومين السابقين، ذلك لأن الحجاج قد أخذ شيئًا فشيئًا في التطور، والإِستقلال؛ ليصبح مبحثًا فلسفيًا، ولغويًا منفردًا عن الصناعات الأخرى، التي ارتبطت به سابقًا.

وسيحاول البحث دراسة موضوع الحجاج في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني، بالإِعتماد على "نظرية ديكرو" الذي يرى أن فكرة التوجيه الحجاجي تتولاها عوامل لغوية تتمثل بالروابط والعوامل الحجاجية التي تؤدي وظيفة في الربط بين الحجج، وحصرها وصولًا إلى نتيجة معينة.

[١] ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠١، دار المعرفة للنشر، الجمهورية التونسية، ط٢، ٢٠٠٧: ٨.

[٢] ينظر: المصدر نفسه: (٨-٩).

أولًا: دلالة الروابط الحجاجية في معجزات الأنبياء والأولياء

في التعبير القرآني

مفهوم الروابط الحجاجية:

مجموعة من الآليات اللَّغويَّة، تربط بين وحدتين دلاليتين، إحداهما: يتمثل بالحجّة، والآخر بالنتيجة. [١] فهي « العلاقة التي تصل بين شيئين بعضهما البعض، وتعني كون اللاحق منها متعلقًا بسابقه».[٢] ويتمظهر هذه التقنيات الحجاجية بمجموعة من الأدوات تتمثل في« حروف العطف، والظروف» [٣] . وكذلك أدوات الاستئناف التي تربط بين القضايا، فهي تربط بين السبب والنتيجة، وفي كلٍّ من الواو وأو ولكن .. الخ. فضلًا عن ذلك العبارات مثل: (من قبل)، (رغم أن)، و(إن كذا)، إذ تُعدُّ هذه العبارات من التقنيات التي يستعملها المتكلِّم؛ لتضمن له سلامة انقياد السامعين إلى حيث يريد أن يقودهم.[٤]

وكذلك تُعدُّ أدوات الشرط من الروابط الحجاجية أيضًا، فهي تربط بين فعل الشرط وجواب الشرط، حيث إنَّ بعض الأحداث قد تأتي مشروطة بعضها ببعض،

---

[١] ينظر: اللغة والحجاج: ٢٧. وينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، منشورات الضفاف، بيروت، لبنان، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ١٠٠.

[٢] معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ_ ١٩٨٥م: ٩٠.

[٣] اللغة والحجاج: ٢٩.

[٤] ينظر: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، عبد الله صولة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، د.حمادي صمود، تونس، وزارة التعليم العالي، كلية الآداب: ٣٢١.

و يتعلق أحدها بوجود الأخرى.[١] ومن ثمَّ فهذه الأدوات تربط بين السبب والنتيجة. فيعتمد الخطاب الحجاجي على هذه العناصر اللغوية، التي لا تختص بمجال دون غيره، وإنَّما تكون حسب السياق الذي تستعمل له، فيعمد المتكلِّم عادة إلى استعمال هذه الروابط الحجاجية، وتوظيفها في خطابه، بما تملكه من خصائص، ومعان معروفة؛ لتقوية حججه، وتدعيمها، وترتيبها، بما يتناسب مع السياق، وقد صنف العرب كثيرًا من أعمالهم بالإِعتماد على هذه العناصر اللُّغوية؛ فهي تكسب الخطاب الثراء، والتنوع، كما تمكن المتكلِّم من حرية الإِختيار بحسب ما يتطلب الخطاب الحجاجي.[٢] ويمكن تصنيفها إلى أربعة أصناف هي:

١. روابط التعارض الحجاجي: وهي أدوات لغوية تربط بين الحجج المتعارضة، والمتعاكسة، وتتمثل بما يأتي: (بل، لكن، مع ذلك، ....).
٢. روابط التساوق الحجاجي: وهي مجموعة من الروابط الحجاجية يستعملها المتكلِّم للربط بين الحجج المتساندة، وهي: (حتى ، لاسيما ،.....).[٣]
٣. روابط التعليل الحجاجي: أدوات لغوية يستعملها المتكلِّم لتبرير، وتعليل قيامه بفعل ما أو عدمه، وتتمثل بما يأتي: (لأن ، اللام، بسبب ،لهذا ،كي...).[٤]
٤. روابط العطف الحجاجي: وهي مجموعة من الروابط التي تربط بين الحجج

---

[١] ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، ٢٠٠٠: ١٠٣.

[٢] ينظر: استراتيجيات الخطاب: (٤٧٦-٤٧٧).

[٣] ينظر: اللغة والحجاج: ٣٠.

[٤] ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٧٨.

وترتبها، وتتمثل بما يأتي: (الواو، الفاء، ثم ....).[1]

والملاحظ أنَّ هذه الروابط استعملت بكثرة في القرآن الكريم، ولاسيما روابط العطف الحجاجي، وسيحاول البحث أن يدرس بعض الإِستعمالات الحجاجية في معجزات الأنبياء والأولياء، وستقصر الدراسة على الروابط الحجاجية الآتية:

١- روابط العطف الحجاجي وتشمل: الواو، والفاء، وثُمَّ.

٢- روابط التعارض الحجاجي: وتشمل الرابط بل.

٣- روابط الشرط الحجاجي وتشمل: لو، ولولا.

[1] ينظر: اللغة والحجاج:٢٩.

١- روابط العطف الحجاجي:

أ- دلالة الواو:

عند النحويين: وهو من الحروف الهوامل التي تختص بالدخول على الفعل والاسم معًا.[١] وهو عندهم يدلُّ على معنيين هما:

أ- الجمع المطلق[٢]: وهذا ما ذهب إليه جمهور النحويين فقولنا: (قام زيد وعمرو) يأتي عندهم محتملًا لثلاثة أوجه:

الأول: أن يكونا قاما معًا في الوقت ذاته.

الثاني: أن يكون زيد هو من قام أولًا لكونه هو المتقدم في الجملة.

والثالث: أن يكون عمرو هو من قام أولًا.[٣]

---

[١] ينظر: معاني الحروف ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠هـ- ١٩٨١م، ط٢ ، ٥٩.

[٢] ينظر: الكتاب، سيبويه، تحقيق: د. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،١: (٤٣٧-٤٣٨). وينظر: المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: د. محمد عبد الخالق عظيمة، وزارة الأوقاف للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ١: ١٤٨. وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، ود. محمد علي أحمد، دار الفكر، دمشق، ط١، ١: ٣٩١.

[٣] ينظر: معاني الحروف: ٥٩. وينظر الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ، والاستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ط١: ١٥٨. وينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، د. ابن هشام الانصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١١، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م: ٢٨٢.

ب- الترتيب: وذهب إلى هذا الرأي قطرب، وعلي بن عيسى الرماني، وبعض النحويين، ودليلهم على ذلك قوله تعالى: ((شهد الله أنَّه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم)) فهذا الكلام مرتب باستعمال حرف العطف الواو، وهذا يدل على أنَّها للترتيب.[١]

أمَّا من المنظور التداوليّ: فهو من أهم الروابط الحجاجية؛ التي يستعملها المتكلِّم للربط بين الحجج المتساوقة، ودعمها، فهو يعمل على ترتيب الحجج، ووصلها بعضها ببعض في خطاب متكامل، وتوجيهها لتحقيق نتيجة متكاملة.[٢]

ويوجد هذا الرابط في معجزات الأنبياء والأولياء متمثلًا بقوله تعالى: ﴿ **كٓهيعٓصٓ *ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ *إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا *قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا*وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا *يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا*يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا** ﴾.[٣]

في هذه الآيات يُقدِّم النبيّ زكريا "عليه السلام" بين يدي الله تعالى مجموعة من الحجج المتساوقة، التي تترابط وتتماسك داخل الخطاب، باستعمال الرابط الحجاجي (الواو)، للربط بينها، وترتيبها، تمهيدًا للمقصود من دعائه. ويمكن تمثيل هذه الحجج في خطابه عليه السلام كالآتي:

---

[١] ينظر: معاني الحروف : ٥٩. وينظر: الجنى الداني: ١٥٨-١٥٩.

[٢] ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٧٢.

[٣] سورة مريم، الآية: ١-٧.

الحجة الأولى: تتمثل في قوله:(رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظمُ مِنّي)، فهو هنا يُقدّم بين يدي الله حجَّة وهن العظم، فبوساطة هذه الحجَّة يشكو إلى الله "عز وجل" ضعفه، وتمثيله للضعف بهذه العبارة، المتجسدة بإضافة الوهن إلى العظم، إذ تحمل قوة إقناعية، فالعظم هو أصلب ما في الجسد، وهو القوام الذي يقوم به، فإذا ضعف انهار الجسد.[١] واستعمل أداة التوكيد (إنَّ)؛ للدلالة على توكيد ما حل به من ضعف، زيادة في توكيد طلبه، وإقناع المخاطب.

أمَّا الحجَّة الثانية فنجدها متجلية بقوله:(وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا)، فالمتكلَّم هنا يستعمل الصورة الاِستعارية، فهو« يجعل الشيب كأنَّه نار تشتعل، ويجعل الرأس كلّه كأنَّما تشمله هذه النار المشتعلة، فلا يبقى في الراس المشتعل سواد».[٢] وهو يستعمل هذه الصورة لإثبات ضعفه وقلة حيلته بين يدي الله تعالى، فالاِستعارة « طريقة من طرق الإثبات».[٣] يستعملها المتكلِّم لإقناع المخاطَب بقيمة ما يطلبه منه؛ ليكون ذلك سببا لقبول خطابه، وإقباله عليه.[٤]

---

[١] ينظر: في ظلال القرآن: مج٤، ٢٣٠٢/١٦.

[٢] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٣] بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن مودن، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، عمان، ط١، ١٤٣٥-٢٠١٤: ٢٥٠.

[٤] ينظر: الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، طه عبد الرحمن، مجلة المناظرة، العدد ٤، ١مايو، ١٩٩١: ٦٩.

في حين نجده في الحجَّة الثالثة يذكر كرم الله تعالى، ونعمه عليه باستجابة دعائه سابقًا، وقضاء حاجته يتمظهر ذلك بقوله تعالى:(وَلَم أَكُن بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا).[١]

ولا يكتفي زكريا "عليه السلام "بذكر هذه الحجج وإنَّما يضيف معها حججًا أخرى أقوى من الحجج السابقة، وتتمة لها؛ وذلك لأنَّه كان في حال من المستحيل الإتيان بالولد، حيث غلب عليه الكبر، وهيمن الضعف إلى سائر بدنه، وبلغ الكبر محلَّه، وكانت امرأته عاقرًا، ففي هذه الحال من المعلوم استحالة حضور الولد فهو في هذا المقام يطلب آية معجزة منه تعالى تؤيِّد نبوَّته؛ ولتحقيق ذلك نراه يُقدّم بين يدي الله تعالى حجَّة أخرى تتمثل في خوفه من مواليه(وَإِنّي خِفتُ المَوالِيَ مِن وَرائي)، ويبدأ في إلقاء هذه الحجَّة باستعمال أداة التوكيد (إنَّ)؛ لدلالة خوفه على دين الله، وضياعه من بعده، ومن هنا يعبر بوساطة هذه العبارة عن خوفه لله "عز وجل" من أبناء عمه، وعصبته، خشية أن يبدلوا دين الله، وأحكامه، فلا يحسنوا الخلافة في أمَّته من بعده.[٢] « فكلّ ما يطلبه هو الولد الصالح الذي يحسن الوراثة، ويحسن القيام على تراثه وتراث النبوَّة من آبائه واجداده».[٣]

فيستعمل "عليه السلام" الرابط الواو للربط بين هذه الحجج؛ ليجعل من خطابه خطابًا متناسقًا مرتبًا، منسجمًا بعضه مع بعض، وللدلالة على أنَّ ما ذكره من أمور تشترك في بيان حاله أمام المولى "عز وجل" وقلة حيلته، فتشترك هذه الأسباب

[١] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ٥.

[٢] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ٥-٦.

[٣] في ظلال القرآن: مج ٤، ٢٣٠٢/١٦.

وتترابط لتحقيق المطلب من الدعاء وهو تحقيق المعجزة، وهي البشرى بالولد الصالح (يا زَكَرِيّا إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسمُهُ يَحيى لَم نَجعَل لَهُ مِن قَبلُ سَمِيًّا).

ويمكن التمثيل لوظيفة الرابط الحجاجي (الواو) في المخطط الحجاجي الآتي:

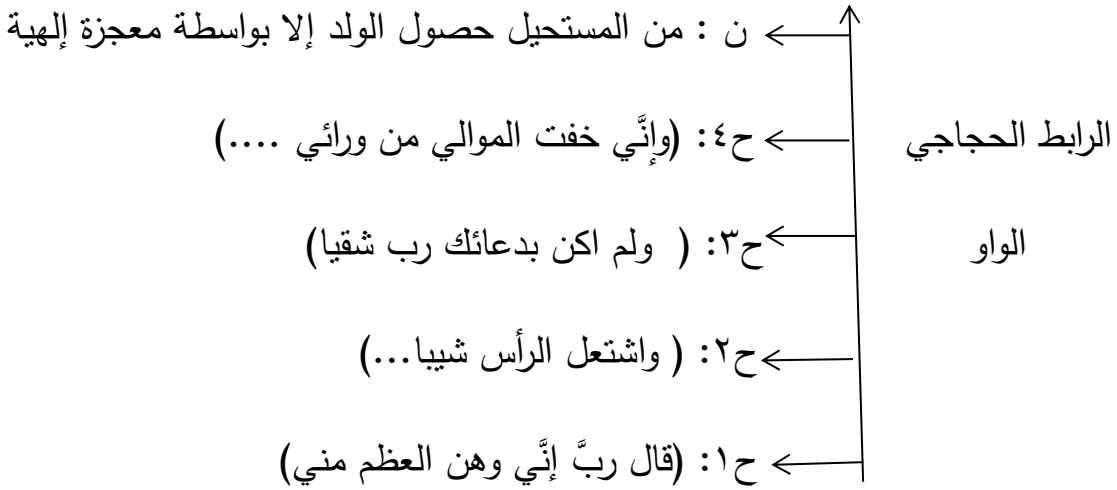

ب- دلالة الفاء:

عند النحويين: يُعدّ الرابط الحجاجي الفاء «حرف مهمل».[١] يأتي على ثلاثة أوجه:

الأول: الفاء لعاطفة: يعرفها النحويون بقولهم: « وهي من الحروف التي تُشرك في الإعراب والحكم، ومعناها التعقيب، فتشارك ثُمَّ في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنَّها تفيد الإِتصال». [٢] ويرى ابن هشام الأنصاري بأنَّها تفيد السببية مع العطف أيضًا.[٣]

---

[١] الجنى الداني:٦١. وينظر مغني البيب: ١٧٣/١.

[٢] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٣] ينظر: مغني البيب ١٧٥/١.

الثاني: الفاء الجوابية: وهي الفاء التي ((تكون رابطة لجواب الشرط)). [١] ويذكر ابن الحسن المرادي بأنَّها « تكون جوابًا لأمرين: أحدهما: الشرط بأنَّ وأخواتها، والثاني ما فيه معنى الشرط نحو أمَّا». [٢]

الثالث: الفاء الزائدة: وهي عندهم زائدة بمعنى «دخولها في الكلام كخروجها منه». [٣]

أمَّا من المنظور التداولي: فتُعدُّ من أهم الروابط الحجاجية، التي يستعملها المتكلِّم للربط بين قضيتين غير متباعدتين في الدلالة؛ حيث إنَّها تعمل على تقارب الأحداث بين السبب والنتيجة، وتعمل أيضًا على الربط بين مجموعة من الحجج وترتيبها، واتصال بعضها ببعض. [٤]

¤ يوجد هذا الرابط الحجاجي في معجزات الأنبياء والأولياء كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾. [٥]

تبدأ هذه الآيات بالعجب ممن حاجَّ إبراهيم "عليه السلام" في الله سبحانه وتعالى وهو النمرود، والمتمثل بقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ)، فالإستفهام هنا متضمن معنى التعجب. [٦] ووجه هذه المحاجّة تكمن في كون النمرود ادعى الربوبية لنفسه، حيث

---

[١] المصدر نفسه، ١٧٦/١.

[٢] الجنى الداني: ٦٦.

[٣] مغني البيب: ١٧٩/١.

[٤] ينظر: مرويات رسائل الإمام علي "عليه السلام" في نهج البلاغة دراسة حجاجية، رائد مجيد جبار، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م: ١٤٦.

[٥] سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

[٦] ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣٩٢/٣.

أنكر هذا الملك وتعنت للسب الذي كان من المفترض أن يؤمن بالله ويشكره عليه ؛ إذ أنَّ الله سبحانه وتعالى أنعم عليه بالملك، ووهب له السلطان، إلا أنَّه قابل ذلك بادعاء الربوبية، في حين إنَّ إبراهيم "عليه السلام" كان يؤمن بالربوبية المطلقة لله تعالى.[١] فيحاول كلٌّ منهما إقناع الآخر فيما يقول، فحاجّه إبراهيم "عليه السلام" بمجموعة من الحجج التي تدلّ على وحدانية الله عز وجل، فقدَّم بين يدي النمرود حجَّة القدرة على البعث والموت (قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)، ولاشكَّ أنَّ هذا الأمر مقترن بالله تعالى وحده فلا يقدر عليه أحد غيره. لكنه لم يجد منه إقرارًا بقدرة الله تعالى، وإنَّما يزداد تكبرًا وطغيانًا، فيحاج إبراهيم بقدرته على الإحياء والإماتة أيضًا (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)، فهو يستطيع إحياء من أراد قتله بالإفراج عنه، كما يمكنه قتل شخصٍ آخر، وبذلك يكون قد أمات وأحيى.[٢]

فلم يجادله إبراهيم " عليه السلام" في ذلك، وإنَّما عدل إلى قضيَّةٍ وحجةٍ أخرى أقوى من الحجة السابقة « فغاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فانجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه».[٣] ولكونه أمرًا معجزًا، يختار المتكلِّم فعل الأمر التعجيزي (آتِ)، والربط بينها وبين الحجَّة السابقة بوساطة الرابط الحجاجي الفاء، للدلالة على أنَّ الأمرين يتحققان بقدرة الله تعالى.

---

[١] ينظر: معالم التنزيل: مج١، ٣/ ٣١٥. وينظر: الكشاف، ٣: ١٤٧. وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/١٥٥.

[٢] ينظر: معالم التنزيل، مج١، ٣: ٣١٦.

[٣] الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الأمين، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨: ١٠٧-١٠٨.

ويتمثل ذلك في قوله: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)، هنا لم يكن له إلا أنْ يستسلم لإبراهيم عليه السلام، ويقر، ويعترف بعجزه.[١]

وقد استعمل الرابط الفاء للربط بين الحجتين الدالتين على قدرة الله عز وجل، والنتيجة المتمثلة في بيان عجزه، أيّ بطلان حجَّته، فلم يعد بإمكانه المحاجّة في شيء آخر، كما أفاد الرابط التعليل بالحجَّة القاطعة، وترتيبها، ودعمها، وذلك بربطها بنتيجة واحدة، وهي بطلان حجَّته (فَبُهِتَ)، وإثبات استحقاق العبادة لله تعالى وحده.

ونستدلُّ من ذلك على أهمية استعمال الأسلوب الحجاجي والربط بوساطة الفاء في التأثير بالمتلقي ودحض حجَّته، ذلك أنَّ الهدف الرئيس للحجاج إنَّما هو التأثير في المتلقي بكلِّ ما يقترحه إليه المتكلِّم. [٢]

ويمكن التمثيل لهذا الرابط الحجاجي في المخطط الحجاجي الآتي:

ن: إثبات قدرة الله تعالى وأنه وحده من يستحق العبادة

الرابط الفاء ← ح٢:(فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)

← ح١: (قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)

ج- دلالة ثُمَّ:

عند النحويين: هي «حرف عطف يُشرِك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة».[٣]

---

[١] ينظر: في ظلال القرآن: مج١، ٣/ ٢٩٨

[٢] ينظر: الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، ترجمة محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣، ط١: ٣٩.

[٣] الجنى الداني: ٤٢٦. وينظر: شرح قطر الندى: ٢٨٣.

أمَّا عند التداوليين: فهي من الروابط الحجاجية التي تفيد التراخي والمهلة في الربط بين السبب والنتيجة، فضلًا عن ذلك فإنَّها تفيد الترتيب بين مجموعة من الحجج وصولًا الى نتيجة واحدة.[١]

ويوجد هذا الرابط في معجزات الأنبياء والأولياء وذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ** ﴿٢٥٩﴾ ﴾.[٢]

الحجاج في هذه الآيات جاء متمثلًا في التساؤل الخاطر في ذهن نبي الله عزير "عليه السلام" عن كيفية إحياء هذه القرية بعد موتها، على الرغم من كونه عالمًا بقدرة الله وعظمته، وإنَّه يقول للشيء كن فيكون، لكن مشهد البلاء والخواء الذي ارتسم على هذه القرية « وشدة خرابها، وبعدها عن العودة إلى ما كانت عليه».[٣] كما هو واضح بالصورة والوصف القرآني في قوله: (خاوية على عروشها)، وما تحمله هذه الكلمات من معنى، كلّ هذا المشهد جعله يحار كيف يحيي الله هذه الأرض بعد موتها؟! وكانت هذه الحيرة بحكمة من الله تعالى، وذلك أنَّ قومه كانوا يشكون بأمر الحياة والبعث، فكان ذلك ليدلهم على آياته العظيمة ومعجزاته الواضحة، التي تدلُّ على قدرته في خلقه، ولإقناع المخاطب بذلك كان جواب الله

---

[١] ينظر: مرويات رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية:١٤٧.

[٢] سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

[٣] تفسير القرآن العظيم: ٣٢٤.

سبحانه له ردًّا على حيرة نبيّه بالواقع كيف يحيي الموتى، وذلك عن طريق التجربة الشخصية الذاتية له، فأماته الله مائة عام ثم دب الحياة في روحه.[١]

واستعمل لذلك التعبير القرآني الرابط الحجاجي (ثُمَّ)، حيث أفاد هذا الرابط الترتيب بين الحجج التي تربط بينها مدة زمنية متباعدة تمثلت في موته مائة عام ثُمَّ بعثه، ونجده يقرب بين هاتين القضيتين للتوصل إلى نتيجة واحدة هي قدرة الله على الحياة والبعث بعد الموت. وهنا تكمن وظيفة هذا الرابط الحجاجي.

ويمكن التمثيل للرابط الحجاجي (ثُمَّ) في المخطط الحجاجي الآتي:

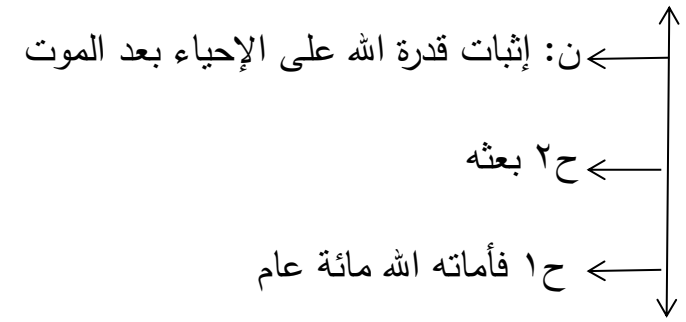

ولابد من الإشارة إلى أنَّ هذه الآية تحتوي على أكثر من رابط حجاجي للربط بين مجموعة الحجج التي تؤدي إلى نتيجة واحدة، وهي إثبات قدرة الله عز وجل، فكون التجربة حسية واقعية تقضي أن تكون هناك آثار تدلُّ على أنَّه لبث مائة عام، ولذلك ترك الله طعامه وشرابه كما هو ومثّل لهذه الدلالة بموت حماره معه، وكانت الحجَّة بمشاهدة إحياء هذا الحمار « ضم هذه العظام بعضها إلى بعض، وكسوتها باللحم،

[١] ينظر: في ظلال القرآن: مج١، ٣/٣٠٠.

وردها إلى الحياة على مرأى من صاحبه الذي لم يمسه البلى، ولم يصب طعامه ولا شرابه التعفن».[١]

وقد استعمل التعبير القرآني كلَّ رابط في مكانه المناسب فقد استعمل الرابط الحجاجي الفاء في قوله:(فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ)، التي تفيد التعقيب والمباشرة في فعل النظر. وكذلك استعمل الرابط الواو للترتيب بين الحجج المتساوقة (فانظر إلى طعامك، وأنظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام) وهنا الترتيب تمثل في كيفية إحياء الحمار أمام مرأى صاحبه. وبذلك تجتمع الروابط الحجاجية لتحقق نتيجة واحدة هي إثبات قدرة الله تعالى (قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). وهذا يدلُّ على بلاغة النظم القرآني في توظيفه للروابط الحجاجية.

ولا يخفى على القارئ ما يحمله تكرار فعل النظر من قوة حجاجية أدّت « إلى بروز القضيَّة التي تحويها كلّ جملة لتثير تأمل المخاطَب وتجيب عن تساؤله (أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ) لتشكل بمجملها قضيَّة البعث والنشور». [٢]

٢- روابط التعارض الحجاجي

دلالة بل:

أحد الروابط الحجاجية« معناها الإضراب عن الأول والاثبات للثاني».[٣]

وذكر النحويون أنَّ لهذا الحرف حالتين:

---

[١] في ظلال القرآن: مج١، ٣/٣٠٠.

[٢] في ظلال القرآن، مج١، ٣: ٣٠٠.

[٣] المقتضب: ١/١٥٠. وينظر: معاني الحروف:٩٤.

الأولى: أنْ يقع بعدها مفرد، فتكون بذلك حرف عطف يفيد الإضراب.[١]

ولها حالتان:

أ- إذا كان بعدها أمر أو إيجاب، فإنَّها تجعل ما قبلها كالمسكوت عليه، وتثبت الحكم لما بعدها.

ب- إنْ يتقدمها نفي أو نهي، وبذلك تكون تقريرًا لما قبلها على حالته، وجعل ضده لما بعده. [٢]

الثاني: إنْ تأتي بعدها جملة، فتكون للإضراب عما قبلها، فتكون إمَّا للإبطال أو الترك والانتقال من غير أبطال. [٣]

أمّا في المنظور التداولي: فهي من الروابط الحجاجية التي تربط بين متغيرين دلاليين، فهي تنقل الخطاب من حجِّة إلى حجَّة أقوى منها. ويمكن التمثيل لهذا الرابط في معجزات الأنبياء والأولياء في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ *قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ *فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ*ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ *قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ *أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ *قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ**

---

[١] ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الإستراباذي النجفي الرضي، تحقيق: يحيى بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر، ط١، ١٤١٧-١٩٩٦، ١: ١٣٥٤. وينظر: مغني البيب: ١/١٢٠.

[٢] ينظر: شرح أبن عقيل، ابن عقيل الهمذاني، تحقيق: د. محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠: ٣/٢٣٦. وينظر الجنى الداني:٢٣٦.

[٣] ينظر: الجنى الداني: ٢٣٥. وينظر: مغني اللبيب ١/ ١١٩.

ءَالِهَتِكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾.[1]

توضح هذه الآيات المحاجّة بين إبراهيم "عليه السلام" وقومه لدعوتهم لدين الله وترك عبادة الأصنام، فنجده "عليه السلام" يُقدِّم لهم مجموعة من الدلائل الواضحة الدالة على قدرة الله تعالى، وأنَّه وحده هو من يستحق العبادة، ولكنّه لم يجد منهم قبولا فعدل إلى القيام بفعل إقناعي تمثل في تحطيمه للأصنام، وترك كبير هذه الأصنام؛ ليلزمهم الحجَّة، ويقنعهم بدين التوحيد «فالإقناع يعني التوجه إلى العقل، والعمل من أجل إفهام المخاطب».[2] وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام، وبوساطة قيامه بهذا الفعل جعلهم يتساءلون عمن فعل هذا بأصنامهم (أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبراهيمُ)، وكان سؤالهم هذا حجَّة لحمله على الإقرار والإعتراف بما فعله فالإستفهام يحمل قوة خطابية تعمل على حمل المخاطب إلى إبداء الموافقة.[3]

ولكنه نجح بتقديم حجَّة أقوى من حجتهم وذلك بتوظيف الرابط الحجاجي (بل) وذلك بإبطال أن يكون هو الفاعل فقد نفي أن يكون فعل ذلك لأن بل تقتضي نفي ما دل على كلامهم من استفهامه؛ ليلزمهم الحجَّة فتكلَّم بذلك لاعن غاية الجد، « وإنما أراد بهذا أنَّ يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون».[4] وهذا ما أقروا به لاحقًا بقولهم (لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ)، فكان قولهم هذا حجَّة عليهم،

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: ٦٢-٧٠.

[2] الخطاب الإقناعي، حسن مودن: ٣٠٠

[3] ينظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله الصولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١: ٣٨.

[4] تفسير القرآن العظيم: ١٢٤٠.

حيث إنَّه إنَّما فعل ذلك من أجل التدرج بالحجَّة، وصولًا إلى النتيجة وهي الدلالة على وحدانية الله تعالى، وبذلك يكون كلامهم حجَّة وذريعة لإبطال عبادتهم للأصنام وشركهم بالله.

فبإنكاره هو من فعل هذا، وباستعماله للرابط الحجاجي بل، الزمهم الحجَّة على انتفاء تعدّد الآلهة، وأنَّها لو كانت آلهة لدافعت عن نفسها، ولو كان هذا الكبير كبير الآلهة لدافع عنهم.[١] ولما غلبهم بالحجج الظاهرة المقنعة، وكان حواره، وحججه غاية في القوة والمتانة، لم يجدوا بعد ذلك مخلصًا منه إلا بهلاكه واحراقه.[٢]

فقد «أخذتهم عزة بإثم وانصرفوا إلى طريق الغشم والغلبة».[٣] وبعد كلّ هذا الحجاج والجدل والأمر بإحراقه بالنار جاء أمر الله ليؤيَّد نبيَّه بمعجزة خالدة وذلك بأمره النار بأنَّ تكون بردًا وسلامًا. وإظهار هذه المعجزة هدفه تأييد إبراهيم "عليه السلام" ودحض أعدائه. وهنا يتبيَّن لنا دور الرابط الحجاجي بل، في الربط بين الحجج وصولًا إلى النتيجة، وهي المعجزة المؤيَّدة من الله له، لإثبات وحدانية سبحانه.

ويمكن التمثيل لهذا الرابط بالمخطط الحجاجي الآتي:

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير:١٠١/١٧.

[٢] ينظر: مفاهيم القرآن:١٥٩/٥.

[٣] الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ٢٢٦.

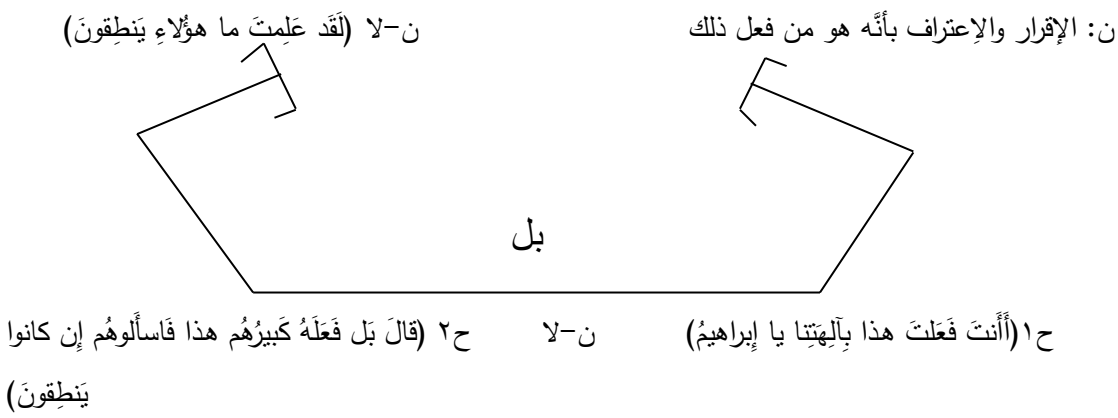

٣– روابط الشرط الحجاجي:

أ– دلالة لو:

وهي أحد الروابط الحجاجية يستعملها المتكلِّم لتعليق شيء على آخر، وذلك بالربط بين جملتين إحداهما تكون سببية والأخرى مسببة، حيث إنَّ «فائدتها الشرطية تقتضي تعليق شيء على آخر، وهذا التعليق يستلزم حتمًا أن يقع بعدها جملتان بينهما نوع ترابط واتصال معنوي».[١] إحداهما متمثلًا بالحجَّة والآخر بالنتيجة.

ويوظف النصّ القرآني هذا الرابط في معجزات الأنبياء والأولياء في قوله تعالى:﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴿٨٨﴾.[٢]

استعمل الرابط الحجاجي (لو) هنا لتعجيز المشركين وتحديهم، ويتمثل ذلك في الحوار بين نبيّ الله مُحمَّد "صلى الله عليه وآله" وقومه من قريش، في الجدال حول أمر القران الكريم وكونه معجزة دالة على نبوَّته، حيث اجابهم الله ردا على

[١] النحو الوافي: ٤٩١. وينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، ١٣٩٧–١٩٧٧: ٣٨٠.

[٢] سورة الأسراء، الآية: ٨٨.

معارضتهم لإعجاز كتابه بقوله: (قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ....). فتحداهم الله عز وجل مجتمعين إنسًا وجنًا على الإتيان بمثله، وقد «ذكر الجن مبالغة في تعجيزهم؛ لأنهم إذا عجزوا عن الإتيان بمثله، ومعهم الجن القادر على الأفعال المستغربة، فهم على الإتيان بمثله وحدهم أعجز».[١] وهذه إحدى طرائق التحدي الخاصّة بالأسلوب القرآني المتمثل في جعل الخصم عاجزًا عن المحاججة، معترف لقدرة الله ووحدانية.

وهذا يدلُّ على بلاغة النصَّ القرآني، وحسن نظمه بشكل يعجز فيه المتلقي عن الإتيان بمثله، على رغم من كونه نازلًا بلغتهم وهم أهل الفصاحة والبيان؛ لأنَّ الإتيان بالقرآن شيء معجز محال الحصول، فهو كتاب معجز في نظمه، وطريقة تأليفه، وبما يحمله من آيات دالة على الإخبار بالأمور الغيبية، فضلًا عن كونه كلامًا يبلغ أعلى مراتب البلاغة، فهو كلام لا يشبه كلام البشر، إنَّما هو معجزة تحدى بها الله تعالى الأقوام جميعًا.[٢] وقد افاد استعمال الرابط الحجاجي لو للربط بين الحجة المتمثلة في اجتماع الجن والإنس سويًا(وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا)، والنتيجة اِستحالة صنع القرآن(لا يَأتونَ بِمِثلِهِ)، فهذه الجملة جواب شرط قطعي على أنَّهم مهما فعلوا لا يستطيعون الإتيان بمثله؛ وفي كلِّ هذا دلالة ثابتة على إعجازه.

وفي ضوء ذلك نستدل على أنَّ الأسلوب القرآني قد نجح في توظيف الرابط الحجاجي لو؛ لإثبات إعجاز القرآن، وصحة ما جاء به النبيّ مُحمَّد "صلى الله عليه وآله وسلم".

ويمكن التمثيل لهذا الرابط بالمخطط الحجاجي الآتي:

---

[١] روح المعاني: ١٦٦/١٥.

[٢] ينظر: معالم التنزيل مج ٥، ١٥: ١٢٧.

ح لو ن

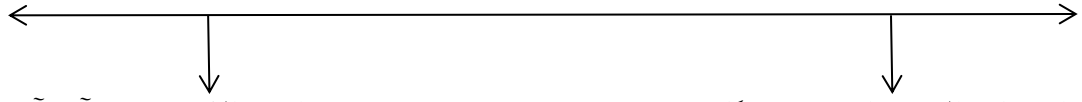

اجتماع الجن والإنس سويًا اِستحالة صنع قرآن آخر

(وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا) (لا يَأتونَ بِمِثلِهِ)

ويوظف النصّ القرآني هذا الرابط في موضع آخر بقوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿٢١﴾. [1]

الحجاج الوارد في هذه الآية بين الله سبحانه وتعالى، وبين الذين لا يؤمنون بمعجزة القرآن الكريم؛ ولإثبات إعجاز كتابه، وتأييد نبيَّه يضرب لهم الله تعالى مثلًا، يبيّن في ضوئه الأثر الذي يتركه هذا الكتاب المعجز في النفوس، وما يصيبها من الروع، والمهابة عند سماع آياته[2]؛ ليتخذ منها حجَّة على القوم الكافرين« فالأمثال أوقع في النفوس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأبهر في الإقناع».[3]

فيختار "عز وجل" للتمثيل ما لاعقل له، وهي الجبال؛ ليجعل منها حجَّة على القوم المنكرين له، ويستعمل الرابط الحجاجي (لو)؛ للربط بين الحجَّة المتمثلة في كون هذه الجبال لاعقل لها، والنتيجة المتمثلة في خشوع هذه الجبال لله تعالى، فالرابط لو يستعمل للشيء الذي «لا يتوقع حدوثه وفيما يمتنع تحقيقه أو فيما هو

[1] سورة الحشر، الآية: ٢١

[2] ينظر: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، د ط، د ت: ٤٤.

[3] علوم القرآن، عبد فتاح أبو سنة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ٤٤

محال».[١] فهذه الجبال العملاقة التي لاعقل لها ومن المحال أن تسمع وتستجيب إذا أنزل القرآن عليها لخضعت، واستجابت لكلماته تعالى، نتيجة سماعها، وتأثرها بهذا الكتاب، فكيف بكم وأنتم أصحاب العقول ألا تمتثلوا لكلمات هذا الكتاب العزيز وآياته؟!

ويمكن التمثيل لهذا الرابط الحجاجي بالمخطط الحجاجي الآتي:

ح الرابط لو ن

إنزال القرآن على ما مالا يعقل خشوع الجبال وتصدعها

الدلالة على عظمة هذا الكتاب وإعجازه

ب- دلالة لولا: وهي حرف شرط « تدلُّ على امتناع الشيء لوجود غيره».[٢] وتُعدّ أحدى الروابط الحجاجية التي يستعملها المتكلِّم في تركيب خطابه الحجاجي إذ أنّها تعمل «على ربط أمر بآخر ربطًا معينًا، وتعليق الثاني على الأول مع التقييد بنوع خاص من التعليق».[٣]

[١] في النحو العربي نقد وتوجيه، : ٢٩١.

[٢] شرح ابن عقيل: ٤/٥٥. وينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢٢٢.

[٣] النحو الوافي: ٤/ ٥١٣.

ويوجد هذا الرابط في معجزات الانبياء الأولياء، متمثلًا بقوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ *لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ*فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ *وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ *وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ** ﴾.[1]

تضمن ملفوظ هذه الآيات بعدًا حجاجيًا، وذلك باستعمال رابط الشرط الحجاجي (لولا)، إذ أفاد هذا الرابط الربط بين السبب المتمثل بتسبيح النبيّ يونس" عليه السلام" (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ)، ونتيجة ذلك التسبيح المتمثلة في عدم بقائه في بطن الحوت (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)، وهي معجزة منَّ الله بها على نبيَّه فقد جاء قوله: (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) جوابًا لقوله : (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ)، أيّ لولا أنَّه كان من الذَّاكرين لله سبحانه وتعالى عندما التقمه الحوت، وذلك بالتسبيح المعروف الوارد في قوله تعالى:(لا أله إلا أنت سبحانك إنَّي كنت من الظالمين)* لهلك في بطن ذلك الحوت، وكان ذلك قبرًا له يبعث منه يوم القيامة، لكن رحمة الله تجلت له في ضوء هذه المعجزة المتمثلة في خروجه من بطن الحوت.[2]

ثم تتوالى عليه النعم بعد ذلك كرامة من الله تعالى، فيشمله الله بفضله حين أنبت عليه شجرة اليقطين، وارساله إلى قوم يؤمنون به، وهذه كلّها آيات معجزة من الله تعالى، فجاء استعمال حرف الشرط (لولا) لإثبات تعلق هذه النعم بذكر الله تعالى واللجوء إليه. ففي كلِّ هذا «حث على إكثار الذكر، وتعظيم شأنه، ومن أقبل عليه بالسراء أخذ بيده عند الضراء».[3]

---

[1] سورة الصافات، الآية ١٤٣-١٤٧.

[2] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١٨/٥.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ونستنتج من ذلك أن التعبير القرآني نجح في توظيف أداة الشرط (لولا) حيث أنَّ اسم الشرط (لولا) جاء لتوضيح مقاصد حجاجية تمثلت في ربط النجاة بالله تعالى؛ نتيجة لذكره لله "عز وجل" كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[1] وبهذا فالحرف لولا يحمل حجَّة إقناعية تعمل على التأثير بالمتلقّي وإقناعه نتيجةً لقوّتها الحجاجية في ربط أمر بآخر ربطًا يقتضي التخصيص.

ويمكن توضيح وظيفة الرابط الحجاجي (لولا في بيان هذه المعجزة في المخطط الحجاجي الآتي:

ح الرابط لولا ن

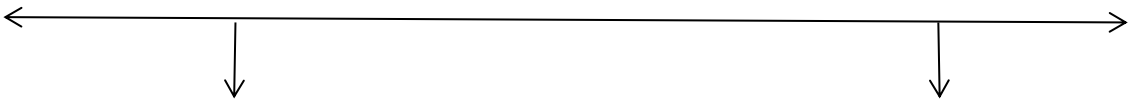

ذكر الله تعالى عدم بقائه في بطن الحوت

(فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ) (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

ومن الضروري الإشارة إلى أنَّ ما تطرقنا للبحث بصدده من روابط حجاجية، اقتصر على مجموعة من الروابط الحجاجية اللغوية المتضمنة في معجزات الأنبياء والأولياء دون الروابط البلاغية التي توجد في كثير من الدراسات الحجاجية، وقد أعرض البحث عنها بسبب قلتها في موضوع معجزات الأنبياء والأولياء، ولكن هذا لا يمنع من الإِستفادة منها في بيان قوة الأمر الحجاجية إن وجدت، وقد ذكر البحث ذلك في ما يخصّ الإِستعارة الحجاجية، وأشار إليها ضمن الحديث عن الرابط

[1] سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

الحجاجي الواو في معجزة نبيّ الله زكريا "عليه السلام" وكذلك ما يخصّ أسلوب التكرار في الحوار الحجاجي بين الله تعالى ونبيِّه عزرا "عليه السلام"

ثانيا: دلالة العوامل الحجاجية في معجزات الأنبياء والأولياء

التعبير القرآني

مفهوم العامل الحجاجي: وهو« وحدة لغوية، إذا تمَّ أعمالها في ملفوظ معين فإنَّ ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة لهذا الملفوظ».[١] فهو« العماد في عملية التواصل، إذ تقول وحسب هذه الخطة تتمثل العوامل فيما نرى، محركًا أساسيًا من ضمن المحركات التي تقوم عليها عملية التخاطب».[٢] يستعمله المتكلِّم لحصر وتقييد الإِمكانيات الحجاجية لقول ما، حيث يعمل على حصره وتوجيهه نحو نتيجة واحدة لا تقبل التأويل، وتضم العوامل الأدوات من قبيل: إنَّما، ربَّما، كاد، وتقريبًا، وقليلًا، ما ...إلا، ليس ...إلا، وجل أدوات القصر.[٣] ومن ثمَّ فإنَّه يمكن تمييز العامل الحجاجي بثلاث وظائف حجاجية هي:[٤]

١- القضاء على تعدد الإِستلزامات والنتائج في القول الواحد: وذلك بنقل المتلقي من مجال التعدّد إلى ما يمكن أن نسميه بوحدة النتيجة، وذلك عن طريق قيامه

---

[١] الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، رشيد الرضي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيل عليوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ١٤٣١- ٢٠١١: ٩٨.

[٢] العوامل الحجاجيّة في اللغة العربيّة، د. عزّ الدّين الناجح، مكتبة علاء الدَّين، دار نهى صفاقس، ط١، ٢٠٠١: ١٧.

[٣] ينظر: اللغة والحجاج: ٢٧.

[٤] ينظر: العوامل الحجاجيّة في اللغة العربيّة: ٣٥.

بحصر القول في وجه واحد، وهذا يزيد في قوة الحجَّة الإقناعية التي يقدمها المتكلِّم للمتلقي، فيعمل على جمع الحجج في نتيجة واحدة.

٢- قدح المواضع وتنشيطها: ذلك أنَّ الموضع يُعدّ الأساس في ارتباط الحجّة بالنتيجة، وفضلًا عن ذلك فإنَّه يُعدّ عنصرًا أساسيًا من العناصر التي تعمل على تسلسل الخطاب وتناسقه.

٣- تقوية توجيه المتلقي نحو النتيجة الواحدة: وذلك في ضوء استعمال ما يسمى بالسلالم الحجاجية أو المربعات الحجاجية، التي يمكن أنْ تُعدّ آلية من آليات البرهنة على التوجيه الحجاجي وحجاجية اللغة.

أمَّا أهم العوامل الحجاجية في معجزات الأنبياء والأولياء فهي كالآتي:

١- دلالة (ما ، لا.....إلا) في معجزات الأنبياء والأولياء :

وهو ضرب من العوامل الحجاجية، يتركب من وحدتين دلاليتين، الأولى تفيد النفي، والثانية تفيد الاستثناء، وتتمثل في الأداة إلا، وقد اجتمع النحاة على أنَّ هذا الضرب من العوامل يفيد معنى أداة القصر إنَّما، ويُعدّ دخول هذه الوحدات الدلالية على ملفوظ معين كقولنا: زيد كاتب، تفيد في إخراجه من الوظيفة البلاغية إلى الوظيفة الحجاجية، وذلك بتوجيهها للخطاب الحجاجي نحو وجهة واحدة في جميع الحالات.[١] فالقول بأنَّ (زيد كاتب) تُعدّ جملة إخبارية الهدف منها إبلاغ السامع بمهنة زيد، أمَّا قولك (ما زيد إلا كاتب) فإنَّك حصرت زيدًا بوظيفة الكتابة ليس إلا.

وسيعرض البحث هذه العوامل في معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني مبينًا أهمية استعمالها في آيات النصّ الحكيم.

[١] ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ٦٠-٦١.

أ- دلالة العامل الحجاجي (لا ....إلا):

يوجد هذا العامل في معجزات الأنبياء والأولياء متمثلًا بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾**[1].

تضمّن ملفوظ هذه الآيات بعدًا حجاجيًا، متمثلًا في الحوار بين الله سبحانه وملائكته في قضيّة استخلاف خليفة في الأرض باستعمال الرابط الحجاجي (لا....إلا)، حين استعمل التعبير القرآني هذا العامل الحجاجي على لسان الملائكة، ويتضح ذلك في قوله: (قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)، وذلك عند اعترافهم بالعجز، وطلب الإعتذار من الله تعالى عن مراجعتهم إياه حين أخبرهم بأنَّه سيجعل في الأرض خليفة، وقد جاء اعترافهم هذا بعدما ألزمهم الله الحجَّة على أنَّهم لا يعلمون إلا ما علمهم، وذلك عن طريق بيان معجزة لهم أيَّد بها نبيّه آدم "عليه السلام" بعدما أطلع آدم على حقائق الأشياء، ومسمياتها، وخواصها، وما يتصل بها من معرفة بأسرار الخلق، وإخبره بحقائق الأشياء الكونية، والعلم بواقع الحياة، وهذا مالم يكن معلومًا لدى الملائكة، فأمره الله تعالى بإخبارهم بها لتكون حجَّة عليهم. [2]

---

[1] سورة البقرة، الآية: ٣٠-٣٣.

[2] ينظر: مفاهيم القرآن: ٣/ ٤١٥.

فكان جوابهم بعد إلزامهم الحجَّة باستعمال أسلوب القصر، حيث أفاد هذا العامل تدعيم الحجَّة واثباتها؛ ليوجهوا كلامهم نحو نتيجة واحدة هي أنَّهم لا يعلمون إلا ما علمهم، أيّ الإقرار والاِعتراف بعجزهم أمام قدرة الله ومعجزاته.

¤ قال تعالى: ﴿ **قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَآ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ** ﴿٣٧﴾.[1]

الحوار الوارد في هذه الآية يحمل بعدًا حجاجيًا تمثل استعمال يوسف "عليه السلام" للعامل الحجاجي (ما...إلا)، وذلك في الحوار بين نبي الله يوسف "عليه السلام" وصاحبيه في السجن عندما عرضا عليه أمر رؤيتيهما طالبين منه التنبؤ بما تحمله رؤيتيهما، فكلّ منهما كان قد رأى رؤيا تختلف عن الأخرى فطلبا أن ينبأهما بذلك؛ لما شاهدا عليه من سيماء الصالحين ورجاحة العقل والكمال والفهم، فظنا أنَّه يحسن التعبير عن رؤيتهما(إنَّا نراك من المحسنين). [2]

ونراه « يجد من حسن ظنهما منطلقًا إلى أمر هو أعظم وأنفع لهما من تأويل رؤيتيهما وهو دعوتهما إلى الله، وإلى الإيمان به، إيمانًا مبرأً من كل شرك».[3] فكان جوابه على طلبهما باستعمال العامل الحجاجي المتمثل في أسلوب القصر(لا يَأتيكُما طَعامٌ تُرزَقانِهِ إلّا نَبَّأتُكُما بِتَأويلِهِ)، وذلك لأجل أن يثبت بين السجناء عقيدته الصحيحة، ويوجههم بذلك نحو وجهة واحدة، وهي الإيمان بالله تعالى وحده، ولذلك

---

[1] سورة يوسف، الآية: ٣٦-٣٧.

[2] ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٩/١٣.

[3] القصص القرآني في مفهومه ومنطوقة مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٥-١٩٧٥: ٤٤٣

يبدأ بحصر كلامه ابتداء إلى أنَّه سينبئهم فيما يأتي من طعام أولا ليطمئنا إلى أنَّه سيؤول لهما رؤيتهما بصدق فيما بعد، ولإقناعهم أنَّ علمه ببعض الأسرار، ومنها تأويله الأحاديث لم يكن ضربًا من العلوم البشرية المعروفة كما هو حال المعبرين، والكهنة.[١] وإنَّما هو من وحي الله سبحانه وتعالى، وعلمه، ويتمثل ذلك بإسناده العلم إلى الله تعالى فيما بعد(ذلك مما علمني ربي)، فقد حصر العلم بالله وحده، وبهذا التوكيد الموحى بالثقة الدالة على علمه بما يجعله يرى المقبل من الطعام، ويتعرف على صنفه، كلّ ذلك يوجههم ويدلهم على هبة الله له جزاء عبادته.[٢] وهذه معجزة الله تعالى له بتمكينه من الاطّلاع على الغيب وجاءت هذه المعجزة لتأكيد كلّ مما سبق من كلامه عن الله تعالى.

ب- دلالة (ما ..... إلا):

¤ قال تعالى: ﴿ **وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا** ﴿٨٥﴾.[٣]

تضمن ملفوظ هذه الآية بعدًا حجاجيًا متمثلًا في خطاب الله سبحانه وتعالى للرسول مُحمَّد(صلى الله عليه وآله)، ردًا على اليهود، عند محاجتهم النبي مُحمّد بالقرآن الكريم، واعتراضهم على كونه آيةً معجزةً، فيتفاخرون بأنَّ لديهم التوراة وفيها علم كلّ شيء. فهم « كانوا يقولون: أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير».[٤] فالقرآن في

[١] ينظر: القصص القرآنية: ٣٨٢.

[٢] ينظر: في ظلال القرآن، مج ٤، ١٢: ١٩٨٨.

[٣] سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

[٤] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٥، ٦٥.

نظرهم ليس معجزًا « فطلبوا منه آية تدلُّ على صدق نبوُّته فإنَّهم يزعمون بأنَّهم قادرون على الإتيان بمثله».[١]

فجاء الجواب من الله تعالى رادًّا على معارضتهم إعجاز كتابه باستعمال الرابط الحجاجي(ما ...إلا) ويتمثّل ذلك بقوله: (وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إِلّا قَليلًا)، فالنصّ القرآني في هذه الآية وظّف أداة النفي (لا) مع الإستثناء لدلالة على توجيه المخاطَب إلى وجه واحدة، ونتيجة واحدة، وهي أنَّ علمكم بالتوراة إنَّما هو قليل بالنسبة لعلم الله عز وجل لذلك لا تعارضوا كلامه المنزل، حيث أفاد هذا الرابط تقييد العلم بالله سبحانه وتعالى وحده وحصره به فقط، وذلك يدلّ على إعجاز القرآن الكريم. فكان هذا الخطاب امتنانًا على الذين آمنوا به وتحديًا لهم بالعجز عن الإتيان بمثله للذين أعرضوا عنه.

وهذا يدلُّ على كون القرآن خالصًا من عند الله وأنَّه أنزل بعلم الله، وكونه آية أيَّد بها نبيه، وهم غير قادرين على الإتيان بمثله ولو كان هذا الشيء باتفاق الجن والانس، ومهما فعلوا يكونوا عاجزين عن ذلك أيضًا، لأنَّهم لا يملكون إلا قليلًا من العلم ولو شاء الله لذهب به، ولكن رحمة من الله تعالى على عباده، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾. [٢] فقوله إلا رحمة من ربّك «استثناء منقطع معناه ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك». [٣]

---

[١] معالم التنزيل، مج ٥، ١٥/ ١٢٦-١٢٧.

[٢] سورة الإسراء، الآية: ٨٧.

[٣] معالم التنزيل، مج٥، ١٢٧/١٥.

أيّ أخبرهم، يا محمَّد، أنَّ هذا الكتاب إنَّما هو من أمر الله، ووحيه وكلامه المنزل الخالص من لدنه عز وجل وليس من كلام البشر، وإنَّكم لا تملكون من العلم بمقدار ما يملكه الله تعالى.[١]

وجاء هذا العامل الحجاجي متمثلًا أيضًا في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ** ﴾.[٢]

استعمل الأسلوب القرآني في هذه الآية عامل القصر الحجاجي(ما...إلا)، لإثبات أن معرفة الأمور الغيبية محصورة بالله تعالى وحده، ولا يستطيع أحد غيره الاطّلاع على الغيب إلا بإذنه « فلما كانت الجن تعلم مالا يعلمه الإنسان فظن أن ذلك القدر علم الغيب».[٣] وليقيم الله الحجة عليهم جعل الله سبحانه وتعالى معرفة موت نبيِّه سليمان "عليه السلام" محصورًا بدابة الأرض، فالمعروف أنَّ النبي سليمان "عليه السلام" سخر له الله تعالى الجن وجعلها تعمل تحت إمرته كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.[٤] وكان النبيّ سليمان" عليه السلام" يكلّفهم بالأعمال الشاقة «فالجن تروح وتجي فيما كلفها إياه من عمل شاق شديد».[٥] غير عالمة بموته، فقد أماته الله

---

[١] ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٣: ٥٤٨.

[٢] سورة سبأ، الآية:١٤.

[٣] التفسير الكبير، ٢٥: ٢٥١.

[٤] سورة سبأ، الآية: ١٢.

[٥] في ظلال القرآن، مج٥، ٢٢: ٢٩٠٠.

تعالى متكئًا على عصاه، فقد لبث طويلًا متّكئًا على عصاه حتى بعث الله دابة الأرض لتأكل عصاه فيقع، وتعلم الجن بموته.

وبهذا أثبت الحجَّة عليهم(ما دلهم على موته إلا دابة) وأكد قوله باستعمال عامل القصر الحجاجي الذي أفاد حصر معرفة موت نبيّ الله سليمان "عليه السلام" في هذا الحيوان الصغير، وهي دابة الأرض، إذ إنَّها كانت السبب في معرفة الجن بموته، وقد أفاد العامل الحجاجي هنا في محدودية معرفة الجن للغيب، ويتضح ذلك في قوله تعالى:(فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)، فقد كانوا يعتقدون أنَّه لايزال على قيد الحياة ويعملون تحت إمرته، فلو كانوا يعلمون الغيب حقًا لكانوا قد علموا بموته منذ البداية، فاستعمل التعبير القرآني هنا أسلوب القصر الحجاجي لحصر العلم بالله، وإبطال اعتقاد العامة والمشركين من القول في أنَّ الجن يعلمون الغيب، وإبطال زعمهم بوجود جن لكل كاهن يأتيه بما يطلبه من أخبار الغيب.[١]

٢- دلالة أنَّما أو إنَّما:

وهي من أدوات القصر في اللغة العربية «تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيًا لما سواه».[٢] وهي من عوامل القصر الحجاجية التي يستعملها المتكلِّم لتوكيد المعنى وإثباته في ذهن المتلقي. كما أنَّ وظيفتها الحجاجية لا تقتصر على الإخبار فقط، فمجرد الإخبار لا يمثل قوة حجاجية للكلام إذ إنَّ المتلقي يكون عالمًا بالخبر، وهذا ما أوضحه الجرجاني بقوله: «اعلم أن موضوع إنَّما على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته لما ينزل هذه المنزلة، وتفسير ذلك: أنك تقول للرجل:

[١] ينظر: التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٦٤.

[٢] دلائل الإعجاز: ٣٢٨.

إنّما هو أخوك، وإنَّما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب».[١]

فهو بذلك يرى أنَّ القصد منها هو تنبيه المخاطب وتوجيهه للاهتمام بما أخبر به، وتوجيهه نحو نتيجة واحدة، فوظيفتها الحجاجية تتمثل في كونها تعمل على زيادة القوة الحجاجية للكلام الوارد بعدها وإثباته. مما يزيد في إقناع المتلقي، وإقامة الحجَّة عليه.

ومما جاء باستعمال هذا العامل الحجاجي في معجزات الأنبياء والأولياء قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴿١٣﴾ **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴿١٤﴾.[٢]

استعمل الله تعالى في هذه الآيات العامل الحجاجي (أنَّما)، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: (أَنَّما أُنزِلَ بِعِلمِ اللَّهِ)، وذلك للرد على مشركي قريش حيث كانوا يدّعون بأنَّ هذا القرآن إنَّما هو من عند الرسول، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: (أَم يَقولونَ افتَراهُ)، حيث أفاد العامل الحجاجي «أنَّما في هذه الآية الحصر، أي: حصر أحوال القرآن الكريم في حالة إنزاله من عند الله تعالى».[٣]

---

[١] المصدر نفسه: ٣٣٠.

[٢] سورة هود، الآية: (١٣-١٤).

[٣] التحرير والتنوير: ١٢/ ٢١.

فجعله كونه منزلًا من الله تدعيم للحجَّة التي قبله، وهي أنَّ هذا القرآن ليس من افتراء الرسول وإنَّما هو منزل من الله تعالى، وهذا دليلٌ على إعجازه فحصر الإنزاله بالله تعالى بدل، فهذا يدل على أنَّه آية معجزة لا يمكن لأيّ أحد الإتيان بمثله سواء أكان من الجن أم من الإنس ويؤيَّد ذلك استعماله لأسلوب القصر المتمثل بالعامل الحجاجي (أنَّما) الذي أفاد تدعيم الحجَّة وإثبات النتيجة وهي حقيقة الإنزال من عنده لا من غيره، ونفى بذلك أن يكون هذا الكتاب مفترى من الرسول «أيَّ ما أنزل إلا ملتبسًا بعلمه تعالى لا بعلم غيره».[1] وبهذا يكون الله تعالى قد أقام الحجَّة عليهم، فالحصر هنا عامل حجاجي يؤكد إعجاز كتاب الله.

وهذا يدلُّ على بلاغة النظم القرآني في استعماله للعوامل الحجاجية لإعلاء شأن كتابه، وتأييد نبيّه مُحمَّد(صلى الله عليه وآله)، وردٍّ للكافرين على جحدهم وإنكارهم بكتابه.

ويوجد هذا العامل الحجاجي أيضًا في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا** ﴿١٨﴾ **قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا** ﴿١٩﴾.[2]

الحجاج في هذه الآية بين مريم "عليها السلام" والوحي المرسل إليها من الله تعالى، والآية تبيّن أنَّه نزل على مريم عليها السلام على هيأة البشر، فتبادر "عليها السلام" بالإستعاذة منه، وتذكيره بتقوى الله، وذلك باستعمال «صيغة الشرط المؤذن بالشك في تقواه».[3] وكذلك التأكيد عليه باستعمال(أنَّ) المؤكدة لتأكيد ما أخبرته به

---

[1] روح المعاني: ٢١/١٢.

[2] سورة مريم، الآية: ١٨-١٩.

[3] التحرير والتنوير، ٨١/١٦.

«بأنَّها جعلت الله معاذًا لها منه». [١] فيجيبها مستعملا أسلوب القصر الحجاجي« لقصد تمكين الكلام وتقريره في الذهن».[٢] وذلك باستعمال العامل(إنَّما)، « الذي يدل على بساطة في الأمور، كأنَّما القضيَّة من المسلمات».[٣] لإقناعها بأنَّه وحيٌ وليس بشرًا، فتهدأ روحها، وتطمئن، فجاءت (إنَّما) في هذا الموضع لإثبات كونه وحيًا ونفي ما عداه من الظنون.

[١] التحرير والتنوير: ١٦/ ٨١.

[٢] جواهر البلاغة،: ١٩٦.

[٣] القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ٣٨٠.

ثالثا: السلّم الحجاجي في معجزات الأنبياء والأولياء

مفهوم السلّم الحجاجي:

من الواضح أنَّه عندما يتكلّم المتكلِّم بقول يرمي في ضوئه إقناع شخص آخر فإنَّه يدعم هذا القول بقول أقوى منه بحسب ما يقتضي خطابه إلى أن يصل إلى النتيجة التي يحاول إقناع المخاطَب بها، ولا شك أنَّ هذه الحجج تأتي مترابطة ومتصلة من الأدنى إلى الأعلى، وبتعبير آخر من الحجَّة الأضعف إلى الحجَّة الأقوى حجاجيّة، وعلى هذا اقترح ديكرو وصف ما يسميه (بالسلّم الحجاجي) لترتيب هذه الحجج بحسب ما تتسم به من قوة وضعف.

وقد عرف طه عبد الرحمن السلّم الحجاجي بقوله: « عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية».[١]

في حين يعرفه أبو بكر العزاوي بقوله: «علاقة ترتيبية للحجج».[٢] ويمثل له بالرسم البياني الآتي: [٣]

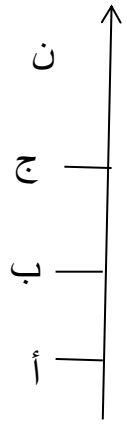

[١] اللسان والميزان: ٢٧٧.

[٢] اللغة والحجاج: ٢٠.

[٣] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

سمات السلم الحجاجيّ:

يتسم السلّم الحجاجيّ بسمتين أساسيتين هما: [١]

١- كلُّ ما يلفظه المتكلِّم يرد في درجة ما من السلّم يكون القول الذي يأتي بعده دليلًا أقوى منه بالنسبة للنتيجة.

٢- كلُّ قول في السلّم الحجاجيّ يؤدي إلى نتيجة ما، فإنَّ ذلك يستلزم أن يكون القول بعده يخدم النتيجة نفسها.

قوانين السلّم الحجاجيّ:

يرتبط السلّم الحجاجي بثلاثة قوانين نرتبها كالآتي: [٢]

١- قانون الخفض: يقوم هذا القانون على مسلّمة مفادها إذا صدق القول في درجة معينة من السلّم، فإنَّ القول المناقض له يصدق في الدرجات التي تقع تحتها.

٢- قانون تبديل السلم: يشترط هذا القانون أنَّه إذا كان الملفوظ يدلُّ على نتيجة معينة، فإنَّ نقيضه دليل أيضًا على نقيض هذه النتيجة.

٣- قانون القلب: ينصّ هذا القانون على أنَّه إذا كان أحد اللفظين أقوى من الآخر في الدلالة على نتيجة معينة، فإنَّ نقيض الثاني منهما يكون أقوى من نقيض الأوّل في الدلالة على نقيض النتيجة.

---

[١] ينظر: اللسان والميزان: ٢٧٧. وينظر: اللغة والحجاج: ٢٠. وينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ١٤٨-١٤٩.

[٢] ينظر: اللسان والميزان: ٢٧٧-٢٨٨. وينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ١٤٨-١٤٩.

وفي ضوء ما حدد من مفاهيم للسلّم الحجاجي سيحاول البحث تطبيق السلّم الحجاجي في معجزات الأنبياء والأولياء لبيان الحجج من حيث القوة والضعف، وأثرها وصولًا إلى النتيجة.

تمثيلات السلّم الحجاجي في معجزات الأنبياء والأولياء

إنَّ الناظر في معجزات الأنبياء والأولياء يجد أنَّ قوانين السلَّم ومفاهيمه لا تخلو من التمثيلات لهذا النوع الحجاجيّ اللغويّ الذي أسهم في الكشف عن قوة الحجج وترتيبها في القول، فكلّ قول بطبيعته الحجاجية يخضع للسلّم الحجاجي الترتيبي ويدلُّ على هذا قوله تعالى: ﴿ **أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا*وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا *فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا *وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾[1]

في هذه الآيات يُقدّم الخضر " عليه السلام" في خطابه أكثر من حجّة تدلّ على أنَّه يعلم الغيب من لدن الله " عز وجل" فهو عالم بما لا يعلمه النبيّ موسى بمشيئة الله وقدرته، وهذا واضح في تصريحه (وما فعلته عن أمري).

ولأقناع النبيّ موسى "عليه السلام" بذلك يُقدّم أكثر من حجّة في تأويله لموسى مالم يستطع الصبر عليه. فيبدأ كلامه بتقديم حجّته الأولى، والتي جاءت متمثلة بقوله تعالى: (أمّا السفينة.....)، وأراد بتقديم هذه الحجّة القول أنَّ خرقه للسفينة لم يكن على ما ظّن موسى "عليه السلام" من رؤيته للظاهر وهو (اغراق أهلها)؛ وإنّما

[1] سورة الكهف، الآية: ٧٩-٨٢.

كان القصد من هذا الفعل هو (حماية المساكين) بوساطة خرق السفينة؛ بعدما علم أنَّ وراءهم ملكًا يغصب كلّ سفينة خالية من العيوب، ومن ثمَّ فأنَّ ما أحدثه من ضرر أقل مما لو أخذها الملك غصبًا. [١]

والواضح أنَّ الخضر" عليه السلام" لم ينسب هذا الفعل إلى المولى" عز وجل" رغبة منه بعدم إضافة العيب إلى الحق تعالى، فعرض عن ذكر الآمر له بذلك تنزيهًا عن أن ينسب الله تعالى فعل لا يخلو من النقص.[٢]

وعلى هذا فقد احتاج إلى حجّة أخرى أقوى من سابقتها تدلّ على وضوح تأويل أفعاله عن طريق المعرفة بالغيبيات المستقبلية، وجاءت هذه الحجّة متمثلة في قوله تعالى: (أمّا الغلام.....) ويقصد الخضر بقوله هذا أقناع موسى" عليه السلام" أنَّ قتل الغلام لم يكن من باب الفعل المنكر، ودلّ على هذا قوله:(أردنا) ففي قوله هذا ينسب الفعل إلى « لفظ الجمع تنبيهًا على أنَّه من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية».[٣] ثُمّ ينتقل بعد ذلك إلى حجّة أخرى وهي قوله: (أمَّا الجدار.....) وقد أتى بها التقوية النتيجة وتعزيزها المتضمنة في قوله "عليه السلام" ومفاد هذه الحجّة « أنَّ الداعي له إليها أنه كان تحت ذلك الجدار كنز وكان ليتيمين في تلك المدينة وكان أبوهما صالحًا، ولما كان ذلك الجدار مشرفًا على السقوط، ولو سقط لضاع الكنز، فأراد الله ابقاء ذلك الكنز على ذينك اليتيمين رعاية لحقهما، ورعاية لحق صلاح أبيهما».[٤]

---

[١] ينظر: التفسير الكبير: ٢١/١٦٠.

[٢] ينظر: تفسير الميزان: ١٣/٣٤٥.

[٣] التفسير الكبير: ٢١/ ١٦٣.

[٤] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ومن الملاحظ في هذه الحجّة التي جاء بها خاتمة لكلامه أنَّه ينسب فعل الإرادة إلى الله " عز وجل" فيقول: (أراد الله) وقد علّل الرازي ذلك بقوله: « لما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيها إضافة إلى الله تعالى؛ لأنَّ المتكفل بمصالح الأنبياء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله».[١]

ثم يختم كلامه بما يزيد هذه الحجّة قوة وقربًا من النتيجة التي يريد الوصول إليها بقوله: (وما فعلته عن أمري) وقد « أراد بأنَّه فعلها عن وحي من الله، لأنّه لما قال وما فعلته عن أمري علم موسى أن ذلك بأمر من الله تعالى؛ لأنَّ النبيّ إنَّما يتصرف عن اجتهاد أو عن وحي، فلما نفى أن يكون فعله ذلك عن أمر نفسه تعين أنَّه أمر الله تعالى».[٢]

وفي ضوء تأويل الخضر لأفعاله أثبت أنَّه يعلم الغيب من عند الله وهذا أثر في إقناع موسى "عليه السلام" بأنَّه إنَّما فعل ما فعله بأمر الله تعالى، والحكمة الإلهية هي ما اقتضت ذلك، فالحجج التي ساقها مؤكدة بالرابط الحجاجي (أمَّا) أقنعت موسى عليه السلام، لأنَّ تأويلها كان مبنيًا على الاطلاع على الغيب.[٣] وبوساطة ذلك « أيقن موسى "عليه السلام" أنَّه بطاقته البشرية كان عاجزًا تمامًا عن استكناه تلك الحكم».[٤]

---

[١] التفسير الكبير: ٢١/ ١٦٢- ١٦٣.

[٢] التحرير والتنوير: ١٦/ ١٤.

[٣] ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على الصور المكية، د. مثنى كاظم صادق، كلمة للنشر والتوزيع، لبنان،ط١، ٢٠١٥: ١٢٦.

[٤] أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل ، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، ١٤١٨-١٩٩٨: ٦٦.

ويمكن أن نمثل لهذه الحجج بالسلّم الحجاجي الآتي:

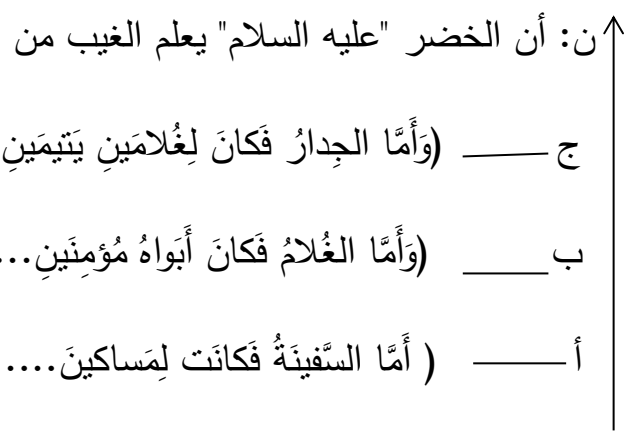

ومما نلمح فيه تمثيلًا للسلّم الحجاجي قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا *وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا *وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا *وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾.[1]

في هذه الآيات يرتب النبيّ عيسى "عليه السلام" حججه على وفق سلّمية قولية جاءت الحجج بواسطتها مرتبة من الأضعف إلى الأقوى، فابتدأ عليه السلام بحجّة العبودية التي أثبتت أنَّه عبد الله وليس ابنًا له، وهذا واضح بقوله: (قال إنِّي عبد الله) ومفاد هذه الحجّة الإقرار والاعتراف بعبوديته لله. واوضح ذلك ابن عاشور بقوله:« الابتداء بوصف العبودية ألقاه الله على لسان عيسى؛ لأنَّ الله علم بأنَّ قومًا سيقولون: إنَّه ابن الله».[2]

ويزيد على ذلك تقديمه حجّة أخرى وهي قوله: (آتاني الكتاب) ومفاد هذه الحجّة أنَّ الله "عز وجل" آتاه كتاب النُّبوُّة وهو الإنجيل مثله في ذلك مثل الأنبياء السابقين.

---

[1] سورة مريم، الآية: ٣٠- ٣٢.

[2] التحرير والتنوير: ١٦/ ٩٨.

يقول الزمخشري« والكتاب هو الإنجيل، واختلفوا في نبوَّته، وقيل: أعطيها في طفولته أكمل الله عقله واستنبأه طفلًا نظرًا في ظاهر الآية وقيل: معناه إنَّ ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محاله كأنه قد وجد».[١] في حين يقول ابن عاشور «التّعبير عن إيتاء الكتاب بفعل المضي مراد به أن الله قدّر إيتاءه إياه، أي قدّر أن يؤتيني الكتاب». [٢]

ثم يتبع هذه الحجّة بحجّة أقوى منها، وهي حصوله على مقام النُّبوُّة فقوله:(وجعلني نبيا) قصد به أنَّ الله سبحانه وتعالى اختاره واصطفاه ليكون نبيا وهذا واضح من المعنى الظاهر للآية.

ولا يكتفي "عليه السلام" بقوله هذا وإنَّما يتبعه بما يزيده قوة وهو قوله: (وجعلني مباركًا)، ويقصد بقوله هذا « الذي تقارن البركة في أعماله ومحاورته نحو ذلك لأن المبارك اسم مفعول من باركه، إذ جعله ذا بركة، أومن بارك فيه، إذ جعل البركة معه ذلك أنَّ الله ارسله رحمة لبنيّ إسرائيل ليحل لهم بعض ما حرم عليهم، وليدعوهم إلى مكارم الأخلاق بعد أن قست قلوبهم وغيروا دينهم، فهذه اعظم بركة».[٣]

ثم اتى "عليه السلام" بحجّة أقوى مما سبقتها وهي قوله: (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا)، فهو بقوله هذا يروم إلى إثبات أنَّه عبد الله كلف بالصوم

---

[١] الكشاف: ١٦/ ٦٣٦. وينظر: التحرير والتنوير: ١٦/ ٩٩.

[٢] التحرير والتنوير: ١٦/ ٩٨.

[٣] الكشاف: ١٦/ ٦٣٦.

والصلاة، وحتم عليه بالموت والحياة، وقدّر الله له السلام والأمان منذ ولادته إلى يوم يبعث حيًا.[١]

ثم نجده يتبع خطابه بحجّة أقوى من الحجج السابقة اكسبت الخطاب القوة اللازمة لقوله "عليه السلام" في ضوء تأكيدها على أنَّ مريم "عليها السلام" لم تكن بغيًا، وهذا واضح بقوله: (وبرا بوالدتي) ففي قوله هذا إشارة إلى أنَّه « فعل العبد مخلوق لله تعالى؛ لأنَّ الآية تدلّ على أنَّ كونه برًا إنَّما حصل بجعل الله وخلقه وحمله على الالطاف عدول عن الظاهر، وبرا بوالدتي إشارة إلى تنزيه أمه عن الزنا؛ إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأمورًا بتعظيمها».[٢]

ثم يختم كلامه "عليه السلام" بالسلام على نفسه (السلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) واوضح مفاد هذه الحجّة الزمخشري بقوله: « يكون هذا التعريف تعريضًا باللعنة على متهمي مريم" عليها السلام" وأعدائها من اليهود، وتحقيقه أنَّ اللام للجنس، فإذا قال: وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بأنَّ ضده عليكم».[٣]

فما قاله عيسى "عليه السلام" يعد حججًا يؤيد كلّ منها الآخر رتبها " عليه السلام" على وفق درجات قوتها وصولًا إلى المعنى اللازم لقوله "عليه السلام" وهيّ أنَّ مريم "عليها السلام" لم تكن بغيًا.

---

[١] ينظر: في ظلال القرآن: مج٤، ١٦: ٢٣٠٨.

[٢] التفسير الكبير: ٢٠/ ٢١٦.

[٣] الكشاف: ١٦/ ٦٣٦.

ويمكن ترتيب هذه الحجج بالسلّم الحجاجي الآتي:

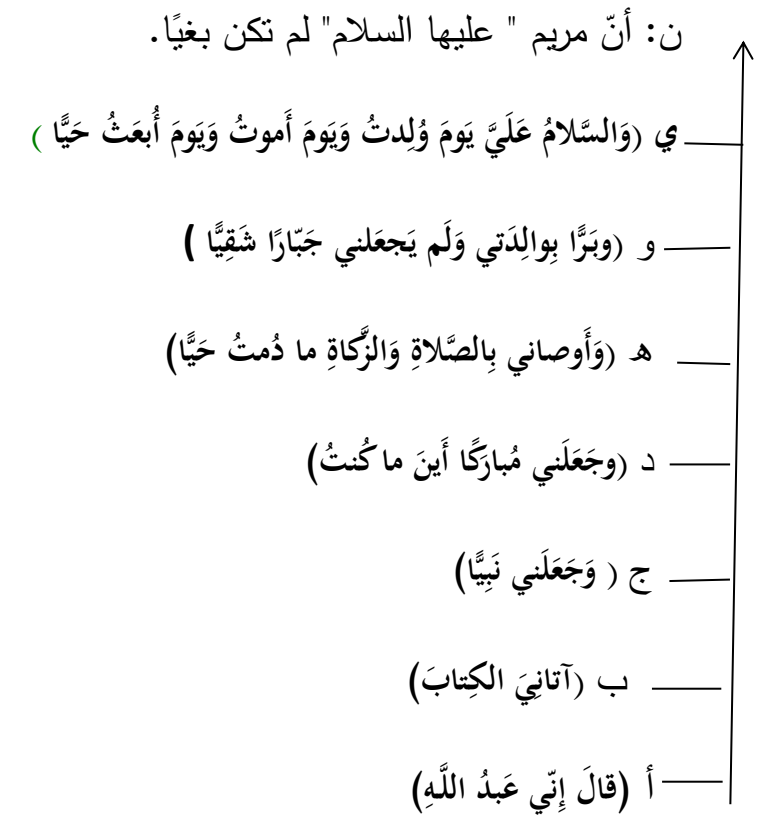

ومن التمثيلات التي جاءت بصورة سلّمية قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ*قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ*قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ*قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ *قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ**﴾.[1]

[1] سورة البقرة، الآية (٦٧-٧١).

في هذه الآيات يُقدّم النبيّ موسى" عليه السلام" مجموعة من الحجج جاءت مترابطة باستعمال الرابط (إنَّ) المؤكدة ونراه "عليه السلام" يدرج هذه الحجج في سلّم القوة الحجاجي ابتداء بالحجّة الأضعف إلى الاقوى حجاجيّة وصولًا إلى النتيجة الضمنية، وذلك في حجاجه مع قومه من بني إسرائيل« إذ إدّارأوا في القتيل الذي قتل فيهم إليه».[١] فكان جوابه بأمرهم أن يذبحوا بقرة ولأنَّهم كانوا ينكرون القضيّة عليه استعمل الإخبار بأداة التوكيد(إنَّ)، فخاطبهم على قدر مستوى إنكارهم للأمر باستعمال (إنَّ) المؤكدة في كلِّ حجّة يقدّمها لهم للتأكيد على أنَّه أمر الله ، ولتوجيههم أن يفعلوا ما أمروا به، حيث إنَّهم « تعجبوا من ذلك ولم يحملوه إلا على أنَّ نبيّ الله موسى يستهزئ بهم، لعدم وجود رابطة عندهم بين ذبح البقرة وما يسألونه من فصل الخصومة والحصول على القاتل».[٢] فأخذوا يجادلونه في شأن هذه البقرة، وشكلها.

فقدّم "عليه السلام" مجموعة من الحجج المترابطة ليكون منها مبررًا أقوى دلالة على أنَّ ما يقوله لم يكن استهزاءً وإنّما كان من وحي الله "عز وجل" وحكمته هيّ التي اقتضت ذلك.

ثم إنَّ تكرارهم للأسئلة على نبيهم في كلِّ مرة يكشف «طبيعتهم الجدليّة لتي تميل إلى تعقيد الأمور وتكبيرها، لا رغبة في الوصول إلى الحقيقة، وإنَّما رغبة في النقاش والجدل، فالله أمرهم بذبح بقرة أي بقرة كانت، دلّ على هذا التعميم صيغة التنكير إلا إنَّهم أصروا على المساءلة العميقة، فأخذ الله يضيق عليهم مقيدًا اختيارهم». [٣] وكان

---

[١] جامع البيان: ٢٤٠/١.

[٢] الميزان في تفسير القرآن: ٢٠٠/١.

[٣] لغة الحوار في القرآن الكريم: ٢٩٤.

جواب نبيّهم لسؤالهم في كلِّ مرة باستعمال الرابط إنَّ؛ لقصد توجيههم إلى نتيجة واحده تمثلت في معجزة إحياء الموتى، وبيان الحكمة من ذبح البقرة.

ونتيجة لاستعماله الحجج المتكررة والربط بينها برابط التوكيد الحجاجي (إنَّ) أفضى بهم الأمر لذبح البقرة، وهذا دليلٌ على أنَّه نجح في توظيف حججه ونقل المخاطَب من الجانب الجدلي المشكوك فيه إلى الجانب الإقناعي الذي تمثل بالتأثر على عقولهم الرافضة لفكرة الذبح، فجادلوه، وحاجّوه، لكنه كان محاجًا قوي الحجَّة نافذ البصيرة، فكانت النتيجة كما ارادها الله وهي (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ).

ويمكن التمثيل لهذا الحجج في السلّم الحجاجي الآتي:

ن (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ)

د- (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ.....)

ج- (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا...)

ب- (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ.....)

أ - (إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً .....)

ومن التمثيلات السلّمية أيضًا قوله تعالى:﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةٗ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ*وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ**

ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.[1]

الحوار هنا بين النبيّ داوود "عليهم السلام" وبين قومه من إسرائيل في الجدال حول أحقية الملك بالخلافة، وهذا الحوار يكشف الطبيعة الجدليّة لبنيّ إسرائيل، فهم طلبوا ملكًا يقاتلون تحت لوائه، وما أن اختار الله لهم ذلك جادلوا نبيهم وحاججوه في أحقية طالوت بالملك باستعمال أداة الاستفهام المتضمنة معنى الإنكار. [2]

وعلى هذا كان لابد للنبيّ داود " عليه السلام" من سوق الحجج التي تثبت أحقية هذا الملك بالخلافة، فبدأ بتقديم حجّته الأولى وهي (أنَّ الله اصطفاه عليهم) في هذه الآية يحتج النبيّ داوود " عليه السلام" بقوله: إنَّ الله هو الذي اصطفاه عليهم بالملك، وهذه حجّة قاطعة تدلُّ على أحقيّته بالخلافة عليهم. ويؤيد هذه الحجّة بحجّة أقوى من سابقتها جاءت تعليلا للحجّة الأولى وهي قوله: (وزاده بسطة في العلم والجسم) فبينت لهم هذه الحجّة أنَّ هذا الملك الذي تدعون حقارته، هو أرجح منكم وهو اختيار الله لكم، حيث زاده الله قوة العلم، ومتّعه بقوة البدن، وهذه هي الصفات التي يحتاج إليها، والتي يجب أن تتوفر في قائدكم . [3]

ثم يتبع " عليه السلام" حجّته بحجّة أخرى أقوى من الحجج السابقة مما يجعل خطابه أكثر تماسكًا وقوةً في المحاجّة، وتتمثّل هذه الحجّة بقوله:(والله يؤتي ملكه من يشاء) فهذه الحجّة تثبت أنَّ الملك لله وحده وله الحق تعالى في اختيار من يشاء من عباده« فهو ملكه، وهو صاحب التصرف فيه، وهو يختار من عباده من

---

[1] سورة البقرة، الآية: ٢٤٧-٢٤٨.

[2] في ظلال القرآن: مج ، ١، ٢٦٧.

[3] ينظر: التفسير الكبير: ٦/ ١٨٧.

يشاء».[١]

ثُمَّ أتى بحجّة أخرى وهيَّ قوله: (والله واسع عليم) أي أنَّ الله "عز وجل " هو الذي يعلم الخير، ويعلم كيف توضع الأمور مواضعها، وهذه الحجج تثبت أحقية طالوت بالخلافة «ولكن طبيعة بني إسرائيل_ ونبيها يعرفها _ لا تصلح لها هذه الحقائق العالية وحدها وهم مقبلون على معركة، ولا بد لهم من خارقة ظاهرة تهز قلوبهم وتردها إلى نعمة اليقين».[٢] فكان جواب داوود "عليه السلام" على تعجبهم هذا، بمعجزة تثبت لهم سبب اختياره ملكًا عليهم، وتثبت أحقيَّته بالملك، إذ أيَّده الله تعالى بآية معجزة، تدلّ على أنَّه مبعوث من الله سبحانه، وقد تمثلت هذه المعجزة بإتيان طالوت(بتابوت العهد)، وقد وصف الله تعالى هذا التابوت بأوصاف ثلاثة:[٣]

الأول: يتمثل بقوله تعالى: (فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ)، أيّ إنَّ هذا التابوت يحمل السكينة، والاِطمئنان، ولذلك وجوده بينهم في الحرب يجعل نفوسهم واثقة، ومطمئنة بحسن الخاتمة.

الثاني: يتمثل في قوله : (وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ)، أيّ: إنَّ هذا التابوت يحمل ما تركه موسى وهارون من آثار الألواح، وعصا موسى، وثيابهما، وقد يكون المقصود بذلك شيئًا من العلم أو شيئًا من علامات الأنبياء.

الثالث: قوله: (تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ)، وكفى بهذا دليلًا على اختيار الله تعالى له وأحقيَّته بالملك عليهم.

---

[١] في ظلال القرآن: مج١، ١/ ٢٦٧.

[٢] في ظلال القرآن: مج١، ١، ٢٦٧.

[٣] ينظر: القصص القرآنية: ٢/ ١٢٤-١٢٥.

وكانت هذه المعجزة، تحمل الرد على بني إسرائيل، بما عارضوا به نبيّهم، عندما أخبرهم باختيار طالوت ملكًا لهم، حيث اثبتت هذه المعجزة أنَّ الله تعالى اختاره، وهو عالم باختياره، فمثل هذه المعجزات لا تحدث لأيّ شخص، وإنَّما هي تخصُّ الأولياء والصالحين من عباد الله، ممن جعل الله فيهم سرًا.

ونمثل لهذه الحجاجية الترتيبية بالسلّم الحجاجيّ الآتي:

الخاتمة والنتائج

الخَاتِمَة والنتائج

تعتمد اللسانيات التداولية في دراستها على جوانب عدّةٍ، وقد اقتصر البحث على ثلاثة جوانب منها وهي: أفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والحجاج، وفي ضوء دراستي لهذه الجوانب الثلاثة توصلت إلى نتائج عدّة منها:

١- يُعدّ النص القرآني من النصوص التي تستجيب لدراسة مظاهر التداوليّة المتمثلة بأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والحجاج، والسبب في ذلك يعود إلى كون القرآن الكريم مشتملًا على الباطن والظاهر، وهذا ما يتفق مع نظريتي أفعال الكلام، والاستلزام الحواري، فضلًا عن كون النصّ القرآني نصًا حجاجيًا في أغلب الآيات، وهذا ما جعل منه نصًا صالحًا لتطبيق تداوليّة الحجاج على نصوصه.

٢- تنوعت الأفعال الكلاميّة في معجزات الأنبياء والأولياء، فهي مشتملة على الأفعال الخمسة التي ذكرها (سيرل) والمتمثلة بالطلبيات، والإخباريات، والوعديات، الإعلانيات، والتعبيريات.

٣- شكّلت الطلبيات جزءًا واسعًا في معجزات الأنبياء والأولياء وقد جاءت متنوعة بين أساليب الاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء.

٤- جاءت حجج الأنبياء والأولياء مرتبة من الأضعف حجّة إلى الأقوى حجّة، وهذا ما دعا البحث إلى دراسة السلّم الحجاجيّ لهذه المعجزات.

٥- شكّلت الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في معجزات الأنبياء والأولياء حيزًا كبيرًا بالنسبة للأفعال الكلاميّة المباشرة، لاسيما ما يخصُّ التوجيهات، وهذا واضح في توظيف النصّ القرآني أفعال الكلام لإنجاز أفعال كلاميّة غير مباشرة.

٦- ترتبط أفعال الكلام التوجيهية المتمثلة في استعمال المتكلَّم لأسلوب الاستفهام بالتعبيريَّات، فقد تحتوي الآية على أسلوب الاستفهام المتضمن معنى التعجب ولاشك أنَّ التعجب يُعدُّ نوعًا من التعبير عن الشيء فهو يعبر عن حالة الدهش التي تصيب الإنسان أزاء الموقف الذي يراه.

٧- إنَّ خروج الكلام عن أصله لا يكون إلا لأسباب يرجع بعضها إلى إثبات معجزات الأنبياء والأولياء، وتخصيصهم بها ليكونوا هم أصحاب المعجزة، فضلًا عن بيان قدرة الله وعظمته.

٨- يمكن تطبيق تداولية الاستلزام الحواري على النصّ القرآني، ولكن ذلك يتطلب منا معرفة السياق الذي وردت فيه الآية؛ لأجل التعرف على حقيقة المعنى المستلزم، وذلك لكون الخطاب القرآني نصًّا إلهيًا لا يمكن تطويعه ليتماشى مع نظرية غربية إلا بالعودة إلى سياق الآية.

٩- إنَّ الخطاب القرآني خطاب حجاجي موجه للتأثير في المتخاطبين بشكل عام؛ لذلك نراه يوظف الكثير من الأساليب الحجاجية في معجزات الأنبياء والأولياء منها: عوامل الربط الحجاجي، وعوامل القصر الحجاجي، والسلّم الحجاجيّ، التي كان لها دور كبير في الربط بين الحجج للتوصل إلى المعجزة. وفي الرسالة نتائج أخرى يمكن أن يطلع عليها القارئ في صفحاتها وفصولها.

وفي الختام أقول أنَّ الحمَّد لله ربُّ العالمين على نعمه وتوفيقه والشكر الجزيل لإصحاب الفضل في كون البحث على ما هو عليه في الصورة التي بين أيديكم، واتمنى أن ينال إعجابكم على الرغم من القصور الذي فيه، فإن أصبت في تناول هذه الدراسة فبفضل الله عز وجل وآل البيت وأستاذي المشرف الدكتور صباح العبادي، وإن لم أصب فكان ذلك بتقصير مني، والكمال لله تعالى وحده ومن الله التوفيق.

مصادر البحث ومراجعه

أولا: القرآن الكريم

ثانيًا: الكتب المطبوعة:

١- الاتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل أبراهيم، وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (د. ط)، (د. ت).

٢- الأحكام في أصول الأحكام، العلامة علي بن محمد الآمدي، المكتب الإسلامي، (د. ط)، (د. ت).

٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤- الأساليب الإنشائية واسرارها البلاغية في القرآن الكريم، صباح عبيد زادة، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤٠٦-١٩٨٦.

٥- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٦- الاستعارة في القرآن الكريم، أنماطها ودلالاتها البلاغية، أحمد فتحي رمضان الحياني، دار غيداء للنشر والتوزيع، د ط، د ت.

٧_الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القواعد الضابطة لها، العياشي أدوار، منشورات الاختلاف، الرباط، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٨- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبد القاهر أحمد عطا، دار الفضيلة، (د. ط)، (د. ت).

٩- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ط)، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٠- أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، مصطفى شاهر خلوق، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٩م.

١١- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على الصور المكية، د. مثنى كاظم صادق، كلمة للنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ٢٠١٥م.

١٢- أصول الفقه الذي لا يسع لفقيه جهله، الدكتور عياض بن نامي السّليمي، دار التدمريّة، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

١٣- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، دار المعرفة بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٤- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدّين درويش، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

١٥- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، ٢٠٠٢م.

١٦- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الهلال العربية، ط١، ١٩٩٣م.

١٧- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٨- الاقتصاد، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مطبعة الخيام، قم، منشورات مكتبة الجامعة جهلستون، طهران،(د. ط)، ١٤٠٠م.

١٩- الأمثل في كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، آية الله الشيخ نصر إبراهيم مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢٠- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحويّة، تداوليّة جامعة منوبة، كلية الآداب منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١.

٢١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ-٢٠٠٩م.

٢٢- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، الأمام محمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٢٣- البرهان في علوم القرآن، الأمام بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، وعبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢٥- البلاغة الاصطلاحية، د. عبد العزيز قليقلة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٦- بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، دار الأمان، منشورات ضفاف، بيروت- لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٢٧- بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن مودن، دار كنوز المعرفة العلمية، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٢٨- البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية، عبد الله محمد سلمان هنداوي، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٩- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، وزارة التعليم والبحث العلمي، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٠- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، تحقيق: أحمد حبيب قصيد العاملي، (د. ط)،(د. ت).

٣١- تجريد الاعتقاد، أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي، تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣٢- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس،(د. ط)، ١٨٨٤م.

٣٣- تحليل الخطاب، براون وبول، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، ومنير التركي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، (د. ط)، ١٩٩٧م.

٣٤- التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٣٥- التداولية، جورج بول، ترجمة الدكتور قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٣٦- التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٣٧- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: د.صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط١، ٢٠٠٧م.

٣٨- التداولية والحجاج مداخل ونصوص، د. صابر الحباشة، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٩- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٣

٤٠- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي، فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٤١- تفسير القرآن العظيم، أبو الفراء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم، بيروت، البنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤١- التمهيد في علوم القرآن، العلامة محمد هادي معرفة، دار التعريفات للمطبوعات، بيروت، (د. ط)، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٤٢- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: د. محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط٣، ١١١٩م.

٤٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ود. عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٤٤- الجامع لأحكام القرآن والمبيّن من السّنّة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن المحسن الزكي، ومحمد رضوان عرقسوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤٥- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فجر الدين قباوه ، ود. محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (د. ت).

٤٦- الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، باتريك شارودو، ترجمة أحمد الودرني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

٤٧- الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٨- الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

٤٩- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله الصولة، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٥٠- الحجاج وتوجيه الخطاب، مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباته، باسم خيري خضير، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠٠٩م.

٥١- الحوار في القرآن قواعده أساليبه ومعطياته، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٥٢- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، د. محمد نظيف، أفريقيا الشرق، (د. ط)، ٢٠١٠م.

٥٣- حياة يوسف، محمود شلبي، دار الجبل، بيروت لبنان، (د. ط)، (د. ت).

٥٤- الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د. خلود العموش، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٥- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. محمود محمد شاكر، (د. ط)، (د. ت).

٥٦- الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٧- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المآلقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د. ط)، (د. ت).

٥٨- الروابط والعوامل الحجاجيّة في اللغة العربيّة، عزّ الدّين الناجح، مكتبة علاء الدَّين، دار نهى صفاقس، ط١، ٢٠٠١.

٥٩- سير النبي " صلى الله عليه وآله" أبو محمد عبد الملك بن هشام، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٦٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، إدارة الطباعة المنيرية، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).

٦١- السيميائيّة وفلسفة اللغة، أمبرتو أيكو، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٦٢- شرح ابن عقيل، د. محمد محي الدين، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠م.

٦٣- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم عبد الله بن بدر الدّين محمد بن الإمام جمال الدَّين محمد بن مالك، تحقيق: د. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦٤- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى شرح السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

٦٥- شرح الحاشية على المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم في علوم البلاغة، الشريف الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي، تحقيق: الدكتور رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٦٦- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الإستراباذي النجفي الرضي، تحقيق: يحيى بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٧- شرح قطر الندى وبل الصدى، د. جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، وزارة الأوقاف السعودية، ط٢، ٢٠٠٧م.

٦٨- شرح المفصل، موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي، إدارة الطباعة المنيرية، (د. ط)، (د.ت).

٦٩- شروح التلخيص، القزويني ابن يعقوب المغربي بهاء الدين السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).

٧٠- عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، المحقق العلامة الشيخ جعفر السبحاني، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٧١- العقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١١م.

٧٢- العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١٤، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٧٣- علل الشرائع سلو أهل البيت عليهم السلام، العلامة الشيخ الصدوق، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٧٤- علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٧٥- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون- فان دياك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر- القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

علوم القرآن، دكتور فتاح أبو سنة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٩٥م.

٧٦- عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، ٢٠٠٦م.

٧٧- في أصُول الحوار وتجديد عِلم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م.

٧٨- في ظلال القرآن سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٧٢م.

٧٩- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بو جادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

٨٠- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦-١٩٨٦.

٨١- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د. عبد الله الصولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.

٨٢- القاموس المحيط، مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: د. أنس الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٨٣- القاموس الموسوعيّ للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الاساتذة والباحثين بأشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠.

٨٤- قصة يوسف " عليه السلام" في القرآن الكريم دراسة أدبية، محمد رشدي عبيد، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٨٥- القصص القرآني إيحاءه ونفحاته، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٨٦- القصص القرآنية، دراسة ومعطيات وأهداف، العلامة المحقق آية الله جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط١، ١٤٢٨هـ.

٨٧- القصص القرآني في مفهومه ومنطوقة مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٨٨- الكافي في البلاغة والبيان والبديع والمعاني، أيمن الأمين عبد الغني، دار التوقيفية للتراث، القاهرة، (د. ط)، ٢٠١١م.

٨٩- الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني البيان البديع، د. علي عيسى العاكوب، ود. علي سعيد الشنيوي، مكتبة الإسكندرية، (د. ط)، ١٩٩٣م.

٩٠- كتاب التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د. ط)، (د. ت).

٩١- الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م

٩٢- كتاب العين، أبو عبد الله الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت).

٩٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٩٤- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الحلي، تحقيق: حسن زاده الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدّرسين بقم، (د. ط)، ١٤٠٧هـ.

٩٥- لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية، فوز سهيل كامل، الجوهرة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٩٦- اللغة والحجاج، الدكتور أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

٩٧- اللغة والفعل الكلاميّ والاتصال، مواقف خاصة بالنظرية اللُّغوية في القرن العشرين، زيبيله كريمر، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، مصر، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

٩٨- لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار الصادر، بيروت، (د. ط)،(د. ت).

٩٩- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٠٠- اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، دراسة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، مرتضى جبار كاظم، دار الأمان، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

١٠١- اللسانيات ونظرية التواصل، عبد القادر الغزالي، دار الحوار، ط١، ٢٠٠٣م.

١٠٢- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، (د. ط)، (د. ت).

١٠٣- مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د. ط)، ٢٠١٣.

١٠٤- مجمع اللبيان في تفسير القرآن، للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، لبنان، (د. ط)، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٠٥- مختصر النحو، عبد الهادي الفضلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط٧، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٠٦- مدخل إلى اللسانيات الحديثة، محمد محمد يونس علي ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٠٧- مرويات رسائل الأمام علي " عليه السلام" في نهج البلاغة دراسة حجاجية، رائد مجيد جبار، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.

١٠٨- المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدَّين بن عقيل، تحقيق: محمد كامل عقيل، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

١٠٩- مسرد التداولية، مجيد الماشطة، وأمجد الركابي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١١٠- معالم التنزيل، ابو محمد الحسن بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الهدى النمر، وعثمان جمعه، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، (د. ط)، ١٤٠٩م.

١١١- معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحويّ، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق ، المملكة العربية السعودية ، ط٢، ١٤٠٠هـ- ١٩٨١م.

١١٢- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، أحمد يوسف نجاتي، وأحمد النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، (د. ت).

١١٣- المعجزة القرآنية، دلائل علمية قاطعة، أحمد عمر أبو شوفة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، (د. ط)، ٢٠٠٣م.

١١٤- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١١٥- معجم مقاييس اللغة، لأبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د. ط)، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١١٦- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية " مثل من سورة البقرة"، محمّد محمّد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

١١٧- مغني البيب عن كتاب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن مبارك، د. محمد علي أحمد، دار الفكر العربي، دمشق، ط١، ١٣٦٨هـ- ١٩٦٤م.

١١٨- مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران، قم، ساحة الشهداء، د ط، ١٣٨٨هـ- ١٤٣٠م.

١١٩- المقاربة التداولية، فرانسوازأرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، مركز الأنماء القومي، مكتبة الأسر،(د. ط)، (د. ت).

١٢٠- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، دار أحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ط)، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٢١- مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

١٢٣- من أسرار حروف العطف في الذِّكر الحكيم ((لفاء، وثم))، محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٢٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: د. فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٢٥- من بلاغة النظم القرآني، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥-١٩٨٤.

١٢٦- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد الأعلى الموسوي السبزواري، منشورات دار التفسير، ط٥، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٢٧- الميـزان فـي تفسـير القـرآن، محمـد حسـين الطباطبـائي، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٢٨- النحو العربي، دكتور إبراهيم بركات، دار النشر للجامعات، مصر، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٢٩- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجدّدة، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٣، (د. ت).

١٣٠- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، فان دياك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، ٢٠٠٠م.

١٣١- نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الاشياء بالكلام، أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، (د. ط)، ١٩٩١م.

١٣٢- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د. ط)، ١٩٩٤م.

١٣٣- النظرية البرجماتية اللسانية(التداولية)،دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة ط١، ٢٠١٣م.

١٣٤- نظرية التلويح الحواريّ بين علم اللُّغة الحديث والمباحث اللُّغوية في التراث العربي الإسلامي، مكتبة لبنان، (د. ط)، ٢٠١٣م.

١٣٥- الوحي القرآني في المنظور الاستشرافي ونقده، محمود ماضي، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

ثالثا: الرسائل والاطاريح الجامعية:

١- الأفعال الكلاميّة في سورة الكهف دراسة تداولية، آمنة العور، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة منثوري، قسنطينة، ٢٠١٠-٢٠١١م.

٢- تداولية الخطاب الإقناعي في كتاب نهج البلاغة للأمام علي بن أبي طالب، يوسف نجعوم، رسالة دكتوراه، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي. ٢٠١٧-٢٠١٨م.

رابعًا: المجلات والبحوث:

١- الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، د. طه عبد ارحمن، مجلة المناظرة، العدد ٤، ١مايو، ١٩٩١.

٢- التداولية والبلاغة العربية، باديس هومل، مجلة مخبر، العدد السابع، ٢٠١١.

٣- تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداوليّ للخطاب، محمد العبد، مجلة فصول، العدد٦٥، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

٤- الحجاج أطره ومنطلقاته عند برلمان وتيتيكاه، د.عبد الله الصولة، بحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي صمود، د ت، (د. ط).

٥- الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، رشيد الرضي، بحث منشور، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيل عليوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ١٤٣١- ٢٠١١.

٦- دراسة الأفعال الكلامية في القرآن لكريم مقاربة تداولية، بو فرومة حكيمة، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، العدد ٣، ماي، ٢٠٠٨.

٧- الفاء الفصيحة واستعمالاتها وتاريخها وضوابطها، د. عبد العزيز صافي الجيل مجلة آداب الرافدين، العدد٦٥، ١٤٣٢هـ- ٢٠١٣م.

٨- قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، حمو الحاج ذهبية، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، العدد الثاني، ٢٠٠٧.

٩- القيم الدلاليّة في أساليب الحوار القرآني مع غير العاقل، د. صباح عيدان حمود، مجلة آداب البصرة، العدد، ٧٢، ٢٠١٥م.

١٠- مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، باديس هومل، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، العدد ٣، ماي،٢٠٠٧.

١١- المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي انموذجا، ليلى كادة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، الوادي، الجزائر، ربيع الأول، ١٤٣٠هـ، مارس، ٢٠٠٩م.

١٢- نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، ملاوي صلاح الدين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، العدد الرابع، ٢٠٠٩.

١٣- نظرية الحجاج واللُّغة، شكري المبخوت، بحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في

البلاغة والحجاج، إشراف حمّادي صمّود، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية،(د. ط)، (د. ت).

١٤- نظرية الكم الخطابيّ في البلاغة العربية، بنعيسى أزابيط، بحث منشور ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ٢٠١٤م.

ملحق تفصيلي لمعجزات الأنبياء والأولياء

(في التعبير القرآني)

***تضمن هذا الملحق كافة الآيات التي تناولت معجزات الأنبياء والأولياء في التعبير القرآني مرتبة بحسب ورودها في السور.**

تنويه:

*بعض من الأنبياء ذكروا في القرآن الكريم، لكن لم تذكر لهم إي معاجز ظاهرة منهم: النبيّ هود، النبيّ شعيب، النبيّ إدريس، ذو الكفل،....وغيرهم.

* قد تتكرر المعجزة الواحدة في أكثر من آية كما مبين في الجدول أدناه، لذلك أخترنا الآية الأنسب للدراسة التداوليّة، والتي تظهر فيها المعجزة بشكل واضح.

أولا: معجزة النبيّ آدم عليه السلام:

وردت معجزة النبيَّ آدم عليه السلام المتمثلة في تعليمه الأسماء في سورة البقرة فقط. ولم يجد البحث أيّ إشارة لها في موضع آخر.

معجزة آدم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم	سورة البقرة	(٣٠-٣٣)

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾.		

ثانيًا: معجزة النبيّ نوح عليه السلام:

تمثلت معجزة النبيّ نوح "عليه السلام" بالإيحاء له بصنع السفينة التي لم تكن معروفة قبله، وقد أشار إليها المولى سبحانه وتعالى في موضعين فقط، و لم ترد للنبيّ نوح عليه السلام أيَّ معجزة أخرى في القرآن الكريم .

١- ﴿ وَاصنَعِ الفُلكَ بِأَعيُنِنا وَوَحيِنا وَلا تُخاطِبني فِي الَّذينَ ظَلَموا إِنَّهُم مُغرَقونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصنَعُ الفُلكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيهِ مَلَأٌ مِن قَومِهِ سَخِروا مِنهُ قالَ إِن تَسخَروا مِنّا فَإِنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوفَ تَعلَمونَ مَن يَأتيهِ عَذابٌ يُخزيهِ وَيَحِلُّ عَلَيهِ عَذابٌ مُقيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتّى إِذا جاءَ أَمرُنا وَفارَ التَّنّورُ قُلنَا احمِل فيها مِن كُلٍّ زَوجَينِ اثنَينِ وَأَهلَكَ إِلّا مَن سَبَقَ عَلَيهِ القَولُ وَمَن آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلّا قَليلٌ ﴿٤٠﴾ وَقالَ اركَبوا فيها بِسمِ اللَّهِ مَجراها وَمُرساها إِنَّ رَبّي لَغَفورٌ رَحيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجري بِهِم في مَوجٍ كَالجِبالِ وَنادى نوحٌ ابنَهُ وَكانَ في مَعزِلٍ يا بُنَيَّ اركَب مَعَنا وَلا تَكُن مَعَ الكافِرينَ﴿٤٢﴾ قالَ سَآوي إِلى جَبَلٍ يَعصِمُني مِنَ الماءِ قالَ لا عاصِمَ اليَومَ مِن أَمرِ اللَّهِ إِلّا مَن رَحِمَ وَحالَ بَينَهُمَا المَوجُ فَكانَ مِنَ المُغرَقينَ ﴿٤٣﴾ وَقيلَ يا أَرضُ ابلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقلِعي وَغيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَاستَوَت عَلَى الجودِيِّ وَقيلَ بُعدًا لِلقَومِ الظّالِمينَ ﴿٤٤﴾.	سورة هود	(٣٧- ٤٤)

٢- ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾.	سورة المؤمنون	(٢٧- ٢٨)

ثالثًا: معجزة النبيّ صالح "عليه السلام"

وردت معجزة النبيَّ صالح عليه السلام في التعبير القرآني متمثلة في (الناقة) التي أرسلها الله تعالى إلى قومه، بعدما طلبوا منه ذلك؛ لتكون آية دالة على صدَّق نبوَّته "عليه السلام" في خمسة مواضع ، سنذكرها مرتبة بحسب ترتيب السور في القرآن الكريم.

١- قال تعالى: ﴿ وَإِلى ثَمودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ قَد جاءَتكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُم هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُم آيَةً فَذَروها تَأكُل في أَرضِ اللَّهِ وَلا تَمَسّوها بِسوءٍ فَيَأخُذَكُم عَذابٌ أَليمٌ ﴿٧٣﴾.	سورة الأعراف	٧٣
٢- قال تعالى: ﴿ وَياقَومِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُم آيَةً فَذَروها تَأكُل في أَرضِ اللَّهِ وَلا تَمَسّوها بِسوءٍ فَيَأخُذَكُم عَذابٌ قَريبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَروها فَقالَ تَمَتَّعوا في دارِكُم ثَلاثَةَ أَيّامٍ ذلِكَ وَعدٌ غَيرُ مَكذوبٍ ﴾.	سورة هود	(٦٤-٦٥)
٣- ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ		

عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾.	سورة الشعراء	(١٥٥-١٥٩)
٤-﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.	سورة القمر	(٢٧- ٣٠)
٥-﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴿١٤﴾وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.	سورة الشمس	(١٣-١٤)

رابعًا: معجزة النبيّ إبراهيم "عليه السلام"

ذكر في القرآن الكريم للنبيّ إبراهيم عليه السلام أكثر من معجزة سنوجزها مرتبة كالآتي:

١- قوة الحجَّة: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ	**سورة البقرة**	**٢٥٨**

الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾. ٢- رؤية كيفية أحياء الموتى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾.	سورة البقرة	٢٦٠
٣- النجاة من النار: أ- قال تعالى: ﴿قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إبراهيمُ ﴿٦٢﴾ قالَ بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هذا فَاسأَلوهُم إِن كانوا يَنطِقونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعوا إِلى أَنفُسِهِم فَقالوا إِنَّكُم أَنتُمُ الظّالِمونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسوا عَلى رُءوسِهِم لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ ﴿٦٥﴾ قالَ أَفَتَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا وَلا يَضُرُّكُم ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَكُم وَلِما تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ أَفَلا تَعقِلونَ ﴿٦٧﴾ قالوا حَرِّقوهُ وَانصُروا آلِهَتَكُم إِن كُنتُم فاعِلينَ﴿٦٨﴾ قُلنا يا نارُ كوني بَردًا وَسَلامًا عَلى إِبراهيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرادوا بِهِ كَيدًا فَجَعَلناهُمُ الأَخسَرينَ﴾.	سورة الأنبياء	(٦٢-٧٠)
ب- قال تعالى:﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ	سورة العنكبوت	(٢٤-٢٥).

بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾. ٤- الفداء بالذبح العظيم. ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. ٥-البشرى بالغلام: أ- ﴿وَنَبِّئْهُم عَن ضَيفِ إبراهيمَ ﴿٥١﴾ إذ دَخَلوا عَلَيهِ فَقالوا سَلامًا قالَ إنّا مِنكُم وَجِلونَ ﴿٥٢﴾قالوا لا تَوجَل إنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَليمٍ ﴿٥٣﴾ قالَ أَبَشَّرتُموني عَلى أَن مَسَّنِيَ الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرونَ ﴿٥٤﴾ قالوا بَشَّرناكَ بِالحَقِّ فَلا تَكُن مِنَ القانِطينَ ﴿٥٥﴾. ب-﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا	سورة الصافات سورة الحجر سورة الذاريات	(١٠٢-١٠٩) (٥٢-٥٥) (٢٤-٣٠)

تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾.		

خامسا: معجزة النبيّ موسى " عليه السلام"

وردت للنبيّ موسى "عليه السلام" أكثر من معجزة في القرآن الكريم.

١- الاستسقاء:		
أ- ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾.	سورة البقرة	٦٠
ب-﴿ وَقَطَّعناهُمُ اثنَتَي عَشرَةَ أَسباطًا أُمَمًا وَأَوحَينا إِلى موسى إِذِ استَسقاهُ قَومُهُ أَنِ اضرِب بِعَصاكَ الحَجَرَ فَانبَجَسَت مِنهُ اثنَتا عَشرَةَ عَينًا قَد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشرَبَهُم وَظَلَّلنا عَلَيهِمُ الغَمامَ وَأَنزَلنا عَلَيهِمُ المَنَّ وَالسَّلوى كُلوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقناكُم وَما ظَلَمونا وَلكِن كانوا أَنفُسَهُم يَظلِمونَ ﴿١٦٠﴾.	سورة الأعراف	١٦٠
٢- انفلاق البحر:		
أ- قال تعالى:﴿ وَلَقَد أَوحَينا إِلى موسى أَن أَسرِ بِعِبادي فَاضرِب لَهُم طَريقًا فِي البَحرِ يَبَسًا لا تَخافُ دَرَكًا وَلا تَخشى ﴿٧٧﴾ فَأَتبَعَهُم فِرعَونُ بِجُنودِهِ فَغَشِيَهُم مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُم ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرعَونُ	سورة طه	(٧٧-٧٩)

قَومَهُ وَما هَدى ﴿٧٩﴾.		
ب- قال تعالى:﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾.	سورة الشعراء	(٦١-٦٦)
٣- تحول العصا إلى ثعبان:		
أ- ﴿ قالَ إِن كُنتَ جِئتَ بِآيَةٍ فَأتِ بِها إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيضاءُ لِلنّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قالَ المَلَأُ مِن قَومِ فِرعَونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَليمٌ ﴿١٠٩﴾ يُريدُ أَن يُخرِجَكُم مِن أَرضِكُم فَماذا تَأمُرونَ ﴿١١٠﴾.	سورة الأعراف	(١٠٦-١١٠)
ب- ﴿ وَما تِلكَ بِيَمينِكَ يا موسى ﴿١٧﴾ قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخرى ﴿١٨﴾ قالَ أَلقِها يا موسى ﴿١٩﴾ فَأَلقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسعى ﴿٢٠﴾قالَ خُذها وَلا تَخَف سَنُعيدُها سيرَتَهَا الأولى ﴿٢١﴾ وَاضمُم يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخرُج بَيضاءَ مِن غَيرِ سوءٍ آيَةً أُخرى﴿٢٢﴾	سورة طه	(١٧-٢٢)
ج- ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ	سورة النمل	(١٠-١٢)

الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾. د- قال تعالى:﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾.	سورة القصص	(٣٠-٣٢)
٤- أحياء القتيل: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ	سورة البقرة	(٦٧-٧٣)

مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾.		

سادسًا: معجزة النبيّ يونس "عليه السلام":

وردت معجزة النبيَّ يونس عليه السلام المتمثلة في نجاته من بطن الحوت في موضعين من كتاب الله العزيز هما:

١- ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾.	سورة الأنبياء	(٨٧-٨٨)
٢- ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾.	سورة الصافات	(١٤٣-١٤٧)

سابعًا: معجزة النبيّ داوود عليه لسلام:

وردت معجزة النبي داوود " عليه السلام" والمتمثلة في تسبيح الجبال والطير في سورة سبأ فقط.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ .	سورة سبأ	١٠

ثامنًا: معجزة النبيّ سليمان "عليه السلام":

١- معجزة إتيان عرش بلقيس: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾.	سورة النمل	(٣٨- ٤٢)
٢- معجزة تعليم منطق الحيوان: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾.	سورة النمل	(١٨-١٩)
٣- تسخير الجن والرياح للعمل بأمره. قال تعالى:﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ	سورة سبأ	(١٢-١٣)

وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾		

تاسعًا: معجزة النبيّ زكريا " عليه السلام

١- ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾.	سورة آل عمران	(٣٨-٣٩)
٢- قال تعالى: ﴿كهيعص ﴿١﴾ ذِكرُ رَحمَتِ رَبِّكَ عَبدَهُ زَكَرِيّا ﴿٢﴾ إِذ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قالَ رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظمُ مِنّي وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا وَلَم أَكُن بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنّي خِفتُ المَوالِيَ مِن وَرائي وَكانَتِ امرَأَتي عاقِرًا فَهَب لي مِن لَدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُني وَيَرِثُ مِن آلِ يَعقوبَ وَاجعَلهُ رَبِّ رَضِيًّا﴿٦﴾ يا زَكَرِيّا إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسمُهُ يَحيى لَم نَجعَل لَهُ مِن قَبلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾.	سورة مريم	(١-٧)
٣- قال تعالى:﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾.	سورة الأنبياء	(٨٩-٩٠)

عاشرًا: معجزة النبيّ عيسى "عليه السلام":

١- نزول المائدة: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾	سورة المائدة	١١٢
٢- الكلام في المهد: ﴿ فَأَتَت بِهِ قَومَها تَحمِلُهُ قالوا يا مَريَمُ لَقَد جِئتِ شَيئًا فَرِيًّا﴿٢٧﴾ يا أُختَ هارونَ ما كانَ أَبوكِ امرَأَ سَوءٍ وَما كانَت أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشارَت إِلَيهِ قالوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كانَ فِي المَهدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قالَ إِنّي عَبدُ اللَّهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَني مُبارَكًا أَينَ ما كُنتُ وَأَوصاني بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوالِدَتي وَلَم يَجعَلني جَبّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُ وَيَومَ أَموتُ وَيَومَ أُبعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾.	سورة مريم	(٢٧-٣٣)

أحدى عشر: معجزة النبي يعقوب" عليه السلام"

وردت معجزة واحدة للنبيّ يعقوب "عليه السلام" في التعبير القرآني وهي ارتداد بصره، وقد أشار إليه الله "عز وجل" في سورة يوسف فقط.

قال تعالى: ﴿ اذهَبوا بِقَميصي هذا فَأَلقوهُ عَلى وَجهِ أَبي يَأتِ بَصيرًا وَأتوني بِأَهلِكُم أَجمَعينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمّا فَصَلَتِ العيرُ قالَ أَبوهُم إِنّي لَأَجِدُ ريحَ يوسُفَ لَولا أَن تُفَنِّدونِ ﴿٩٤﴾قالوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفي ضَلالِكَ القَديمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمّا أَن جاءَ البَشيرُ أَلقاهُ عَلى وَجهِهِ فَارتَدَّ بَصيرًا قالَ أَلَم أَقُل لَكُم إِنّي أَعلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعلَمونَ ﴿٩٦﴾	سورة يوسف	(٩٣-٩٦)

أثنا عشرة: معجزة النبيّ يوسف "عليه السلام":

١- شهادة الطفل: ﴿٢٤﴾ وَاستَبَقَا البابَ وَقَدَّت قَميصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلفَيا سَيِّدَها لَدَى البابِ قالَت ما جَزاءُ مَن أَرادَ بِأَهلِكَ سوءًا إِلّا أَن يُسجَنَ أَو عَذابٌ أَليمٌ ﴿٢٥﴾ قالَ هِيَ راوَدَتني عَن نَفسي وَشَهِدَ شاهِدٌ مِن أَهلِها إِن كانَ قَميصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَت وَهُوَ مِنَ الكاذِبينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كانَ قَميصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَت وَهُوَ مِنَ الصّادِقينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمّا رَأى قَميصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِن كَيدِكُنَّ إِنَّ كَيدَكُنَّ عَظيمٌ ﴿٢٨﴾ يوسُفُ أَعرِض عَن هذا وَاستَغفِري لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الخاطِئينَ ﴿٢٩﴾.	سورة يوسف	(٢٥- ٢٩)
٢- تأويل الأحاديث: أ- تأويل رؤيا صاحبيه في السجن: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنّي أَراني أَعصِرُ خَمرًا وَقالَ الآخَرُ إِنّي أَراني أَحمِلُ فَوقَ		(٣٦-٤١)

رَأسي خُبزًا تَأكُلُ الطَّيرُ مِنهُ نَبِّئنا بِتَأويلِهِ إِنّا نَراكَ مِنَ المُحسِنينَ ﴿٣٦﴾ قالَ لا يَأتيكُما طَعامٌ تُرزَقانِهِ إِلّا نَبَّأتُكُما بِتَأويلِهِ قَبلَ أَن يَأتِيَكُما ذلِكُما مِمّا عَلَّمَني رَبّي إِنّي تَرَكتُ مِلَّةَ قَومٍ لا يُؤمِنونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُم كافِرونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعتُ مِلَّةَ آبائي إِبراهيمَ وَإِسحاقَ وَيَعقوبَ ما كانَ لَنا أَن نُشرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيءٍ ذلِكَ مِن فَضلِ اللَّهِ عَلَينا وَعَلَى النّاسِ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يَشكُرونَ ﴿٣٨﴾ يا صاحِبَيِ السِّجنِ أَأَربابٌ مُتَفَرِّقونَ خَيرٌ أَمِ اللَّهُ الواحِدُ القَهّارُ ﴿٣٩﴾ما تَعبُدونَ مِن دونِهِ إِلّا أَسماءً سَمَّيتُموها أَنتُم وَآباؤُكُم ما أَنزَلَ اللَّهُ بِها مِن سُلطانٍ إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ ذلِكَ الدّينُ القَيِّمُ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمونَ ﴿٤٠﴾ يا صاحِبَيِ السِّجنِ أَمّا أَحَدُكُما فَيَسقي رَبَّهُ خَمرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصلَبُ فَتَأكُلُ الطَّيرُ مِن رَأسِهِ قُضِيَ الأَمرُ الَّذي فيهِ تَستَفتِيانِ ﴿٤١﴾.	سورة يوسف	
ب- تأويل رؤيا الملك: ﴿ وَقالَ المَلِكُ إِنّي أَرى سَبعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجافٌ وَسَبعَ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّهَا المَلَأُ أَفتوني في رُؤيايَ إِن كُنتُم لِلرُّؤيا تَعبُرونَ﴿٤٣﴾ قالوا أَضغاثُ أَحلامٍ وَما نَحنُ بِتَأويلِ الأَحلامِ بِعالِمينَ﴿٤٤﴾ وَقالَ الَّذي نَجا مِنهُما وَادَّكَرَ بَعدَ أُمَّةٍ أَنا أُنَبِّئُكُم بِتَأويلِهِ فَأَرسِلونِ ﴿٤٥﴾ يوسُفُ أَيُّهَا الصِّدّيقُ أَفتِنا في سَبعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجافٌ وَسَبعِ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ	سورة يوسف	(٤٣-٤٩)

لَعَلّي أَرجِعُ إِلَى النّاسِ لَعَلَّهُم يَعلَمونَ ﴿٤٦﴾قالَ تَزرَعونَ سَبعَ سِنينَ دَأَبًا فَما حَصَدتُم فَذَروهُ في سُنبُلِهِ إِلّا قَليلًا مِمّا تَأكُلونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأتي مِن بَعدِ ذلِكَ سَبعٌ شِدادٌ يَأكُلنَ ما قَدَّمتُم لَهُنَّ إِلّا قَليلًا مِمّا تُحصِنونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأتي مِن بَعدِ ذلِكَ عامٌ فيهِ يُغاثُ النّاسُ وَفيهِ يَعصِرونَ ﴿٤٩﴾.		

ثلاثة عشر: معجزة النبيّ عزرا " عليه السلام":

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾.	سورة البقرة	٢٥٩

أربعة عشر: معجزة النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله):

ذكرت ثلاث معجزات للنبيّ محمَّد (صلى الله عليه وآله) في القرآن الكريم منها ما الآتي:

١- معجزة القرآن الكريم: أ- قال تعالى: ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن	سورة البقرة	(٢٣-٢٤)

دُونِ اللَّـهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾		
ب- قال تعالى:﴿ أَم يَقولونَ افتَراهُ قُل فَأتوا بِعَشرِ سُوَرٍ مِثلِهِ مُفتَرَياتٍ وَادعوا مَنِ استَطَعتُم مِن دونِ اللَّـهِ إِن كُنتُم صادِقينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّم يَستَجيبوا لَكُم فَاعلَموا أَنَّما أُنزِلَ بِعِلمِ اللَّـهِ وَأَن لا إِلـهَ إِلّا هُوَ فَهَل أَنتُم مُسلِمونَ ﴿١٤﴾.	سورة هود	(١٣-١٤)
ج- قال تعالى: ﴿ وَيَسأَلونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِن أَمرِ رَبّي وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إِلّا قَليلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئنا لَنَذهَبَنَّ بِالَّذي أَوحَينا إِلَيكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَينا وَكيلًا ﴿٨٦﴾ إِلّا رَحمَةً مِن رَبِّكَ إِنَّ فَضلَهُ كانَ عَلَيكَ كَبيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى أَن يَأتوا بِمِثلِ هذَا القُرآنِ لا يَأتونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا ﴿٨٨﴾.	سورة الأسراء	(٨٥-٨٨)
٢- معجزة الأسراء والمعراج:		
قال تعالى: ﴿سُبحانَ الَّذي أَسرى بِعَبدِهِ لَيلًا مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَى الَّذي بارَكنا حَولَهُ لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصيرُ ﴿١﴾.	سورة الأسراء	الآية (١)
٣- انشقاق القمر:		
قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾.	سورة القمر	الآية(١)

معجزات الأولياء في التعبير القرآني

أولا: معجزة طالوت" عليه السلام":

قال تعالى:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾.	سورة البقرة	٢٤٨.

ثانيا: معجزة الخضر "عليه السلام"

وردت معجزة الخضر "عليه السلام" المتمثلة بالاطلاع على الغيب في التعبير القرآنيّ في سورة واحدة فقط، وهي سورة الكهف، وعبر عنه المولى " عز وجل" العبد الصالح.

قال تعالى:﴿ قالَ لَهُ موسى هَل أَتَّبِعُكَ عَلى أَن تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمتَ رُشدًا ﴿٦٦﴾ قالَ إِنَّكَ لَن تَستَطيعَ مَعِيَ صَبرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيفَ تَصبِرُ عَلى ما لَم تُحِط بِهِ خُبرًا ﴿٦٨﴾ قالَ ستَجِدُني إِن شاءَ اللَّهُ صابِرًا وَلا أَعصي لَكَ أَمرًا ﴿٦٩﴾ قالَ فَإِنِ اتَّبَعتَني فَلا تَسأَلني عَن شَيءٍ حَتّى أُحدِثَ لَكَ	سورة الكهف	(٦٦-٨٢)

مِنهُ ذِكرًا ﴿٧٠﴾ فَانطَلَقا حَتّى إِذا رَكِبا فِي السَّفينَةِ خَرَقَها قالَ أَخَرَقتَها لِتُغرِقَ أَهلَها لَقَد جِئتَ شَيئًا إِمرًا ﴿٧١﴾ قالَ أَلَم أَقُل إِنَّكَ لَن تَستَطيعَ مَعِيَ صَبرًا ﴿٧٢﴾قالَ لا تُؤاخِذني بِما نَسيتُ وَلا تُرهِقني مِن أَمري عُسرًا﴿٧٣﴾ فَانطَلَقا حَتّى إِذا لَقِيا غُلامًا فَقَتَلَهُ قالَ أَقَتَلتَ نَفسًا زَكِيَّةً بِغَيرِ نَفسٍ لَقَد جِئتَ شَيئًا نُكرًا ﴿٧٤﴾ قالَ أَلَم أَقُل لَكَ إِنَّكَ لَن تَستَطيعَ مَعِيَ صَبرًا ﴿٧٥﴾ قالَ إِن سَأَلتُكَ عَن شَيءٍ بَعدَها فَلا تُصاحِبني قَد بَلَغتَ مِن لَدُنّي عُذرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقا حَتّى إِذا أَتَيا أَهلَ قَريَةٍ استَطعَما أَهلَها فَأَبَوا أَن يُضَيِّفوهُما فَوَجَدا فيها جِدارًا يُريدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَو شِئتَ لَاتَّخَذتَ عَلَيهِ أَجرًا ﴿٧٧﴾ قالَ هذا فِراقُ بَيني وَبَينِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأويلِ ما لَم تَستَطِع عَلَيهِ صَبرًا ﴿٧٨﴾أَمَّا السَّفينَةُ فَكانَت لِمَساكينَ يَعمَلونَ فِي البَحرِ فَأَرَدتُ أَن أَعيبَها وَكانَ وَراءَهُم مَلِكٌ يَأخُذُ كُلَّ سَفينَةٍ غَصبًا ﴿٧٩﴾وَأَمَّا الغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤمِنَينِ فَخَشينا أَن يُرهِقَهُما طُغيانًا وَكُفرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدنا أَن يُبدِلَهُما رَبُّهُما خَيرًا مِنهُ زَكاةً وَأَقرَبَ رُحمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الجِدارُ فَكانَ لِغُلامَينِ يَتيمَينِ فِي المَدينَةِ وَكانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَهُما وَكانَ أَبوهُما صالِحًا فَأَرادَ رَبُّكَ أَن يَبلُغا أَشُدَّهُما وَيَستَخرِجا كَنزَهُما رَحمَةً مِن رَبِّكَ وَما فَعَلتُهُ عَن أَمري ذلِكَ تَأويلُ ما لَم تَسطِع عَلَيهِ صَبرًا﴿٨٢﴾		

ثالثا: معجزة ذي القرنين " عليه السلام"

ورد ذكر اسم ذي القرنين في سورة واحدة فقط وهي سورة (الكهف) مبينة فضله، والمعجزات التي حصلت على يده.

﴿وَيَسأَلونَكَ عَن ذِي القَرنَينِ قُل سَأَتلو عَلَيكُم مِنهُ ذِكرًا ﴿٨٣﴾ إِنّا مَكَّنّا لَهُ فِي الأَرضِ وَآتَيناهُ مِن كُلِّ شَيءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾فَأَتبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتّى إِذا بَلَغَ مَغرِبَ الشَّمسِ وَجَدَها تَغرُبُ في عَينٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَها قَومًا قُلنا يا ذَا القَرنَينِ إِمّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمّا أَن تَتَّخِذَ فيهِم حُسنًا ﴿٨٦﴾ قالَ أَمّا مَن ظَلَمَ فَسَوفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذابًا نُكرًا ﴿٨٧﴾وَأَمّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا فَلَهُ جَزاءً الحُسنى وَسَنَقولُ لَهُ مِن أَمرِنا يُسرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتّى إِذا بَلَغَ مَطلِعَ الشَّمسِ وَجَدَها تَطلُعُ عَلى قَومٍ لَم نَجعَل لَهُم مِن دونِها سِترًا ﴿٩٠﴾ كَذلِكَ وَقَد أَحَطنا بِما لَدَيهِ خُبرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتّى إِذا بَلَغَ بَينَ السَّدَّينِ وَجَدَ مِن دونِهِما قَومًا لا يَكادونَ يَفقَهونَ قَولًا ﴿٩٣﴾ قالوا يا ذَا القَرنَينِ إِنَّ يَأجوجَ وَمَأجوجَ مُفسِدونَ فِي الأَرضِ فَهَل نَجعَلُ لَكَ خَرجًا عَلى أَن تَجعَلَ بَينَنا وَبَينَهُم سَدًّا ﴿٩٤﴾ قالَ ما مَكَّنّي فيهِ رَبّي خَيرٌ فَأَعينوني بِقُوَّةٍ أَجعَل بَينَكُم وَبَينَهُم رَدمًا ﴿٩٥﴾ آتوني زُبَرَ الحَديدِ حَتّى إِذا ساوى بَينَ الصَّدَفَينِ قالَ انفُخوا حَتّى إِذا جَعَلَهُ نارًا قالَ	سورة الكهف	(٨٣-٩٨)

آتوني أُفرِغ عَلَيهِ قِطرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسطاعوا أَن يَظهَروهُ وَمَا استَطاعوا لَهُ نَقبًا ﴿٩٧﴾ قالَ هذا رَحمَةٌ مِن رَبّي فَإِذا جاءَ وَعدُ رَبّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَكانَ وَعدُ رَبّي حَقًّا ﴿٩٨		

رابعًا: معجزة اصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمسَ إِذا طَلَعَت تَزاوَرُ عَن كَهفِهِم ذاتَ اليَمينِ وَإِذا غَرَبَت تَقرِضُهُم ذاتَ الشِّمالِ وَهُم في فَجوَةٍ مِنهُ ذلِكَ مِن آياتِ اللَّهِ مَن يَهدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهتَدِ وَمَن يُضلِل فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحسَبُهُم أَيقاظًا وَهُم رُقودٌ وَنُقَلِّبُهُم ذاتَ اليَمينِ وَذاتَ الشِّمالِ وَكَلبُهُم باسِطٌ ذِراعَيهِ بِالوَصيدِ لَوِ اطَّلَعتَ عَلَيهِم لَوَلَّيتَ مِنهُم فِرارًا وَلَمُلِئتَ مِنهُم رُعبًا ﴿١٨﴾.	سورة الكهف	(١٧-١٨)

خامسًا: معجزة ام موسى " عليها السلام"

١- قال تعالى: ﴿إِذ أَوحَينا إِلى أُمِّكَ ما يوحى ﴿٣٨﴾ أَنِ اقذِفيهِ فِي التّابوتِ فَاقذِفيهِ فِي اليَمِّ فَليُلقِهِ اليَمُّ بِالسّاحِلِ يَأخُذهُ عَدُوٌّ لي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلقَيتُ عَلَيكَ مَحَبَّةً مِنّي وَلِتُصنَعَ عَلى عَيني ﴿٣٩﴾ إِذ تَمشي أُختُكَ فَتَقولُ هَل أَدُلُّكُم عَلى مَن يَكفُلُهُ فَرَجَعناكَ إِلى أُمِّكَ كَي تَقَرَّ عَينُها وَلا تَحزَنَ وَقَتَلتَ نَفسًا فَنَجَّيناكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنّاكَ فُتونًا فَلَبِثتَ سِنينَ في أَهلِ مَديَنَ ثُمَّ جِئتَ عَلى قَدَرٍ يا موسى ﴿٤٠﴾	سورة طه	(٣٨-٤٠)

٢- قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾.	سورة القصص	(٧-١٤)

سادسا: معجزة مريم "عليه السلام"

١- الرزق من السماء: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ	سورة آل عمران	٣٧

مِنْ عِندِ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ . ٢- هبة الغلام من غير أب. أ- قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّـهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّـهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾.	سورة آل عمران	(٤٥-٤٧)
ج- قال تعالى: ﴿وَاذكُر فِي الكِتابِ مَريَمَ إِذِ انتَبَذَت مِن أَهلِها مَكانًا شَرقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَت مِن دونِهِم حِجابًا فَأَرسَلنا إِلَيها روحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قالَت إِنّي أَعوذُ بِالرَّحمنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قالَ إِنَّما أَنا رَسولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قالَت أَنّى يَكونُ لي غُلامٌ وَلَم يَمسَسني بَشَرٌ وَلَم أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ وَرَحمَةً مِنّا وَكانَ أَمرًا مَقضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتهُ فَانتَبَذَت بِهِ مَكانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾فَأَجاءَهَا المَخاضُ إِلى جِذعِ النَّخلَةِ قالَت يا لَيتَني مِتُّ قَبلَ هذا وَكُنتُ نَسيًا مَنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَناداها مِن تَحتِها أَلّا تَحزَني قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزّي	سورة مريم	(١-٧)

إِلَيكِ بِجِذعِ النَّخلَةِ تُساقِط عَلَيكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلي وَاشرَبي وَقَرّي عَينًا فَإِمّا تَرَينَّ مِنَ البَشَرِ أَحَدًا فَقولي إِنّي نَذَرتُ لِلرَّحمنِ صَومًا فَلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾.		
د-﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾.	سورة الأنبياء	٩١

Abstract

This study aims at shedding the light on the miracles of the prophets and allies in Qur'anic expression in terms of pragmatics represented by the speech acts, the conversational implicature, and the argumentations, and their impact on understanding the Qur'anic text and revealing the meaning behind the verses of the holy Qur'an. The study falls into preface, introduction, three chapters, and a list references.

The procedures of the study are as follows:

The introduction includes the essential concepts, such as pragmatics and the miracle in heritage books, from the linguistic meaning to their semantic significance.

As for the chapters of the thesis, the first chapter explores the miracles of the Allies and prophets in the Qur'anic expression pragmatically according to Searle's division of the five classes of verbs which are: (Directives, informative, Commisives, Declarations, Expressives). The second chapter is devoted to studying the pragmatics of the conversational implicature under the title (The conversational implicature on the Miracles of the Prophets and Allies, a Pragmatic study). This chapter uses the four Grace principles to the Qur'an text, which are: Principle of quantity, the principle of quality, Principle of relevance/ relation, and the principle of Principle of manner.

The third chapter is devoted to studying the factors and links of argumentations during application, and that is under the title: (The Pragmatic Argumentations in the Miracles of the Prophets and Allies in Qur'an Expression).

To sum up in the light of studying these three aspects and applying them to the Qur'anic text, we summarize that the Qur'an discourse includes many speech acts that have multiple goals. It is also remarked that it is possible to apply the pragmatic conversational implicature to the Qur'an text, but that requires knowing the context in which the verse occurs in order to know the authentic meaning entailed, and further because the Qur'anic discourse is a divine text that cannot be adapted to conform to a Western theory except by returning to the context of the verse. Due to the

fact that the Qur'anic discourse is an argumentative discourse directed to influence the addressees in general; it employs many arguments in the miracles of the prophets and allies, including: argumentative linking factors, and argumentative restriction factors, which have a great role in linking the arguments to reach a miracle.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Misan / College of Education

Postgraduate Studies/ The Department of Arabic

Miracles of Prophets and Allies in the Qur'anic expression: A Pragmatic Study

A thesis submitted to

To the council of the College of Education/ University of Misan In Partial Fulfilment of the Requirements

for the Degree of Master of Arts in

Arabic Language and Literature / Linguistics

By

Belqis Abbas Fadhil

Supervised by

Asst. Prof. Sabah Idan Hammoud Al-Abadi (PH.D.)

2021 A.D **1442 A.H**

2021م 1442